الخطيب العدناني

ABU ABDO ALBAGL

الزنا والشذوذ في التاريخ العربي



الانتشار العربي

Arab Diffusion Company

الخطيب العدناني

الزنا والشذوذ في التاريخ العربي



الزنا والشذوذ في التاريخ العربي

الخطيب العدناني

ADULTERY & HOMOSEXUALITY IN THE ARAB HISTORY

BY:

AL KHATIB AL ADNANI



LONDON - BEIRUT
Email: Arabdiffusion@cyberia.net.lb.
P.o. box: 113/5752 - Beirut

First Published in 1999

ISBN: 1 84117 015 1

الطبعة الأولى ١٩٩٩

الجزء الأول

الإباحية

الجزء الثاني

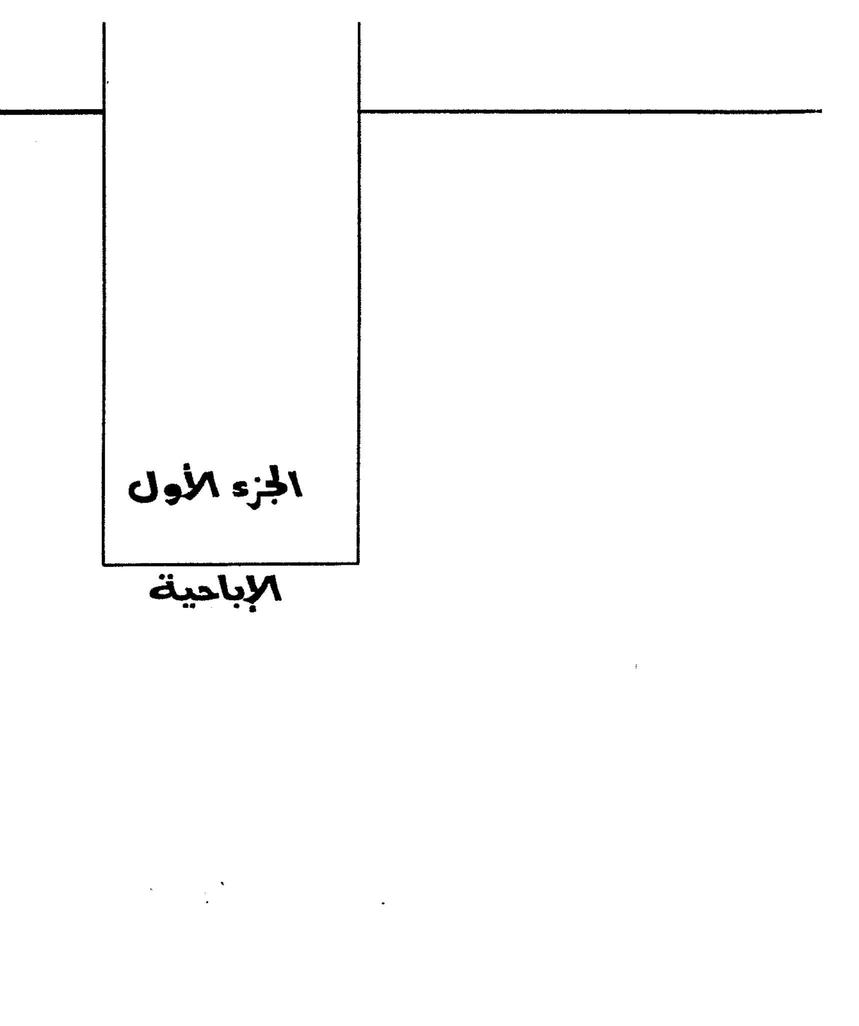
الزنا والبغاء

الجزء الثالث

الجريمة الثانية

الجزء الرابع
الشذوذ الجنسي

الجزء الخامس
السحاق أو الجنس الثالث



الجزء الأول

الإباحية





١

أضرار الإباحة الجنسية

قال الدكتور محمد علي البار في (الأمراض الجنسية) ص٦:

إن التاريخ يذكر لنا الإنحلال الذي أصاب بلاد الإغريق في آخر عهدهم وكيف قضى انتشار الزنا واللواط على حضارتهم كما قضى على الدولة الرومانية والدولة الكسروية حين أباح الزنديق مزدك أيام كسرى قباذ نكاح المحارم وأطلق أيدي الناس في العهر والفجور بكل أنواعه وتغلغل ذلك حتى في الأسرة المالكة وكان ذلك هو السبب في القضاء على مزدك وحركته الخلاعية.

والفرقة المزدكية هم أتباع الزنديق مزدك بن بهمن بن جاكلين الفارسي الذي ظهر أيام الملك كسرى قباذ بن فيروز الساساني والد الملك كسرى أنو شروان.

قال الشهرستاني في الملل والنحل ٨٥/٢: إنه بني مذهبه على مثل مذهب المانوية أن العالم قائم على أصلين هما النور والظلمة....

وقد رأى مزدك أن ما يحمل الناس على العداوة والبغضاء والقتال والتفاخر هو الحسد على الأموال والنساء والطيبات لذلك بنى دستوره في مذهبه على الإباحة المطلقة وإلغاء الملكية الفردية فأحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركاء سواسية فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلاء والأشياء كلها ملك الدولة وهي المسؤولة عن توزيعها على الناس.

وقد أمر مزدك أصحابه بتناول اللذات وبلوغ الشهوات والأكل من كل شيء ومواقعة كل امرأة وغلام إلا ما أضر بالصحة أو كان به نزاع أو شجار.

وله مذهب في الضيافة لم يكن لأحد من الأمم وهو أن أي شخص أضاف إنساناً فليس له أن يمنعه عن أي شيء رغب فيه كائناً ما كان إلا ما كان فيه شر أو ضرر وبهذه الثغرة وقع

مزدك في الويل والدمار فقد اتفق أنه كان مرة عند الملك كسرى قباذ بن فيروز الذي ظهر في أيامه ودخل في مذهبه وحمل أهل مملكته على اتباعه فأحسن ضيافته ومن معه وبالغ في إكرامهم وعند انتهاء الضيافة سأله عما يرغب أو يحب أن يقدمه إليه ـ لأن في مذهبه أن الضيف لا يمنع عن أي شيء يطلبه من مضيفه ـ فقال إنه يحب الخلوة بامرأة الملك قباذ أم الملك كسرى أنوشروان ـ وكان مزدك قد رآها فأعجب بحسنها وشغف بحبها ـ فاستجاب له قباذ وأمرها أن تتزين وتدخل معه المخدع فكرهته المرأة وشق عليها الاجتماع به وجعلت تعتذر عن إجابته بأن لها ما يمنعها عن الخلوة وقام ابنها أنوشروان وهو يومئذ غلام يقبل أقدام مزدك ويسأله أن يعفي أمه عما أراد بها لوقت آخر فأجابه وخرج.

فلما مات قباذ وقام من بعده أنوشروان كان أول مهمة قام بها قتل مزدك الذي أضل الناس بأكاذيبه وبدعه فعم فيهم الفسق والفجور ووطء المحارم بصورة مروعة فلما سمع مزدك الحكم بإعدامه أتى إلى القصر بحاشيته وخدمه واستأذن فدخل على أنوشروان فلما وسأله أن يسحب الحكم بإعدامه ويعفو عنه على أن يخرج من مملكته ويتخلى عن كل ممتلكاته ولا يتعرض لأحد من خاصته فلم يقبل منه وقال إني لا أزال أشم صنان أقدامك لما هويت لتقبيلها لتعفي أمي عما أردت بها أترى أنسى إصرارك على الفجور بأمي على فراش أبي ثم قتله وصلبه وتتبع أهل مذهبه حتى أفناهم.

وكان أول قرار أصدره أنوشروان في قانون الدولة تحريم الزنا والفجور وتحريم نكاح المحارم وإعدام كل من أباح ذلك.

وفي عام ٣١٧ ظهرت دولة القرامطة في العراق والحجاز وقاموا يغزو القرى والبلدان ويهتكون الأعراض حتى وصلوا إلى مكة المكرمة فهاجموها في موسم الحج. وكان رئيسهم أبو طاهر سليمان بن أبي ربيعة الحسن القرمطي الإحسائي وكان يدعي أنه يدعو لعبد الله المهدي صاحب المهدية بأفريقيا ولكن المهدي ينكر توليته ويتبرأ من أعماله.

وذكر حسين عبد الله بإسلامه في تاريخ الكعبة/١٥٤ أن أبا طاهر لما فرغ من جرائمه في البيت الحرام وقف على باب الكعبة واستقبل الناس بوجهه وادعى الرُبوبية وقال:

فـي أنـا الـلـه وفـي الـلـه أنـا ... يـخـلـق الخلق وأفـنـيـهـم أنـا

وأما أتباعه فكلهم زنادقة كما يدل على ذلك شعر قائد جيشه جعفر بن أبي علاج البناء المكي حين اقتلع الحجر الأسود من موضعه في الركن بأمر أبي طاهر وقال:

فـلـو كـان هـذا الـبـيـت لـلـه ربـنـا ... لـصـب عـلـينا الـنـار مـن فـوقـنـا صـبـا

لأنـا حـجـبنا حـجـة جـاهـلـيـة ... مـحـلـلـة لم تـبـق شـرقـا ولا غـربـا

وأنـا تـركـنـا بـين زمـزم والـصـفـا ... جـنـايـز لا تـبـغـى سـوى ربـهـا ربـا

قال محمد علي البار في (الأمراض الجنسية/٦٠: إن القرامطة انتزعوا الحجر الأسود وحملوه إلى بلادهم هجر وبقي عندهم أكثر من عشرين سنة.

قال ومن القرامطة ظهر علي بن الفضل الخنفري السبأي في اليمن، وقد أنشد شاعر علي بن الفضل قصيدة توضح مذهب القرامطة هؤلاء في الإباحية وكانوا يتغنون بهذه القصيدة في مساجد المسلمين وإليك القصيدة.

خذي الدف يا عمتي واطربي ... وغني بما نلت من معجب
فإن شئت بابن أخيك انكحي ... وإن شئت بابنك لا ترهبي
فإن الذي قاله المسلمون ... زخارف من نسج وغد غبي
تولى نبي بني هاشم ... وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعة ... وهاتا شريعة هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلوة ... وفرض الصيام فلم نتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضي ... وإن صوموا فكلي واشربي
ولا تبتغي السعي بين الصفا ... ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المعرسي ... من الأقربين أو الأجنبي
بماذا حللت لهذا الغريب ... وصرت محرمة للأب
أليس الفراس لمن ربه ... وأرواه في الزمن المجدب
وما الخمر إلا كماء السماء ... حلال فقدست من مذهب
فإن شئت عود القنا فاقرعي ... وإن شئت طبل الهنا فاضربي
فما من حرام سوى ما يضرّ ... بالناس من أيما متعب
وما ينفع الناس فهو الحلال ... وغير الإباحة لا تحسبي

ورغم فطاظة القرامطة فقد ظلوا فئة محدودة.

الإباحة الجنسية في بلاد الغرب

قال الدكتور محمد علي البار في الأمراض الجنسية/٦١:

ولم تشهد الإباحة الجنسية إنتشاراً وشيوعاً في الزنا واللواط ووطء المحارم والاغتصاب في النساء والأطفال والبهائم والحيوانات والعلاقات الجنسية الشاذة والانهماك في المسكرات والمخدرات ما تشهده اليوم في ظل الحضارة الغربية.

وقد ظهر نتيجة هذا الانتشار مزيد من القلق والانتحار والأمراض الجسدية. والنفسية وأصبحت شبحاً مخيفاً أقلق الخاصة والعامة.

فقد وصلت أرقام المصابين بمرض السيلان (الجونوريا) (٢٥٠) مليون إصابة في العالم كل

عام وبلغت إصابات الزهري خمسين مليون إصابة سنوياً أما الهربس فبلغ عدد المصابين منه في أمريكا وحدها عشرين مليوناً.

وأما (الإيدز) وهو فقد المناعة المكتسب فهو لا يصيب أساساً إلا الشاذين جنسياً وقد أصبح وباء مخيفاً يتخلل العالم من بلد لآخر ففي كل يوم تظهر له إصابة في بلد وهو في طريقه إلى الانتشار مواكباً اللواط والشذوذ وقد قام المخنثون في الولايات المتحدة بالمظاهرات مطالبين الحكومات القائمة بالإسراع في محاربته ليواصلوا علاقاتهم الشاذة وقد صرفت الحكومات للبحث عن هذا المرض أكثر من خمسين مليون دولار حتى الآن ولا يزال البحث جارياً ولا أمل في الشفاء حتى هذه اللحظة ولا أمل في إيقاف انتشاره إلا بمنع اللواط من البلاد منعاً باتاً وإصدار أكبر العقوبات لمن يتاجر ويحترف بممارسته لا سيما وإنْ جل هذه الأمراض قد تنتشر بين الناس بالعدوى في مواضع الاحتكاك والإزدحام كأيام موسم الحج والعمرة ومشاهدة الألعاب والمباراة والحفلات العامة في الأعراس والمناسبات والأعياد والمنتزهات.

واغتصاب الفتيات والأطفال أمر شائع في الدول الغربية، تقول إحدى الصحف إن هناك مليون حالة اغتصاب للأطفال في كل عام في أميركا مضافاً إلى انتشار العادة السرية بين الرجال والنساء.

وسنفيض الحديث عن هذه الإباحة الجنسية في كل هذه المراحل والحالات بوجوه تفصيلية إنشاء الله في مواضعها.

وفي ص ١١٤ قال محمد علي البار: وانتشرت في المجتمعات الغربية أمراض جنسية كانت نادرة جداً مثل الهربس التناسلي وسنط التناسل وجرب التناسل وقمل العانة والكلاميديا والميكوبلازما وغيرها من الأمراض التي سبق الإشارة إليها ويرجع الباحثون الغربيون أسباب انتشار الأمراض الجنسية إلى عدة أسباب.

١ ـ تساهل وتسامح المجتمع تجاه الجنس قبل وبعد الزواج أي إباحة الزنا واللواط بكل أنواعهما ونظرة المجتمع إلى ذلك بأنه لا غبار عليه ولا ضرر فيه.

٢ ـ ازدياد السفر والانتقال سواء كان من أجل العمل ـ فقد يبلغ عدد العمال المهاجرين أكثر من ستة ملايين عامل سنوياً ـ أو من أجل السياحة فقد بلغ عدد السائحين عام ١٩٧٥م من أمريكا إلى أوروبا وبالعكس (٢١٥) مليون سائح.

٣ ـ انتشار استعمال وسايل منع الحمل وبما أن خوف الحمل كان أحد العوائق أمام ممارسة المرأة الأعمال الجنسية فإن انتفاء هذا العامل أدى إلى زيادة كبيرة في ممارسات المرأة أعمال الجنس بدون خوف.

٤ ـ انتشار الإباحية وتعدد الرفاق إذ لم يعد الرجل أو المرأة تكتفي بخليل أو عشيق واحد بل إن الرجل والمرأة يجامع كلّ منهما عدداً كبيراً من الأفراد المختلفة نوعاً وجنساً كما أن الشذوذ الجنسي والممارسات الشاذة تزداد انتشاراً في المجتمعات الغربية.

٥ ـ تخلق أنواع من الميكروبات لا تنفع فيها المضادات الحيوية وانتشار مرض الهربس وسنط التناسل الذي تسببه الفيروسات التي لا تجدي معها المضادات الحيوية.

٢

تحريم وطء المحارم في الإسلام

قال تعالى: ﴿ولا تنكحوا ما نكح أباؤكم من النساء إلا ما قد سلف أنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا﴾.

﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نساءكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نساءكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبناءكم الذين من أصلابكم وإن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً. والمحصنات من النساء﴾ أي المتزوجات فإن المرأة إذا تزوجت بزوج ولو بالعقد عليها حرمت على غيره مطلقاً حتى يفارقها بموت أو طلاق ﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾ فإن المولى إذا أحل أمته لغيره جاز أن يفصلها عنه بأي وقت شاء ﴿كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراءذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين...﴾النساء/٢٤.

وما اشتهر نصه عن النبي(ص) قال (يحرم من الرضاعة ما يحرم بالنسب) رواه الصدوق والبخاري ومسلم.

لقد اعتبرت البشرية منذ القدم نكاح المحارم مطلقاً أمراً يثير أقصى درجات الإشمئزاز والمساءة في أي صورة من صوره، عن دائرة المعارف البريطانية.

ومع هذا فإن المجتمعات البشرية قد اختلفت في تحديد عدد المحارم الذين يحرم الاقتراب منهم.

نكاح الأخوات

فأما نكاح الأخوات فقد كان مباحاً في الشرائع الأولى حيث توقف النسل البشري والتسلسل الإنساني على حله وإباحته حيث لا يوجد على وجه الأرض إلا أخوة وأخوات فأحل الله للفتى أن يتزوج أخته التي من بطن آخر وحرم أن يتزوج أخته التي ولدت معه في بطن واحد تضيقاً لنطاق حل الأخوات وتوسعة لانحدار النسل البشري لعالم الوجود.

وكانت إباحة موقتة مقصورة على الطبقة الثانية من النسل البشري فقط فلما جاءت الطبقة الثالثة من النسل وهم أحفاد الأبوين آدم وحواء ألغي نكاح الأخوات مطلقاً وحل مكانه نكاح بنات الأعمام والعمات وبنات الأخوال والخالات.

ويدل عليه ما ذكرناه في (خلق العالم) وهو القسم الثالث من الجزء الأول في عقيدة التوحيد من كتابنا (العقايد الإسلامية) في تناسل الطبقة الثانية من البشر تحت عنوان.

تزويج أخوة أبناء آدم بأخواتهم

قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء...﴾ النساء/١. قال في تفسير الميزان ١٤٥/٤ ظاهر الآية أن النسل الموجود من الإنسان ينتهي إلى آدم وزوجته من غير أن يشاركهما فيه غيرهما فهو يقول: ﴿وبث منهما﴾ ولم يقل منهما وعن غيرهما ويتفرع على ذلك أمران أحدهما أن المراد بقوله: ﴿رجالا كثيرا ونساء﴾ أفراد البشر من ذريتهما بلا واسطة أو مع واسطة فكأنه قال: وبثكم أيها الناس منهما.

والثاني: أن الازدواج بعد آدم وزوجته في أولادهما بلا واسطة إنما وقع بين الأخوة والأخوات بزواج البنين بالبنات إذ الذكور والإناث كانا منحصرين فيهم يومئذ، ولا ضير فيه فإنه حكم تشريعي راجع إلى الله يبيحه ويحرمه حسب وجود المصلحة قال تعالى: ﴿والله يحكم لا معقب لحكمه﴾ الرعد/٤١.

وفي ص ١٥٤: أما الحكم بحرمة تزويج الأخوة بالأخوات في الإسلام والشرائع الأولى كما يحكى فإنما هو حكم تشريعي يتبع المصالح والمفاسد لا تكويني غير قابل للتغيير وزمامه بيد الله فمن الجائز أن يبيحه يوماً لاستدعاء الضرورة ذلك ثم يحرمه لارتفاع الحاجة وإيجابه انتشار الفاحشة في المجتمع...اهـ.

ويؤيده ما رواه في البحار ٥/ ٦١ط ق عن الطبرسي في الاحتجاج بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال سمعت علي بن الحسين(ع) يحدث رجلاً من قريش قال: لما تاب الله على آدم واقع حواء ولم يكن غشيها منذ خلقت إلا في الأرض وذلك بعد ما تاب الله عليه.... فولد لآدم من حواء عشرون ولداً ذكراً وعشرون أنثى كل بطن ذكر وأنثى فأول بطن ولدت حواء هابيل ومعه جارية يقال لها إقليما وفي البطن الثاني قابيل وجارية تسمى لوزا[1] وكانت لوزا أجمل بنات آدم فلما أدركوا تنافس الولدان عليها فقرع آدم بينهما فخرج عليها سهم هابيل فزوج كلا منهما بتوأمة الآخر ثم حرم الله نكاح الأخوات.

قال القرشي فأولداهما؟ قال(ع): نعم قال القرشي هذا فعل المجوسي اليوم فقال(ع) إن المجوس تفعل ذلك بعد التحريم من الله. أتنكر هذا؟ أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثم أحلها له فكان ذلك شريعة ثم أنزل الله التحريم.

ومثل ذلك روى المجلسي في البحار عن قرب الإسناد بسنده عن أبي نصر البزنطي عن الرضا(ع) ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ٩٣/١ عن السدى بسنده عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة الكرام أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى البطن الآخر. وذكر الثعلبي في العرائس ص ٢٧ وذكر ابن كثير في الكامل قال ولدت حواء لآدم أربعين ولداً في عشرين بطناً في كل بطن ذكر وأنثى وقد أحل للذكر منهم أن يتزوج أي أخواته شاء إلا من ولدت معه في بطن فإنها لا تحل له ولم يكن نساء إلا أخواتهم. وينسب لابن العلاء المعري أنه قال:

إذا ما ذكرنا آدما وفعاله ... وتزويجه بنتيه بابنه معلنا
تبين أن الخلق من نسل فاجر ... وإن جميع الناس من عنصر الزنا

احتجاج المجوس بما فعل آدم

وذكر التستري في قضاء أمير المؤمنين(ع) ص ٧٠ عن الصدوق القمي بسنده عن الأصبغ بن نباته أن الأشعث بن قيس الكندي سأل يوما أمير المؤمنين(ع) فقال: كيف تؤخذ الجزية من المجوس ولم ينزل عليهم كتاب ولم يبعث إليهم نبي؟ فقال (ع): بلى يا أشعث قد أنزل الله عليهم كتاباً وبعث إليهم رسولاً... حتى كان لهم ملك سكر ذات ليلة فدعا ابنته إلى فراشه فارتكبها فلما أصبح تسامع به قومه فاجتمعوا إلى بابه فقالوا أيها الملك دنست علينا ديننا وأهلكته فاخرج نطهرك ونقيم عليك الحد فقال لهم اجتمعوا واسمعوا كلامي فإن لم يكن لي مخرج مما ارتكبت وإلا فشأنكم فاجتمعوا.

---

(١) المشهور أن اقليما توأمة قابيل وأن توأمة هابيل تسمى لبودا.

فقال لهم هل علمتم أن الله خلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم وأمنا حواء قالوا: لا، قال: أفليس قد زوج بنيه من بناته وبناته من بنيه؟ قالوا صدقت هذا هو الدين فتعاقدوا على ذلك فمحا الله ما في صدورهم من العلم ورفع عنهم الكتاب فهم الكفرة يدخلون النار بغير حساب والمنافقون أشد حالاً منهم.اهـ.

ولكن فعل آدم إنما يدل على إباحة نكاح الأخوات وقد أباحه الله لعدم وجود غير الأخوات للتناسل البشري مدة وجيزة فلما انتشر الجيل الثالث من البشر حرمه الله ولكن المجوس استباحوا نكاح المحارم كلها حتى أن الدين الإسلامي شرع لهم في الميراث أحكاماً خاصة فيما إذا اعتنقوا الإسلام وهم على ما كانوا يستحلون من نكاح المحارم فتكون للوارث عدة صلات بالميت فهو أبوه من جهة وخاله لأنه أخو أمه وقد يكون جده لأمه أيضاً ولكل جهة من هذه الجهات نصيب من الإرث.

استساغة نكاح الأخوات

قال في تفسير الميزان ٤/١٥٥ والقول بأن زواج الأخوة بالأخوات خلاف الفطرة والدين الذي شرعه الله لعباده. قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ الروم/٣٠.

يرد بأن خلافه للفطرة اليوم من جهة تأديته إلى شيوع الفحشاء والمنكر وسقوط العفة عن المجتمع الإنساني أما بالأمس الغابر حيث لا يوجد إلا أخوة أخوات فلا ينطبق عليه هذا العنوان لتوقف انحدار النسل البشري عليه.

وكذلك الفطرة إنما تمقته وتأباه والغزيرة تحجم دونه لوجود المانع الديني والنهي الإلهي ووجود غيره من النكاح الذي يطفيء السعرة ويروي الغلة أما إذا لم يكن مانع ديني عنه ولا يوجد نكاح يروي الغلة غيره فلا تأباه الفطرة ولا تحجم عنه الغزيرة.

والدليل على ذلك تداوله بين الفساق والفجار عندما تعصف بهم رياح العزوبة الغلمة وتداوله بين المجوس أعصاراً طويلة وشيوعه سفاحاً في أوروبا ـ وذكر البار في الأمراض الجنسية/٦٧ ـ أن في مصر الفرعونية كان نكاح الأخت شائعاً وكان كثير من الفراعنة فيها يتزوجون أخواتهم كما أنه كان شائعاً لدى الفرس وأن الملكة حتشبوت المصرية زوجها أبوها بأخيها لأبيها وزوجت هي بنتها بولدها تحوتمس. وفي ص ٧٥ قال البار: أما الاتصال الجنسي بين الأخ

---

(١) كانت ولادته عام ١٧٨٨ وموته عام ١٨٢٤.

وأخته فيعتبره التقرير شيئاً يسيراً هيناً وربما كان حميداً وينبغي على الآباء والأمهات في عالم الغرب أن لا يهتموا بهذه العلاقة إذا لاحظوها بل يتركونها للزمن فهو كفيل بعلاجها.

وأضاف البار في الصفحة نفسها يقول أما العلاقة بين الأخ وأخته فلا ترى دائرة المعارف البريطانية فيها ضرراً كبيراً وتعتبرها مرحلة غير دائمة ولا ضرر يخشى منها في الغالب.

وقد اشتهر في القرن الـ (١٨) ميلادي أن الشاعر الإنكليزي (لورد بيرون)[١] المشهور كان يخالل أخته وينفرد فيها ويعيش معها عيشة العشاق ويفخر بذلك والمجتمع الإنكليزي يعرف ذلك ولا ينكره فكيف ونحن اليوم في قرن العشرين الذي أصيب العالم الغربي فيه بلوثة من الثورة الجنسية بكل أنواها المحظورة دينياً وعقلياً وطبياً.

وفي ص ٨٦ قال: وها هي السويد تدرس إصدار قانون يبيح رسمياً أن ينكح الأخت أخوها وسيمتد ذلك عما قريب لبقية الدول الأخرى.

منع صحة التناسل البشري من نكاح الأخوات

أما دين الإسلام فإنه وإن أحل نكاح الأخوات في أول خلق الإنسان حيث لا يوجد نساء للرجال غيرهن فإنه حرم ذلك في تناسل الجيل الثالث من وقته إلى يوم القيامة.

بل إن هناك أحاديث لا تبعد عن الصحة نقلت عن أهل البيت تعارض الأحاديث التي ذكرت إباحة نكاح الأخوات وتناسل البشر منه وشجبته بشدة وإنكار.

فذكر المجلسي في البحار ٢٢٣/١١ ط ج عن الصدوق القمي في العلل بسنده عمن سمع زرارة أنه قال سئل أبو عبد الله(ع) عن بدء النسل من آدم وذريته فهناك من يقول إن الله أوحى إلى آدم أن يزوج بنيه بيناته وأن هذا الخلق كله من نكاح الأخوة للأخوات.

فقال (ع) تعالى الله عما ذكروا علواً كبيراً أن يخلق صفوة خلقه وأنبيائه ورسله من الحرام ولم تكن له من القدرة ما يخلقهم به من الحلال وقد أخذ ميثاقهم على الحلال الطاهر واجتناب الحرام، والله لقد نبئت أن بعض البهائم تنكرت له أخته فلما نزل عليها ونزل كشف له عنها فلما علم أنها أخته أخرج غرموله ثم قبض عليه بأسنانه حتى قطعه وخر ميتاً. وآخر تنكرت له أمه ففعل هذا بعينه[١] فكيف بالإنسان في حياءه ومروته وكرامته وقد حرم الله نكاح الأخوات في الإنجيل والتوراة والزبور والقرآن وفيما أنزل على جميع أنبياءه وإنما أراد هؤلاء بقولهم هذا تقوية حجج المجوس.

---

(١) ذكر في المستطرف ٩٧/٢ أن الجمل من الأحرار حتى قيل أنه لا ينزو على أمه ولا على أخته فيقال أن أحد العرب ستر ناقة بثوب ثم أرسل عليها ولدها فنزا عليها ولما عرف أنها أمه عمد إلى أحليله فأكله ثم حقد على من أغراه بذلك وتحيز له الفرصة حتى قتله ١٠٠هـ ولكن هذا ليس شائعاً بين البهائم ثم بل الشائع المعروف عدم التميز في الضراب بينها.

قيل فكيف كان بدء النسل إذن؟

فقال (ع): إن آدم (ع) ولد له سبعون بطناً في كل بطن غلام وجارية فلما قتل قابيل أخاه هابيل جزع عليه آدم فقطعه هذا الجزع عن إتيان النساء مدة طويلة ثم غشى حواء فولدت له شيشا ـ هبة الله ـ وحده في بطن ثم ولدت له يافث أيضاً وحده فلما أدركا أنزل الله لشيث حوراء من الجنة اسمها بركة فزوجه بها وأنزل ليافث أخرى اسمها منزلة فزوجه بها فولد لأحدهما غلام والآخر جارية فلما أدركا أمر آدم أن يزوج الغلام بالجارية فمن نسلهما كان الأنبياء والأوصياء من نكاح حلال طيب لا من نكاح الأخوة والأخوات... انتهى بتصرف وتلخيص.

وفي هذا الحديث هفوات وغرابة حذفناها، أنه مرسل يعزي لمن سمع منه زرارة وهو غير معلوم، إن آدم جزع على فقد هابيل لما قتل جزعاً قطعه عن إتيان زوجته خمسمائة عام وطول الجزع واعتزال الزوجة هذه المدة الطويلة لا يناسبان مقام النبوة ولا يجتمعان مع العصمة، إن حواء ولدة لآدم سبعين بطناً في كل بطن ذكر وأنثى وهو خلاف المعقول والمأثور فالمشهور أنها ولدة عشرين بطناً فقط كما ذكرناه قريباً عن الخاصة والعامة.

وبالغض عن هذه الهفوات فإن النص لم يذكر لهذه السبعين بطناً جهة زواج محللة مشروعة فليس إلا تزويج الأخوة بالأخوات التي شدد على رفضها ونفيها... فليس في هذا الحديث الطويل إلا إثبات انحدار الأنبياء والأوصياء من حلال طيب غير نكاح الأخوة والأخوات الذي خلق منه عموم العالمين.

ولعل الأجود والأثبت من هذا الحديث في نفي انحدار النسل البشري من نكاح الأخوة والأخوات وإثبات انحداره من نسل حلال طاهر بالأصل هو ما رواه في البحار ٢٢٦/١١ ط ج عن الشيخ حسن بن سليمان في كتابه المحتضر نقلاً عن كتاب الشفاء والجلاء بسنده عن معاوية بن عمار أنه سأل الإمام الصادق(ع) عن أبي البشر آدم(ع) هل كان زوج ابنته من ابنه؟ قال: معاذ الله لو فعله آدم لما رغب عنه رسول الله(ص) وما كان آدم إلا على دين رسول الله... ثم ذكر حديثاً طويلاً ذكر فيه ملخصاً أن آدم ولد له قابيل فزوجه لما أدرك بجنية في صورة أنسية تسمى (جهانة) ثم ولد لآدم هابيل ولما أدرك زوجه بحوراء اسمها (ترك) فأحبلها وبعد قتله ولدت غلاماً سمي باسم أبيه هابيل ثم ولد لآدم شيث هبة الله ولما أدرك أنزل له حوراء تسمى ناعمة فزوجه بها فولدت له بنتاً تسمى (حورية) فلما أدركت زوجها بهابيل ابن عمها هابيل بن آدم فانحدر نسل البشر كله من حورية وهابيل بن هابيل.

ويعارض هذا الحديث ما رواه في المناقب أن طاوس اليماني سأل الإمام أبا جعفر الباقر(ع) ذات مرة عن اليوم الذي هلك ربع البشر فقال هو اليوم الذي قتل فيه قابيل هابيل فقد كان

البشر أربعة نفر آدم وحواء وقابيل وهابيل فلما قتل هابيل هلك ربع الناس فقال: فممن كان النسل والذرية من القاتل أو المقتول؟ قال لم يكن لأي منهما نسل وإنما النسل والذرية كلها من شيث ابن آدم(ع).اهـ. ومعنى هذا أن الغلام كان ابن شيث وحورية ابنة هابيل الشهيد ومنهما انحدر النسل البشري جمعاً بين النصوص.

الجزء الثاني

الزنا والبغاء



١

جريمة الزنا والبغاء

الزنا الذي حرمه الله ويستوجب فاعله الإثم والحد ولا يلحق به الولد هو مواقعة المرأة بالمباشرة بوجه ظاهر الحرمة.

فقولنا (مواقعة) يخرج اللمس والعناق والضم والقبلة فليس شيء منها زنا وإن حمل الإثم والذنب وقولنا (المرأة) يخرج اللواط فليس زنا وإن حمل بعض أحكامه فمن لاط غلاماً فأوقبه حرمت عليه أم الغلام كأم الزوجة وبنته كالربيبة وأخته كأخت الزوجة كما تحرم على من زنا بامرأة أمها وبناتها ويخرج وطء البهيمة فليس زنا وإن كان فيه الإثم.

وقولنا (بالمباشرة) يخرج الجماع باستعمال الغلاف فإن في أهل الخلاف من يحله مع الأجنبية أما عندنا معشر الإمامية فهو زنا واضح ولكن لا يقام به الحد لعدم التقاء الختانين.

وقولنا (بوجه ظاهر الحرمة) يخرج النكاح الحلال بجميع أنواعه فإنه ليس زنا حتى النكاح في الأديان الأخرى فلو أسلم الزوجان الكافران أقر الإسلام زواجهما وإن لم يكن مشتملاً على عقد أو صداق إلا أن يكون فجوراً وهو أن يتزوج إحدى محارمه في النسب.

ويخرج وطء الشبهة فإنه حرام ولكن ليس ظاهر الحرمة لجهل الطرفين أو أحدهما بالطرف الآخر ويخرج نكاح اللقية فإنه ظاهراً حلال ولكنه حرام باطناً لعزم الزوج فيه على غصب الصداق وكلا النوعين ليسا زنا وإن أمكن فيهما احتمال الإثم. فإن كان الزنا بالتعريف المذكور مع العمد والعلم والاختيار حمل الأحكام المتعلقة به كلها إثماً وحداً ونسلاً وإن كان مع الخطأ فهو وطي شبهة وإن كان مع جهل التحريم لم يحمل الإثم فقط وإن كان مع الإكراه القسري لم يحمل الإثم ولا الحد ومع الإكراه الطبيعي كاشتداد الغلمة وعنف الغريزة لا يحمل الإثم ولكن يحمل الحد الشرعي لتعذر إقامة بينة على ثبوته فإن كان مكرهاً بالعنت واقعاً كان إقامة

الحد عليه تمحيصاً لذنوبه أو ليرفع مقامه في الآخرة وبذلك يندفع الإشكال الذي أورده الشاعر إيليا أبو ماضي في الطلاسم بقوله:

أي فرق بيننا والخمر عند الاضطرر فلماذا حد زانينا وما حد الحمار
أين من يملك عقلاً عند من تنضى الازار وهو قد جن اغتلاماً وهي تعوي
لست أدري.

وللجواب أن الحمار لا تكليف عليه لعدم عقله أما الإنسان الذي عصفت به رياح الغلمة فانهارت أعصابه أمام الفتاة العارية فلا إثم عليه لقول النبي(ص) رفع عن أمتي الجهل والنسيان وما استكرهوا عليه وما اضطروا إليه وإقامة الحد عليه تمحيص لذنوبه.

والبغاء والزنا يعتبران أكبر معول في هدم العفة والمروة والطهارة والثروة وطيب العيش ورغد الحياة والحرية والاطمئنان والأمان قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ الإسراء/٣٢.

لأنه على حد الشرك والكفر بالله في الإثم والإجرام ففي الوسايل ٢٣٣/١٤ عن الصدوق بإسناده عن العلاء عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر(ع) قال: قال رسول الله(ص): لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر الشارب حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن. وكان أبي يقول إذا زنا الزاني فارقه روح الإيمان وفي ص ٢٣٥ عن الصدوق بسند عن ابن بكير قال: سألت أبا جعفر(ع) عن قول النبي(ص): إذا زنا الزاني فارقه روح الإيمان قال: إنه يعني قول الله تعالى: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ ـ المجادلة/٢٢ ـ ذاك الذي يفارقه.اهـ. ومعنى هذه الروح الصلابة والقوة والعزيمة التي يبعثها الإيمان في نفوس أهله وحملته والتي تدفعهم إلى المضي قدماً في إقامة الدين والجهاد في سبيل الله لا يردهم عنه شيء فإذا استمر المؤمن على الزنا وفعل المحرمات ضعفت هذه الروح وانهارت العزيمة في مواجهة أتفه الأسباب فوقعت الهزيمة وتسلط الأعداء على أموال المسلمين وحقوقهم وفي معناه الحديث: من خاف الله خاف منه كل شيء ومن لا يخاف الله خاف من كل شيء.

وفي ص ٢٣١ عن علي بن سويد عن أبي الحسن (ع) قال: إياك والزنا فإنه يمحق البركة ويهلك الدين وفي حديث آخر: ويبطل الدين.

٢

أضرار الزنا وبوائقه

وإنما حرم الله الزنا وتوعد عليه وزجر الناس عن اقترابه لما فيه من الأضرار والبوائق الوخيمة الحيوية والاجتماعية والاقتصادية والمعنوية والحضارية في فعله والاكتساب به وممارسته والاستمرار عليه وانتشاره.

انتشار الأوبئة والأسقام

ففي الوسايل ٢٣١/١٤ عن الكليني بسنده عن أبي عبيدة عن أبي جعفر عن النبي(ص) قال: إذا كثر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة ورواه البرقي في المحاسن.

وفي ص ٢٣٢ عن الكليني بسنده عن عبد الله بن ميمون القداح عن الصادق(ع) قال النبي يعقوب(ع) لابنه بنيامين: يا بني لا تزن فإن الطير لو زنى لتناثر ريشه.اهـ. يعني لو زنى لتعجل عليه الفناء والزنا في الأطيار هو أن يعتدي الذكر منها على أنثى غيره مع العلم بذلك فقد ذكر قبل هذا الحديث عن محمد بن مسلم قال سألت الصادق عن قوله تعالى: ﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ طه/ ٥٠ قال: ليس شيء من خلق الله إلا وهو يعرف الذكر والأنثى من شكله وهداه الله للنكاح الحلال والسفاح المحرم. وعن علي بن إبراهيم بسنده عن الفضيل عن أبي جعفر عن النبي(ص) في وصية النبي في الزنا خمس خصال منها أنه ينقص العمر وعن الصدوق في الفقيه والخصال في وصية النبي لعلي(ع) وفي حديث الصدوق عن أبي جعفر الذي سبق ذكره بعد قوله: إذا زنى الزاني فارقه روح الإيمان قال رسول الله الزنا يورث الفقر ويدع الديار بلاقع.اهـ.

أما السبب في ظهور موت الفجأة وقصر الأعمار بانتشار الزنا والبغاء فهو انتشار الأمراض الزهرية التي تحدث بتعاقب المياه التي تصبها الفحولة في فروج البغايا من الحيوانات المنوية فقد

تتحول إلى جراثيم وميكروبات تعدي الأعضاء التناسلية ثم تعم عدواها الجسم كله بالجرب والالتهاب والبثور كما سيأتي الحديث عنه في الإيدز الذي يحدث من اللواط.

إصابة مدينة بالطاعون من انتشار الزنا

وذكر الواعظ ١٨٧/٣ عن المجلسي في البحار بسنده عن معاوية بن عمار رفعه ـ عن الصادق(ع) ـ أن النبي يوشع بن نون لما سار بيني إسرائيل بعد وفاة موسى لقتال العمالق بأرض الشام فتحها مدينة مدينة حتى انتهى إلى مدينة فيها بلعم بن باعوراء وهو من أهل الكتاب وعنده اسم الله الأعظم الذي لا يدعى الله به إلا استجاب وهو المنافق الذي عناه الله بقوله: ﴿واتل عليهم نبأ الذي أتيناه فانسخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه..﴾ الأعراف/١٧٦ فحاصرهم يوشع بجنوده وسألهم النزول على حكمه أو القتال فتهيب ملكهم من قتال يوشع وبعث إلى بلعم بن باعوراء ليستشيره فركب حماره قاصداً مقابلة الملك فعثر به الحمار ولم يكن ذلك من عادته فدعا الله أن ينطق الحمار لاستجوابه فنطق الحمار وقال إني لم أعثر ولكن ملكاً من خلفي دفعني وهذا جبرئيل أمامي ينهاك أن تدعو على الغزاة لو سألك الملك ذلك فلما أتى الملك سأله أن يدعو على الغزاة فقال أيها الملك إنه ليس للدعاء عليهم من سبيل لأن قائدهم نبي من الأنبياء لا يسمع الدعاء عليه ولكن الرأي في ردهم وهزيمتهم أن تأمر النساء أن تتزين وتتطيب وتغشى صفوفهم وتدخل في أوساطهم ويتعرضن للرجال فإذا انتشرت بينهم الفاحشة وقع بهم الوباء وحل الفناء فيهم بغير قتال.

فلما دخلت النساء العسكر ووقع فيهن الرجال انتشرت الفاحشة واقتتلوا في ما بينهم عليها فظهر فيهم الوباء ومرض الطاعون وهو الذي يعرف اليوم بمرض (الكيوليرا) وهو مرض وبائي سريع الانتشار والعدوى ولا يشفي منه إلا التطعيم والتزريق بجرعات معينة ولم تكن تعرف تلك العصور فمات منهم نحو سبعة آلاف في (١٤) يوماً وأوصى إلى يوشع بما حدث وأمره الله أن يعود بالباقين.اهـ. نقلته بالمعنى مع بعض التصرف.

نزع البركة من الأموال وقلة الدخل

ومن آفات انتشار الزنا وأضراره نزع البركة من الأموال وشياع البطالة وقلة الدخل لما يستهلكه الناس في سبيل تحقيق رغباتهم وبلوغ شهواتهم من الزنا فإن الزانية ليست كالزوجة تقنع بالقليل من زوجها إذ لا سبيل لها إلى غيره بل الزانية لا تستجيب لرغبة قرينها إلا أن يحكمها في أمواله وممتلكاته لتصرفها في الطيب والزينة وما يرفع قدرها عنده وعند الناس على

أمثالها ونظايرها فإن لم يستجب قرينها لرغبتها قتلته لتحتوي على أمواله أو هجرته واقترنت بغيره وذلك أشد عليه من القتل أن يرى فريسته أو حبيبته عند غيره.

ففي حديث الفضيل السابق عن أبي جعفر(ع) أن في الزنا خمس خصال منها أنه يورث الفقر. وفي حديث وصية النبي لعلي(ع) أنه فيه ست خصال منها أنه يقطع الرزق وكذا حديث ابن ميمون القداح عن الصادق(ع) وفي الوسايل ٢٣٢/١٤ بسنده عن علي بن سالم عن أبي إبراهيم(ع) قال: اتق الزنا فإنه يمحق الرزق ويبطل الدين وفي ص ٢٣١ عن الكليني بسنده عن علي بن سويد عن أبي الحسن (ع) قال: ... وإياك والزنا فإنه يمحق البركة ويهلك الدين. وفي عرائس الجنان ٣١٥/٢:

قالت أراك خلي الكيس قلت لها ... الكيس أخلاه كيس أسقطت ياه
قالت لحنت فما أخلاه ذلك بل ... الكيس زبد بحذف الدال أخلاه

ذهاب العفة

ومن آفات الزنا الوخيمة ذهاب العفة فإن الزاني إذا اعتاد غشيان نساء الناس وبناتهم لم يشق عليه أن تغشى نساؤه وبناته لانتزاع الحياء والعفة من نفسه ففي الوسايل ٢٣٦/١٤ عن البرقي في المحاسن بسنده عن الفضل بن أبي فرة عن الصادق(ع) قال: إن الله أوصى إلى موسى (ع): لا تزنوا فتزني نساؤكم ومن وطيء فراش امرىء مسلم وطيء فراشه كما تدين تدان.

وفي الوسايل ٢٦٩/١٤ عن الصدوق بسنده عن إبراهيم بن أبي البلاد عن الصادق(ع) قال كانت امرأة على عهد داوود(ع) يأتيها رجل يستكرهها على نفسها فألقى الله يوماً على لسانها فقالت: إنك لا تأتيني مرة إلا وعند أهلك من يأتيهم قال: فذهب فوراً إلى أهله فوجد عندها رجلاً فأتى به داوود(ع) يأتيها رجل يستكرهها على نفسها فألقى الله يوماً على لسانها فقالت: إنك لا تأتيني مرة إلا وعند أهلك من يأتيهم قال فذهب فوراً إلى أهله فوجد عندها رجلاً فأتى به داوود(ع) وقال يا نبي الله وجدت هذا الرجل عند أهلي فانتقم لي منه فأوصى الله إلى داوود أن قل له لا انتقم لك منه حتى انتقم لفلان منك على إتيانك أهله فكما تدين تدان وفي العرائس ٣١٥/٢:

أتغشى نساء الناس ثم تريد في ... نسائك منهم أن يكون أمان
كما كنت تغشاهم سيغشونك الورى ... وأنت كما فيهم تدين تدان

وبإسناده عن أبي جعفر(ع) قال كان فيما أوصى به إلى موسى(ع) من زنى زني به ولو في العقب من بعده يا موسى عف يعف أهلك وعن الكليني بسنده عن عبيد بن زرارة قال قال رسول الله(ص) بروا أباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم.

وبسنده عن درست بن عبد الحميد عن أبي إبراهيم(ع) عن النبي(ص) أنه قال تزوجوا إلى آل فلان فإنهم عفوا فعفت نساؤهم ولا تزوجوا النبي فلان فإنهم بغوا فبغت نساؤهم.

وذكر المؤرخون أن جعفر ابن أبي طالب الطيار(رض) لما أسلم على يدي النبي(ص) أوصى الله إليه أني شاكر لجعفر ثلاث مكرمات سبق بها أهل مكة وفاز بها عليهم فاسأله عنهما يا محمد واعلم الناس بها ليقتدوا به فيها فسأله رسول الله(ص) فقال والله لولا أن الله أعلمك لما كنت أحب أن أعلم أحداً بها لأني ما قصدت بها إلا وجهه الأولى أني ما سجدت لصنم قط فإن من إهانة المرء نفسه أن يسجد لحجر أو خشب ينحته لا يضره ولا ينفعه. و(الثانية) أني ما زنيت قط لأني لم أجد من زني ببنات الناس إلا زنى الناس بنسائه.

الحاق أولاد بغير آبائهم

ومن آفات الزنا الاجتماعية أن الزانية إذا حملت من الزنا فإما أن تهلك أولادها أو تنبذهم عرض الطرقات ليكونوا لقطاء وتكون السبب في ضياعهم أو هلاكهم وفي كل أمر من هذه الأمور آثام كبيرة لا يحتمل جزاؤها يوم القيمة لأنه داخل في قتل النفس المحرمة.

وإما أن تكون ذات بعل فتلحقهم ببعلها فتفرض عليه ما لا يلزم به وتعطيهم من ماله ما ليس لهم فيه حق وتسلطهم على نسائه بأنهن محارم لهم وهن لسن بمحارم فينظرون ويباشرون ما قد حرم الله عليهم باعتقاد أنه حلال لهم وفي كل ذلك آثام بالغة الخطورة.

ففي الوسايل ٢٣٧/١٤ عن الكليني بسنده عن محمد بن مسلم عن الصادق(ع) قال: ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم... منهم: المرأة توطى فراش زوجها غيره وعن علي بن إبراهيم بسنده عن إسحاق بن هلال عن الصادق(ع) عن أمير المؤمنين(ع) قال ألا أخبركم بأكبر الزنا هي امرأة توطى فراش زوجها غيره فتأتي بولد من غيره فتلزمه زوجها فتلك التي لا يكلمها الله ولا ينظر إليها يوم القيامة ولا يزكيها ولها عذاب أليم، وبسنده عن السكوني عن الصادق(ع) قال اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على أهل بيتها ولداً من غيرهم فأكل من خيراتهم ونظر إلى عوراتهم.

التلقيح الصناعي

ويلحق بهذا النوع من الزنا (التلقيح الصناعي) الذي تتعاطاه بعض الدول غير الإسلامية وهو إعارة الرجل العقيم أولاداً من غيره بأن تؤخذ النطفة أو السائل المنوي من رجل مخصب فتوضع بطريقة مستحدثة في رحم امرأة فيتكون جنيناً ويعتبر ولداً لزوجها العقيم وهو ليس من مائه فإنه من نوع التبني الذي كانت أهل الجاهلية تعمل به وألغاه الإسلام قال تعالى: ﴿... وما جعل

أدعياء كم أبناء كم... ادعوهم لآباءهم ـ وهو قسط عن الله ـ فإن لم تعلموا آباءهم﴾ هم ﴿إخوانكم في الدين ومواليكم..﴾ الأحزاب/٥.

وعلى التلقيح الصناعي يحمل الفقهاء الأحاديث المذكورة في الوسايل ٢٣٩/١٤ عن الكليني بسنده عن علي بن سالم عن الصادق(ع) قال: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أقر نطفته في رحم يحرم عليه. وعن الصدوق عن النبي(ص) قال: لن يعمل ابن آدم عملاً أعظم عند الله من رجل قتل نبياً أو إماماً أو هدم الكعبة أو أفرغ ماءه في امرأة حراماً.

فهذه الأحاديث كما يجوز أن تعني إفراغ الماء في الأرحام المحرمة عن طريق الزنا والمواقعة المحرمة يجوز أن تعني إفراغ ماء رجل أجنبي في رحم ذات بعل فإن ذلك بصدق عليها لكنه لا يوجب الحد.

فساد النسل بخلق أجيال شريرة

ومن آفات الزنا وأضراره فساد النسل وانتاج أولاد شريرة تكون بلاء على المجتمع ووباء على الأمة فقد ذكر الشيخ محمد علي دخيل في كتابه (الزنا) ص ٤١ عن لئالىء الأخبار أن جماعة من المعتزلة اجتمعوا يوماً في مجلس المأمون العباسي فاستعرضوا الجرائم والكبائر واتفقوا على أن أكبرها إثماً وأعظمها جرماً هو قتل النفس الزكية بغير حق فقال أبو الحسن الرضا(ع) ألا أخبركم بما هو أعظم من قتل النفس قالوا بلى قال أعظم من القتل الزنا لأن القاتل إنما أفسد النفس التي قتلها ولم يحدث غيرها ولا بعدها فساداً لكن الزاني قد أفسد بعمله النسل إلى يوم القيامة وأحل المحارم.اهـ. لأن أولاد الزنا واللقطاء لا يكونون غالباً إلا شاذين في أجسامهم وأخلاقهم وطباعهم فابن الزنا إذا شعر بأنه يتيم الأبوين مقطع الأطراف ولد هذا في نفسه حقداً وغلاً على الناس كلهم باعتقاده أنهم ظلموه وغصبوه حقه من الحياة فلا يكون له هم ولا أرب إلا في الانتقام منهم بالقتل والسلب والنهب ليستوفي حقه منهم.

ففي المواعظ ١٩٦/٣ عن العياشي في تفسيره عن الصادق(ع) قال ينبغي لولد الزنا أن لا تجوز له الشهادة ولا يؤم بالناس لم يحمله نوح في السفينة وقد حمل فيها الكلب والخنزير وفي الوسايل ٣٣٨/١٤ عن محمد بن يحيى بسنده عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر(ع) قال: لا خير في ولد الزنا ولا في بشره ولا في شعره ولا في لحمه ولا في دمه ولا في شيء منه عجزت عنه السفينة وقد حمل فيها الكلب والخنزير.

ومثل ذلك أحاديث كثيرة بهذا المعنى ذكرها في الوسايل ٣٩٧/٥ صحيحة عن أهل البيت(ع) لا تجيز إمامة ولد الزنا في الصلاة كما ذكر البعض أنه لا يحل له أن يتولى منصب القضاء والحكم بين الناس قال بعضهم:

يشترط القضا بقول بين ... ببالغ كامل عقل مؤمن
عدل من الذكور زاكي المولد ... وعالم لقب بالمجتهد

وإنه مهما بلغ من الإيمان والصلاح لا يدخل الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين فإن أدخل الجنة كان من ضيفان أهل الجنة كما ورد هذا في من ترك زيارة قبر الحسين(ع) مدة حياته وهو يدعى التشيع وموالاة أهل البيت(ع)، وإن عاقبته لا تكون إلا سيئة ففي الوسايل ٣٣٩/١٤ عن الصدوق في عقاب الأعمال بسنده عن أبي خديجة عن أبي عبد الله(ع) قال لو أن أحداً من ولد الزنا نجا ـ أي كانت عاقبته حسنة ـ لنجا سايح بني إسرائيل قيل: وما سايح بني إسرائيل؟ قال كان عابداً من أفضل العباد فسمع مرة أنه لقيط من أولاد الزنا وإن ولد الزنا لا يطيب أبداً ولا يقبل الله منه عملاً فتخلى عن العبادة وذهب يسيح بين الجبال ويقول ما ذنبي حتى انصب نفسي بالجوع والظمأ والسهر بلا جدوى ولم يمت إلا جاحداً لربه.

معنى قوله تعالى ﴿أنه ليس من أهلك﴾

وهنا ملاحظة يجب الانتباه إليها وهي أن ما ورد في أحاديث أهل البيت وغيرهم المروية عن النبي(ص) بأن نوحاً(ع) حمل الكلب والخنزير في سفينته للنجاة من الغرق في الطوفان ولم يحمل ولد الزنا يشير إلى أن ولد الزنا هو كنعان بن نوح الذي سأل ربه في نجاته بأنه من أهله الذين وعد بنجاتهم ﴿وقال نوح رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين. قال يا نوح إنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح..﴾ هود/٤٦ وإن قوله ليس من أهلك إشارة إلى أنه ليس من صلبه بل وليد عمل غير صالح وهو الزنا وأن هذه هي الخيانة التي ذكرها في قوله: ﴿وضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما..﴾ التحريم/١٠. بأن الخيانة هنا هي الزنا كما هو معناها الظاهر وهذا يثبت جواز الخطأ على نساء الأنبياء وقد ردته أحاديث صحيحة ورده الإمام الرضا(ع) كما هو مذكور في كتاب (العيون) بأن الأنبياء لا يليق بمكانتهم الدينية أن تكون نساؤهم بغايا يأتين الفاحشة بل يجب أن تكون بيوتهم بيوت طهر وقداسة وعفة ونزاهة كما في قوله: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ الأحزاب/٣٣ وأيضاً فإن ولد الزنا شرك شيطان والشيطان لا يشارك النبي في أهله لقوله تعالى: ﴿إلا عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ الحجر/٤٢ كما حققناه في ج ١ من عقيدة النبوة.

اشتراك الشيطان في نسل الزناة

وإنما تسيء أخلاق أولاد الزنا وتتنكر طباعهم لاشتراك الشيطان في تكوين خلقهم وبناء أجسامهم وطباعهم كما في قوله تعالى: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم

بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ الإسراء/٦٤ وفي الوسايل ٢٣٥/١٤ عن الصدوق في عقاب الأعمال بسنده عن عبد الله بن أعين عن أبي جعفر(ع) قال: إذا زنى الرجل أدخل الشيطان ذكره فعملا جميعاً فكانت النطفة واحدة وخلق منها الولد.

فكان شرك شيطان وفي الوسايل ٢٥٣/١٤ عن الكليني بسنده عن عطية قال: سئل الصادق(ع) عن المنكوح من الرجال قال قد شرك فيهم ابن لابليس يقال له زوال فمن شرك فيه من الرجال كان منكوحاً ومن شرك فيه من النساء كانت من المومسات.

وقد ذكرنا تفسير هذه المشاركة في بحث الجبر في العدل الإلهي وفي المصافحة في مبحث اللواط وفي التسمية عند المواقعة في (كيف يلتقي الزوجان) بأن الإنسان يغلب عليه عنصر الشيطنة من الكبر والعجب والعصبية والجرأة على فعل الجرائم والجنايات.

وإنما يتعلق بعداوة أهل البيت والأنبياء والأوصياء لأنهم يهاجمونه ويحاربونه ويحملون الناس على مقاطعته وهجره ففي الوسايل ٥٦٨/٢ عن الشيخ الطوسي بسنده عن إبراهيم القرشي قال: كنا يوماً عند أم سلمة المخزومية ـ إحدى أمهات المؤمنين ـ فقالت لقد سمعت رسول الله(ص) مرة يقول لعلي بن أبي طالب(ع) يا علي لا يبغضكم إلا ثلاثة ولد زنا ومنافق ومن حملت به أمه وهي حائض ومثله عن أبي أيوب عنه(ص) قال: يا علي لا يبغضك إلا منافق أو ولد زنية. وذكر الشيخ فخر الدين بن طريح النجفي في المنتخب ١٠٢/١ أن يزيد بن معاوية قال للإمام الحسن(ع) يوماً يا حسن إني قد كنت أبغضك وأبغض أباك فقال(ع): ذلك لأن الشيطان شارك أباك في وقاعه عند حمل أمك بك فاختلط الماءان فلذاك كنت تبغضني وكذلك الشيطان شارك جدك حرباً في وقاعه بجدتك فلذلك جدك يبغض جدي وتحملت أنت وأبوك عداوتي ثم تلا قوله تعالى: ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾.

الزنا يتسبب في تحريم النكاح الحلال

ومن آفات الزنا وبوائقه أنه يتسبب أحياناً في تحريم النكاح الحلال وتحويل الأجر وزرا والثواب عقاباً فقد اتفق الفقهاء على أن من زنا بامرأة حرمت عليه أمها وبنتها من غيره فكانها تحولت زوجة له ولا يعد تحريم أختها عليه ما دامت هي على اتصال دائم به ففي الوسايل ١٤/ ٣٢٢ عن الكليني بسنده عن محمد بن مسلم عن أحدهما أنه سئل عن الرجل يفجر بالمرأة أيتزوج ابنتها؟ قال: لا، وعن أبي علي الأشعري بسنده عن عيص بن القاسم عن أبي عبد الله(ع) قال إن كان زنى بالمرأة وأفضى إليها ـ أي أولج فيها عضوه التناسلي ـ فلا يتزوج ابنتها وإلا فله أن يتزوجها ونصوص مثله كثيرة.

أما الأحاديث التي تبيح له ذلك فإنها تحمل على الزنا المتأخر أي تزوج امرأة ثم زنا بأمها أو

بابنتها من غيره فإن الحرام لا يحرم الحلال السابق، أو تحمل على مقدمات الزنا كالضم والقبلة والملاعبة وكذا تحرم أمها بالأولوية ولما ذكر في الوسايل ٣٢٥/١٤ عن الكليني بسنده عن محمد بن مسلم عن أحدهما قال: سألته عن رجل فجر بامرأة أيتزوج أمها من الرضاعة أو ابنتها؟ قال: لا.اهـ. فإذا حرم شيء بالرضاعة فهو بالنسب أولى أن يحرم.

واتفق العلماء على أن من زنى بذات بعل حرمت عليه مؤبداً حتى لو طلقها زوجها أو مات عنها ولعل هناك نصاً يدل عليه.

وأكبر مفسدة في الزنا أنه يحمل من اعتاده على هتك الأعراض واقتحام المهالك لقول رسول الله(ص) في الصحيح لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن أي لا يقتحم الفحشاء إلا وقد خرج روح الإيمان من قلبه وأكبر شاهد على ذلك ما يرتكبه الزناة من الآثام بغير مبرر كما تصفه به أهل.

الزنا في عالم الأدب

وقد ذكرنا فيما تقدم أن الزنا يتسبب بصاحبه في أضرار بالغة فمنها قصر العمر وسلب الحياء وذهاب العفة وذهاب بالغنى والثروة.

وفي كتاب (الزنا) لعلي محمد علي دخيل/١٤٣ قال بعضهم:

عفوا تعف نساؤكم في المحرم ... وتجنبوا ما لا يليق بمسلم

إن الزنا دين فإن أقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

من يزن يزن به ولو بحماته ... ومن اعتدى في العرض غُرّمَ في الدم

يا هاتكاً حرم الرجال وقاطعاً ... سبل الكرامة عشت غير مكرم

لو كنت حراً من سلالة طاهر ... ما كنت هتاكاً لحرمة مسلم

وقال المؤلف في رجلين أودع كل منهما زوجته ليسافر معها:

عند الزبير تفارق الزوجان ... كل خلا سفراً بزوج الثاني

فالضيف ثمة والمضيف تبادلا ... زوجيهما كل نأى بمكان

كل يساور زوج صاحبه وإن ... صبحت رماها منه بالبهتان

ما قيل في ذهاب الثروة بالزنا

في العرائس ٣١٧/٢: كتب علي بن الجهم لجارية يهواها:

خف الله فيمن قد بتلت فؤاده ... وتيمته حتى كأن به سحرا

دعي البخل لا أسمع به منك إنما ... سألتك شيئاً ليس يعري لكم ظهرا

أجابه صاحب الديوان عن لسان الجارية:

نعم رمت شيئاً ليس يعري لنا ظهرا ... ولكنه يملي لنا البطن والصدرا
وإن عراء الظهر أهون من حر ... بفحشاء يملي البطن من نسلها عهرا
وإن الزنا يملي البطون بنسله ... ومن جلبه للفقر يعرى لكم ظهرا

* * *

قالت أراك خلي الكيس قلت لها ... الكيس أخلاه كيس أسقطت ياه
قالت لحنت فما أخلاه ذلك بل ... الكيس زبد بحذف الدال أخلاه

* * *

ونظير هذين البيتين في التورية:

هذا أميري بحذف الميم في عطش ... فهل ترويه من كاس بلا ألف
قالت حربي بحذف الباء في سقم ... فإن تحرك كاف الذكر منك شفى

وما جرى في الأمثال:

ثلاثة في الناس تذهب الغنى ... هي البناء والقمار والزنا
أما القمار والبنا يخلفه ... مال ويخلف الزنا حتم الفنا

وقال نزار قباني في (البغى):

علقت في بابها قنديلها ... نازف الشريان محمر الفتلية
في زقاق ضوأت أوكاره ... كل بيت فيه مأساة طويلة
غرف ضيقة موبوءة ... وعناوين لمادى أو جميلة
وبمقهى الحي حاك هرم ... راح يجتر أغانيه الذليلة
وعجوز خلف نرجيلتها ... عمرها أقدم من عمر الرذيلة
إنها امرأة البيت هنا ... تشتم الكسلى وتسترضي العجولة
وأمام البيت صعلوك هوى ... تافه الهيئة مسلوب الفضيلة
يعرض اللحم على قاضمه ... مثلما يعرض سمّار خيوله
هذه جاءت حديثا سيدي ... ناهد مازاد في دور الطفولة
وإذا شئت فرافق هذه ... إنها أشهى من الخمر الأصيلة
أي رق مثل أنثى ترتمي ... تحت شاريها بأوراق ضئيلة
قيمة الإنسان ما أحقرها ... حسبوها غاية وهي وسيلة
وشجار دائر في منزل ... وسكارى ونكات قذرة
من رآهن قوارير الهوى ... كنعاج بانتظار المجزرة
كم صبايا مثل ألوان الضحى ... أفسدتهن عجوز خطرة

وقال بعضهم:

ألمّا علـى دارٍ لـواسـعـة الحبـل ... ألـوف تسـاوى صـالـح القـوم بـالنـذل
ولـو شـهـدت حجـاج مكـة كـلـهـم ... لامسـوا وكـل القـوم منـهـا عـلـى وصـل

وقال آخر:

تقول أنا العصما محصنة النهى ... فما خنت لي بعلاً ولا طحت في ذنب
ومـا هـي إلاّ نـظـرة وتـبـسـم ... فتسبل رجليها وتسقط للجنب

وقال آخر:

فلا تكثري قولاً منحتك ودنا ... فكم حاز وداً في لقاك غريب
تقولين لم يعرفك شخص من العدى ... وللقابس العجلان منك نصيب

وقال آخر:

تواقع في وقت قصير جماعة ... فإن أنقصوها أكملتهم برابع
وكنت أسميها النوار فأصبحت ... لكثرة من تأتيهم أم جامع

وقال حسين بن أحمد بن الحجاج البغدادي في قصيدته التي أولها: (يا صاحب القبة البيضاء في النجف) في هجاء ابن مسكرة.

من كل ما سوكة فهيا وموسة ... رقحاً وزانية رسماء لم تضف
وكـل عـاهـرة لحنـاء مـن شـبـق ... عض الحلاق بها في القلب والشغف
تهوى من السود من يبدو له عرد ... كالزند في الطول والغرمول في القلف
فواحش رافعات الدهر أرجلها
فترقى برماح لا نظير لها ... يربو العجال بها في الرهز والرجف
بـكـل رمـح غـلـيـظ أجـرد عـرد ... كعود سحر ومخضود من السعف
مدملج مثل رأس الهر فيشته ... غلظ الطبيعة صلب العود والهيف

* * *

عليه تبرك حتى القعر تبلغه ... فتثني وهو فيها غير منحرف
تقول اخرجوا شحذه وعد لغباً ... لجاره الصرم وافرج جنبي الردف
فإن قضيت حقوق الصرم فارم به ... في جاره الأول الملهوف باللهف
حتى إذا بلغ الإنزال فالوبه ... في المسلكين وحتى القعر لا تخف

٣

البغاء العلني في الجاهلية

البغاء هو احتراف المرأة بالزنا وهو قسمان: سرّي وعلني وكل منهما يمارسه العرب في الجاهلية ومارسوه في الإسلام والحديث عن ذلك يستدعي فرحات.

الزنا عند العرب

ويختلف عنوان الزنا عند العرب باختلاف رتبهم وأجناسهم فأهل الخسة والدناءة منهم لا يبالون بما يلحقهم فيه من ذل وعار وخزي وصغار كبني هذيل وسلول وفزارة وتميم وبني عبد شمس فرئيس بني تميم حاجب بن زرارة التميمي قد تزوج ابنته وأولدها ولم يفارقها إلاّ بالموت. وقال البرقوقي في شرح ديوان حسان إن هذيلاً لما أرادت الإسلام سألوا رسول الله أن يحل لهم في الإسلام الزنا لأنهم يعيشون بما تكسبه نساؤهم منه والرجل منهم لا تكفيه زوجة واحدة ولا يقدر أن يعيل أكثر من واحدة فعيرهم حسان بذلك فقال:

سألت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما جاءت ولم تصب
أما تحسون ــ إذ تبغي نساؤكم خزياً يدنسكم عاراً مدى الحقب

وممن اشتهر بالعهر والزنا في الجاهلية أمية بن عبد شمس الذي يغتصب الفتيات وتعرض ذات مرة لامرأة من بني فهرة فضربه رجل منهم بالسيف وفي الإسلام المغيرة بن شعبة.

وأما أولو المجد والشرف من العرب كبني مخزوم وبني هاشم وبني زهرة فإنهم لا يزالون يتحلون بالعفة والطهارة قبل الإسلام فهذا عبد المطلب بن هاشم ينهي العرب عن نكاح نساء الآباء لقربه من المقت والسفاح وهذا جعفر بن أبي طالب لما أسلم مدحه الله بأنه لم يستسغ ما تعمق الناس فيه وهو عبادة الأوثان وشرب المسكر والزنا ولما سأله رسول الله عما منعه من الزنا

قال: منعني غيرتي على عرضي فإني ما رأيت من زنى بنساء الناس إلاّ زنى الناس بنسائه وكما تدين تدان كما أن زنا الفتاة يقع لطخة عار على قومها.

ولـربمـا دنـس الـفـتـى حـال الـصـبـا يـعـفـى ويـنـسـى عـنـدمـا هـو يـكـبـر
لـكـن خـطـا الـبنت لا يـنـسـى ولا يـعـفـى وعـار فـي الـعـشـيـرة يـذكـر
إن الـفـتـاة إذا بـغـت كـزجـاجـة إن الـزجـاجـة صـدعـهـالا يـجـبـر

كما أن العرب كانت تعاقب الفتاة إذا مارست الفاحشة بالزجر والضرب وإن لم تمتنع حكمواعليها بالسجن في بيت أهلها مدى الحياة وهي العقوبة التي اختارها الله تعالى في أول الإسلام، فقال تعالى: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً﴾ النساء/ ١٥.

كما أنهم كانوا يفرقون بين الصبيان والفتيات في المضاجع إذا بلغوا سبع سنين كما أمر الله به في الإسلام في السنّة النبوية ويضربون الصبي إذا غبط الصبية أي ضرب على عجزها عامداً والصبية إذا تعرضت للصبي أن يكشف عنها وبمثل ذلك جاء الإسلام في قوله تعالى: ﴿فإن تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيماً﴾ النساء/١٦.

ثم رأت الحكمة الإلهية أن الأفضل في عقوبة الزناة الضرب المعجل لما في الحبس والإمساك في البيوت من إحراج على السكان فقال تعالى ناسخاً للحكم الأول: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدة منهما مائة جلدة...﴾ النور/٢ على التفصيل الذي سنفيض الحديث عنه فيما يأتي إنشاء الله.

من اشتهر من نساء العرب بالبغاء

أما البغاء العلني في الجاهلية فقد اشتهرت فيه نساء كثيرات نذكر منهن على جهة المثال لا الحصر:

١ ـ ظلمة بنت حيان الهذلية

ذكر الدميري في حياة الحيوان ٤١٠/٢ أنها امرأة من هذيل كانت شديدة الغلمة زنت أربعين سنة وقادت ـ أي مارست القيادة وهي دلالة الشطار على البغايا ـ أربعين سنة فلما عجزت عن الزنا والقيادة وشاخت ورغب الناس عنها اتخذت لها حملاً وعنزاً تحرش بينهما فإذا نزا الحمل على العنز أمسكت عضوه وأولجته في حياء العنز فإذا سئلت عن ذلك قالت إنها تأنس من ذلك بهجة ولذة وضرب بها المثل فقالوا أزنى من ظلمة وأشبق من ابنة حيان.

وذكرت في مراقي الأصول ١٠٣/٢ ـ مخطوط ـ أنها كانت أيام الصفر تسرق أدوات

الصبيان من المكتب فلما شبت مارست البغاء ورفعت لها راية في سوق عكاظ وعلم في أيام منى عند مسجد الخنيف تقصدها جماهير الحجيج فترويهم كلهم من غير مغالاة في الأجرة.

وفي مجمع الأمثال: إن قوماً من اللصوص أسروها مرة من القافلة وكانت قد أسنت وكانوا مغتلمين فسألوها أن تسمح لهم بأن ينالوا منها فأذنت لهم فلما قضوا وطرهم منها أعطوها قربة زيت لا يملكون غيرها قالت: لا أريدها لأني ربما علقت منكم بولد فيعرف ابن زانية بزيت فذهب قولها مثلاً قال الشاعر:

إذا ما الحي هاجى حشو قبر ... فذالكم بن زانية بزيت

وفي أيام كبرها هاجم حيهم لصوص فلما أتوا خباءها كشفت لهم عن عجيزتها وضربت بيدها على هناها وقالت: لا أجد لكم عندنا إلاّ هذا فإن اشتهيتم فكلوا فاجتمعوا عليها فإذا هي مسنّة رسماء، فقال أحدهم: ساوروها بعدد أسنانها ففعلوا ذلك فلما أرادوا الانصراف قالت: هذا ضرب صغير لم تعدوه في الحساب فنزل إليها أحدهم فقالت: ألا تشتهي من الخلف؟ فساورها من الخلف في القبل فلما فرغ منها وانصرفوا قالت: تعالوا يا أهل الإحسان لقيت بقيت لكم رحى مكسورة فعاد لها أحدهم فانكفأت على وجهها وقالت: إفعل كما فعل من قبلك قال: إن القبل قد تهدل فهلا نقتحم الدبر؟ قالت: إفعل ما بدا لك فلما فرغ منها وتولى لأصحابه قالت: يا أهل المروءة إن في الفك الأعلى مثلما في الأسفل فعلموا أنها لا تمل من الاتصال فذهبوا عنها.

ما صنعت مع سهم بن الغز الأيادي

وسمع عنها سعد بن الغز الأيادي فقال لو جالدتها لكفتها من مجالدة واحدة وكان جاهلياً وافر المتاع يضرب به المثل قال الشاعر:

أولاك الأولى كان ابن الغز منهم ... ولا مثل ما كان ابن الغز يصنع

يمسح صلعاء الجبين ترى له ... قمداً يشق البضع لولا يوسع

ثم ذهب إليها فما زال يكديها في الغشيان حتى سهت عن نفسها فجعل الناس يسألون بماذا جلدها فقالوا جلدها بمتاعه فضرب به المثل فيما ساور الرجل المرأة فأشبعها فإنهم يقولون: أجلدها بمتاع بن الغز.

أريها استها وتريني القمر

وابن الغز هذا هو الذي ساوم نائلة بنت معاذ الطائية على فض عذرتها وكانت امرأة قوية تزعم أن لا يقدر أحد على افتراع بكارتها وهي عذراء فخاطرها سهم بن الغز على مائة من الإبل فأيهما انتصر كانت له الإبل على الآخر فلما ساورها رأت عوداً صلاباً وفحلاً صعباً لا

يقف أمامه شيء فلما افترعها قال: كيف ترين؟ قالت: طعناً بالركبة يا بن الغز قال: فانظري هل غاص فيك كله أم لا؟ قالت: أنظر إلى القمر قد تبلج بنوره فقال:

غدت تستر الأمر إذ لا مفر أريها استها وتريني القمر

فذهب مثلاً وفي ظلمة يقول بعضهم:

ساحقت طفلة وليطت فتاة وزنت كهلة وقادت عجوزا

٢ ـ حمامة أم أبي سفيان بن حرب

زوجة حرب بن أمية بن عبد شمس ذكر ابن أبي الحديد في شرح المنهج ١٥٧/١: أن عقيل بن أبي طالب دخل مرة على معاوية بن أبي سفيان فأخذا يتجاذبان أطراف الحديث وكان عقيل مكفوف البصر وأصحاب معاوية يتغامزون عليه فقال: يا معاوية من هذا الذي على يمينك؟ فقال: هذا عمرو بن العاص قال: هذا الذي اختصم فيه ستة نفر كلهم يدعي أنه أبوه فغلب عليه شبه جزار قريش العاص بن وائل السهمي فألحق به فمن الآخر؟ قال: هذا الضحاك بن قيس الفهري قال: أما والله لقد كان أبوه جيد الأخذ لعسب التيوس فمن هذا الآخر؟ قال: أبو موسى الأشعري قال: هذا ابن السراقة، فلما رأى معاوية أنه أغضب جلساءه قال: يا أبا يزيد فما تقول فيّ؟ قال: دعني من هذا ثم قال: أتعرف حمامة؟ قال: ومن حمامة يا أبا يزيد؟ قال: قد أخبرتك ثم قام عقيل ومضى.

فأرسل معاوية إلى النسابة فدعاه فقال: أتعرف امرأة من نساء بني أمية تدعى حمامة؟ قال: أقول ولي الأمان؟ قال: نعم قال: حمامة جدتك أم أبي سفيان كانت بغياً صاحبة راية في الجاهلية، فقال معاوية لجلسائه إني قد ساويتكم وزدت عليكم فلا تغضبوا.

٣ ـ فجار بنت رياح الحبشية

٤ ـ علقمة بنت حاتم المكية

روى المجلسي في البحار ٣١٢/٧ ـ طبع القديم ـ عن الكليني في روضة الكافي بسنده عن سماعه قال: تعرض رجل من بني مرد بن الضحاك لجارية لرجل من بني عقيل بن أبي طالب يريد بها الفاحشة فشكته لمولاها وقالت إن هذا الرجل قد آذاني قال لها: عديه وادخليه الدهليز فواعدته وأخبرت مولاها فلما كان يوم وعده أتاها فأدخلته الدهليز وأعلمت مولاها فشد على الرجل وقتله وألقاه في الطريق فاجتمع جماعة من بني تميم وعدي وأمية وقالوا ما لصاحبنا كفو يقتل به إلاّ الإمام جعفر الصادق وما قتل صاحبنا أحد غيره.

وكان الإمام الصادق (ع) ذلك اليوم قد ركب إلى قبا قال سماعة فركبت إليه وأنذرته ليأخذ الحيطة لنفسه قال: دعهم ولا تخف من أجلي.

فلما دخل المدينة ورأوه وثبوا عليه وقالوا ما قتل صاحبنا أحد غيرك وما نقوده إلاّ بك فقال: لتكلمني منكم جماعة فتقدم له نفر منهم فأخذ بأيديهم وأدخلهم المسجد وسرعان ما خرجوا وهم يقولون شيخنا وسيدنا الإمام جعفر بن محمد الصادق معاذ الله أن يأتي بقتل هذا أو يأمر به.

فلما انصرفوا خلوت به وقلت يا مولاي ما أسرع تحولهم من السخط للرضا فما ذاك وما الذي حولهم وصرفهم مما أجمعوا عليه! قال: نعم إني دعوتهم وقلت إمسكوا وإلاّ أخرجت لكم صحيفة تفضحكم بالخزي والعار إلى آخر الدهر وما إن قرأها أحدهم وإذا به قد أكب على أقدامي يقبلها ويقول بحق جدك رسول الله لا تخرجها للناس وإنّا قد رجعنا عن غيّنا لعن الله من جهل قدرك واستخف بحرمتك.

قلت وما هذه الصحيفة جعلني الله فداك قال: إعلم أن أم الضحاك ـ وهو جدهم الأدنى ـ جارية حبشية اسمها فجار كانت أَمَة لعبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بعثها ابنه الزبير مرة في حاجة فأبطأت عليه فظن بها سوءاً. وأمر بأن يبيعها أو طردها فوهبها أبوه إليه فاتفق أن أحد رجال هؤلاء الفتية واسمه حريث بن رياح بن عبد العزى نظر إليها مرة ففتن بها فما زال يتصل بها سراً حتى أحبلها وظهر عليه الزبير فطلبه ففر إلى الطائف فتبعه إليها فخرجت لاستقباله بنو ثقيف ودعوه إلى الضيافة وسألوه عن حاجته فأخبرهم بما كان له مع حريث بن عبد العزى وأنه قد أتى في طلبه فلما علم حريث فرَّ هارباً إلى الشام وعاد الزبير إلى مكة فوجد فجار قد وضعت حملها وكان غلاماً بشوشاً فأسمياه الضحاك.

ثم خرج الزبير مرة في تجارة إلى الشام ورفع أمر حريث لملك دومة للجندل ـ وهي حصن بين المدينة والشام ـ وسأله المساعدة ليجمع بينهما فأقام حريث مكانه رجلاً لخصام الزبير وادعى أن الجارية فجار هي التي كانت تأتيه وتعرض نفسها عليه وتطلب منه أن يساورها بجعل كانت تدفعه إليه كأجرة على عمله وأحضر قسماً من ذلك الجعل وتحقق الزبير صدق قوله. ثم إن حريثاً وسط الملك شفيعاً إلى الزبير ليسلم إليه ولده منها فقال الملك يا أبا طاهر إني أسألك أن ترد على حريث ولده منها فقال ليظهر لي حتى أتعرف شمائله وأوصافه فإن كان يشبهه رددته عليه.

وفي صباح اليوم الثاني دخل الزبير على الملك وإذا به يضحك ضحكاً عالياً فحياه وجلس والملك مستمر في ضحكه قال الزبير ما الذي يضحكك أيها الملك؟ فقال: ما أظن هذا الرجل الذي طلبت أن يظهر لك لترد عليه ولده ـ يعني حريثاً ـ ولدته امرأة عربية قال: وكيف؟ قال: إنه لما رآك دخلت لم يملك نفسه من الخوف والرعب حتى فقد وعيه فبال في ثيابه واعتلا حبقه

واعتذر عن مقابلتك ولاذ بالفرار فالرجاء أن ترد ولده عليه فبئس ولد يكون أبوه هذا الجلف الجبان.

ولما عاد الزبير إلى مكة عاد لها حريث بجوار وحماية من قريش أخذوا له الأمان من الزبير ووسطهم أن يرد عليه ولده الضحاك فلم يقبل الزبير فتشفعوا إليه بأبيه عبد المطلب فقال ما بيني وبين ابني الزبير قبول رجاء ولا استجابة دعاء أما علمتم ما فعل بابني العباس ولكن عودوا إليه وكلّموه فإنه يجيبكم فعادوا إليه وكلموه وبعد إلحاح ولأي شديد قال: إني أرده عليه ولكن بشرط قالوا وهذا الشرط؟ قال: إن الشيطان له دولة وهذا الولد ابن شيطان أمه بغي ولا يعرف من أبوه والزمان غير مأمون فربما ظهر بهذا الزنيم أو بأبيه وملكهما من العقل والدهاء أو الثروة والغنى ما يؤهلهما لمناصب الرياسة والسيادة فالذي أطلبه منكم أن تحضروه غداً وأحضر ولده الذي يدعيه بدار الندوة فاسمهما أمامكم بميسم العبودية والرق بين كتفيهما حتى لا تختار قريش أحداً منهما رئيساً أو سيداً على أبنائنا لو أعلاهما الزمان لذلك فأجابوه وأحضر الأب والولد وفعل الزبير ما أراد وكتب على ذلك صحيفة أحضر فيها كل من حضر من رجال قريش وتلك الصحيفة لا تزال عندنا.

فقد قلت لهؤلاء المشاغبين: إما أن تكفوا وتدعوا ما أتيتم إليه وإلاّ فإني أخرج الصحيفة وأفضحكم على رؤوس الأشهاد فلما رأوها سألوني أن أكتمها وانصرفوا.

قال سماعة فقلت يا مولاي: ثم ما كان من أمر فجار وابنها الضحاك؟ قال(ع): أما الضحاك فقد استلحقه حريث وأشهد قريشاً أنه ولده يتوارثان ويحتمل كل منهما تبعات الآباء والأبناء وعني بكفالته ورضاعه مفصولاً عن أمه وكلما سئل عنها قال: إنها ماتت.

وأما فجار فلم تزل أَمَة للزبير وقد عيّنها لرعي الماشية حيث لا تصلح لغير ذلك وأنذرها إن هي ألمت بحريث أو ابنها الضحاك ليقتلهما فعاشت وعاش ابنها الضحاك لا يعرف ولا يرى أحدهما الآخر.

ما حدث بين فجار وابنها الضحاك

ثم روى المجلسي في المصدر نفسه عن محمد بن شهراشوب وعلي بن إبراهيم القمي بالإسناد عن ابن الزيات عن أبي عبد الله(ع) قال: كانت فجار جارية الزبير بن عبد المطلب قد عيّنها مولاها لمرعى الماشية وكانت ذات عجز كبير وغلمة طاغية لحب النكاح.

ففي ذات مرة مرَّ بها ابنها الضحاك وقد كبر صبياً وسيماً فلم يعرف أحدهما الآخر ولاستعداد الغلمة والشبق فيهما لم يكن لهما انتباه للتعارف دون أن دعت فجابها إلى نفسها فوقع الضحاك عليها ولم ينزل عنها حتى أحبلها وخشيت من مولاها الزبير أنه لو علم بحملها

من البغاء أن يقتلها فعرضت نفسها على الفاكه بن المغيرة المخزومي فاشتراها من الزبير ولما تمّ حملها تسعة أشهر ولدت أنثى كاملة الخلق... وخشيت من الفاكه أن لو علم نكل بها فلفتها بخرقة صوف وألقتها بين شعاب مكة على بعض الطرق فمر بها حاتم بن ربيعة بن نوفل بن عمر بن مخزوم فأخذته الرقة عليها وعلم أنها ابنة زنا لا تستطيع أمها أن تستلحقها فاحتملها حاتم وعني بها حتى كبرت وترعرعت وتبناها على عادة العرب وسماها علقمة فعرفت أنها علقمة بنت حاتم بن ربيعة ولما بلغت أشدها وكانت جميلة حسناء نظرها الضحاك بن حريث ففتن بها وخطبها إلى أبيها المستعار حاتم بن ربيعة فزوجه بها وولدت له ولداً سماه صرد بن الضحاك وكان من أشد أعداء الإسلام وهو الذي ألقى الفرث والدم على رأس النبي وهو ساجد في المسجد الحرام لما أمر أبو جهل بذلك وإياه يعني حسين بن أحمد بن الحجاج البغدادي بقوله:

من عمد خاله ووالده	وأمه أخته وعمته
أحق أن يبغض النبي وأن	يجحد من ذي الجلال بعثته

وذكر الدربندي في أسرار الشهادة/٨٥ عن جماعة من المؤرخين أن صرد بن الضحاك التقى مرة بعمرو بن العاص في دمشق، فقال له: كم سرتْ من مكة إلى هنا؟ قال: عشرين يوماً فقال صرد: لقد سرت إلى جلق مسير عاشق يتهكم ويسخر به، فقال ابن العاص والله ما تأبطتني الأماء ولا حملتني البغايا في ممرات الماء فقال صرد: إن المقام لا يقتضي مثل هذا الكلام إن الدجاجة لتفحص بالرماد وتأتي بالبيض الجياد وإنما تنسب الأبناء إلى أشرف الآباء.

قال الدرنبدي وقد ذكر هذا الحديث الشيخ أبو جعفر البغدادي فقال أحد تلامذته: ما يريد ابن العاص بممرات الماء؟ قال: يعني بها أواخر أيام الحيض، قال: وكيف يعير ابن العاص صرد بن الضحاك وهو ابن النابغة أشهر بغي في العرب قال: إن النابغة أم عمرو بن العاص وإن كانت بغياً ذات علم ولكنها حرة قرشية أخذت أسيرة في بعض الغارات في الجاهلية أما فجار جدة صرد فهي مع كونها بغياً ذات علم فإنها أَمَة حبشية سوداء اللون وحملت بإبنتها علقمة من ابنها وتزوج بها أبوها لجهله بها فأولدها صرد.

قصة عبد المطلب مع ابنة الزبير في نكاح نشيلة

قد مرَّ بنا في سياق هذا الحديث قول عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف لما تشفع به أعيان قريش إلى ابن الزبير قال: ليس بيني وبين الزبير قبول رجاء ولا استجابة دماء إنه يشير بذلك إلى قصة وقعت بينه وبين ابنه الزبير ذكرها العلامة المجلسي في ذيل قصته فجار وعلقمة بسنده عن سماعة.

قال: توفي ذات مرة مولى لرسول الله(ص) في أيام الإمام الصادق(ع) ليس له وارث وله مال كثير فطمعت فيه بنو العباس بأن جدهم العباس هو عم النبي ووارثه وأولى به من ابنته

الزهراء أو بعلها أمير المؤمنين فوجدوا الإمام الصادق(ع) قد بعث لمال المتوفى واحتوى عليه فسألوه فقالوا نحن بنو الزهراء أولى به فدعوه للخصام.

وكان ذلك أيام خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان وقد حجّ في تلك السنة فأتى المدينة فرفع بنو العباس إليه دعواهم ليحكم بينهم فأجاب وجلس لهم فوكل بنو العباس للخصام عنهم داود بن علي بن عبد الله بن العباس ووكل العلويون جعفر الصادق(ع).

فلما حضروا قال دواد إن الولاء لنا من جدنا العباس فهو عم النبي ووارثه وأولى به من ابنته فاطمة الزهراء وبعلها، فقال أبو عبد الله(ع) بل الولاء لنا بني الزهراء، فقال داود إن أباك الحسن بن علي قاتل معاوية ثم صالحه ونزل له عن حقه في الخلافة، فقال الإمام إن كان أبي قاتل معاوية فقد كان حظ أبيك في قتاله الأوفر ثم فرَّ عنهما بخيانته لأميره وابن عمه.

ثم قال: لئن لم تكف عن غيّك فوالله لأطوقنك وبني أبيك بالعار غداً طوق الحمامة، فقال داود: كلامك يا جعفر هذا أهون عليّ من بعرة في وادي الأزرق فقال(ع): إنه واد ليس لك ولا لأبيك فيه حق، فقال هشام: لقد طال خصامكم من غير جدوى فانصرفوا ومن كانت له حجة أو بيّنة فليحضرها فإني أجلس لكم.

فلما كان اليوم الثاني حضروا أمام هشام وأخرج الإمام صحيفة وسلمها إلى هشام فلما قرأها قال: ادعوا لي من مشايخكم جندل الخزاعي وعكاشة الضميري وهما ممن أدرك الجاهلية فلما حضرا رمى بالصحيفة لهما وقال: أتعرفان هذه الخطوط؟ قال: نعم هذا خط أبي العاص بن أمية وهذا خط حرب بن أمية وهذا خط عبد المطلب بن هاشم، فقال هشام لداود إن هذه الصحيفة تقضي لجعفر عليكم ولو نظرت ما فيها لكشف عيبكم وأخزاكم أنكم عبيد لآل أبي طالب.

قال سماعة فقلت للإمام وماذا في الصحيفة؟ قال: إن جدة بني العباس نثيلة بنت جناب بن كلب الخزرجية كانت أَمَة مملوكة لجدتنا فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية أم الزبير وعبد الكعبة وأبي طالب وعبد الله والد النبي فلما توفيت بنت عمرو بن عائذ وقع نظر عبد المطلب على نثيلة فاستباحها دون أن يترخص من أبنائه الذين يشاركونه في ملكها فأحبلها وولدت له ابنه العباس فقال له الزبير إن نثيلة قد ورثناها معك من أمنا فإبنك هذا منها يعتبر عبداً لنا قال إنه أخوكم وإني قد وهبته لكم على أن تكتموا ما حدث لي مع أمه قال الزبير إنّا لا نقبل ذلك إلاّ أن تكتب لنا عليه صحيفة تمليك تصدقها كبراء قريش أن لا يجارينا في السيادة ولا يتصدر في مجلس ولا يشاركنا في ميراث فقبل ذلك عبد المطلب وكتب لهم هذه الصحيفة التي أجرمتها لهشام واختزى بقراءتها داود وإخوته.

وإلى هذه الملكية يشير أبو فراس الحمداني في قصيدته الميمية بقوله:

لا يطغين بني العباس ملكهم بنو علي مواليهم وإن رغموا

٥ ـ الصعبة بنت الحضرمي

ذكر الشيخ علي نقي في نهج المحجة/٣٨٠ عن هشام بن السائب الكلبي أن الصعبة بنت الحضرمي كانت من البغايا ذوات الرايات لها راية بمكة أيام الجاهلية. وروى بسنده عن أبي بصير عن الصادق(ع) أن أباها الحضرمي أودعها مرة عند أبي سفيان بن حرب وذهب هو إلى الملك النجاشي في الحبشة فلما عاد إلى مكة رآها حبلى قال لها ما هذه البلية التي أتيتني بها فقالت إن أبا سفيان غلبني على نفسي. وقال لأبي سفيان هلا تزوجتها واشهدت على زواجها قال له أبو سفيان: لا تحزن فأنا أكفيك شر ذلك وعليَّ أن أزوجها لك قبل أن تلد ليكون لولدها أب يلحق به فزوجها أحمق قريش عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم القيمي وكان ممن يلعب به رجال قريش ويتخنث مشهوراً بذلك فولدت طلحة على فراشه. قال ابن الكلبي: جاءت به لستة أشهر فادعاه أبو سفيان واختصم فيه مع عبيد الله فجعلا أمرهما إلى الصعبة فألحقته بعبيد الله فقيل لها كيف تركت أبا سفيان وهو من الأعلين واخترت عبيد الله وهو من السافلين ـ أي أن أبا سفيان ينكِح ولا يُنكح وعبيد الله بالعكس ـ فقالت: لا تجتمع بغيان صاحبتا راية في بيت واحد فأنا صاحبة راية وأمه حمامة ذات علم وأن يد عبيد الله طلق أي كريم وسخي ويد أبي سفيان كزة أي بخيل لئيم.

وفي تنازل أبي سفيان لعبد الله عن ابنه طلحة يقول حسان:

فيا عجباً من عبد شمس وتركها أخاها ذنابى بعد ريش القوادم
أباحوا عبيد الله طلحة شبلهم وفيه أبو سفيان أولى الأكارم

ومما هجيت به بنو طلحة قول أحد خصمائهم:

فاصدقونا قومنا أنسابكم وأقيمونا على الأمر الجلي
هل أبو سفيان صخر جدكم أم عبيد الله خاوي الأسفل

ويعني بخاوي الأسفل المستوه.

وذكر ابن أبي الحديد: أن الصعبة كانت تحت أبي سفيان فتركته لنجله فطلّقها وقد مضى على حملها منه بطلحة ثلاثة أشهر ثم تبعتها نفسه فقال فيها:

فإني وصعبة فيما أرى بعيدان والود ود قريب
ذهبت وفي بطنك الحمل لي زنيماً نسميه وهو النجيب

٦ ـ الزرقاء بنت موهب

ومن البغايا وذوات الأعلام في العرب أيام الجاهلية الزرقاء بنت موهب زوجة أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أم الحكم بن أبي العاص جدة مروان بن الحكم كانت من

أكبر البغايا وأقلهن أجرة وأكثرهن غلمة كانت صاحبة راية في سوق عكاظ وأيام موسم الحج في منى وربما غشيها في اليوم الواحد من أيام التشريق من عشرة إلى عشرين رجلاً فيصيب كل منهم ما يجب منها ومع أنها سوداء اللون لكنها كانت ضخمة العجز عظيمة الأوراك كما توصف بذلك هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان واسمها زينب وتلقب بالزرقاء لشدة سوادها الذي يميل إلى الزرقة.

ويعرف بنوها بأنهم بنو الزرقاء، كما يقال لمروان بن الحكم ابن الزرقاء فقد رد على السيدة أروى بنت الحرث بن عبد المطلب ذات مرة في كلامها مع معاوية، فقال: اسكتي أيتها العجوز الضالة فقد سقطت شهادتك بذهاب عقلك فقالت: وأنت يا بن الزرقاء تتكلم كما أن الحسين(ع) رد على رسول مروان فقل له يقول لك الحسين: يا بن الزرقاء الداعية إلى نفسها بسوق عكاظ. كما قال له عندما دعاه والى المدينة لمبايعة يزيد فسأله الحسين أن يؤجلها للغد فأذن الوالي له بالإنصراف فقال مروان احبس الرجل يا أمير فإن بايع وإلاّ فاضرب عنقه فغضب الحسين وقال: أنت يا بن الزرقاء تقتلني؟

كما أن أم مروان وهي آمنة بنت علقمة بن صفوان من البغايا بالبغاء السري ويأتي ذكرها في ذوات البغاء السري إنشاء الله.

٧ ـ النابغة سلمى بنت حرملة

وممن اشتهرت بالبغاء العلني وذوات الأعلام النابغة سلمى بنت حرملة من بني فلان أم عمرو بن العاص بن وائل السهمي والعاص هو جزار وهو أسوأ الناس حسباً وألأمهم نسباً وهو الذي أراد أن يمجد الزبيدي بضاعته فشكاه إلى أعيان قريش فعقدوا من أجله حلف الفضول وهو أيضاً أحد المستهزئين برسول الله(ص) وسماه أبتر أي لي ليس له ابن يخلفه فأنزل الله في حقه ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ وعرف بعدها بهذا اللقب.

قال ابن أبي الحديد: كانت النابغة أم عمرو بن العاص أَمَة لرجل من عنزة فسبيت فاشتراها عبد الله بن جذعان التيمي بمكة فكانت بغياً لا تصبر عن منادمة الشطار لا تقضي الليالي إلاّ معهم فأعتقها فوقع عليها ذات مرة أبو لهب بن عبد المطلب وأمية بن خلف الجمحي وهشام بن المغيرة المخزومي وأبو سفيان بن حرب الأموي والعاص بن وائل السهمي في طهر واحد فولدت عمرواً فادعاه كلهم فحكمت أمه فيه فقالت هو للعاص لأنه كان ينفق عليها كثيراً قالوا وكان أشبه بأبي سفيان لكنها لم تلحق به ولدها منه لأنه كان لئيماً وفي ذلك يقول أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب يخاطب عمرو بن العاص:

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت ... لنا فيك منه بينات الشمائل
ففاخر به أماً فخرت ولا تكن ... تفاخر بالعاص الهجير بن وائل

وإن التي في ذاك يا عمرو حكمت ... فقالت رجاء عند ذاك لنائل
من العاص عمرو تخبر الناس كلما ... تجمعت الأقوام عند المحافل

قال أبو عمر يقال إنه جمع لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص وهو على المنبر عن أمه فسأله فقال: أمي سلمى بنت حرملة فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها منه عبد الله بن جذعان ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت فأنجبت فإن كان جعل لك شيء فخذه.

وقال المبرد إن ابن العاص دخل مرة مكة فرأى قوماً من قريش قد جلسوا حلقة فلما رأوه رمقوه بأبصارهم فعدل إليهم فقال: أحسبكم كنتم في شيء من ذكرى قالوا: أجل كنا نمثل بينك وبين أخيك هشام بن العاص أيكما أفضل؟ قال: إن لأخي هشام على أربعة أمه بنت هشام بن المغيرة وأمي من علمتم وأحب إلى أبيه مني وأسلم قبلي واستشهد وأنا بقيت.

وقد عيّر ابن العاص بأمه جملة من السادة منهم الإمام الحسن بن علي(ع) وأروى بنت الحرث بن عبد المطلب بمحضر معاوية وأعيان من العرب وقريش فقالت: ـ فيما ذكرناه في عقول الجمان ١١٩/٦ ـ يا بن اللخناء النابغة أتكلمني أربع على ظلعك واغن بشأن نفسك فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ولا كريم منصبها وأمك أشهر بغي مغنية بمكة وأقلهن أجرة ولقد ادعاك ستة نفر من قريش كلهم يزعم أنه أبوك فسألت أمك عن ذلك فقالت كل قد أتاها وواقعها فانظروا أشبههم به فألحقوه به فغلب عليك شبه العامر بن وائل جزار قريش ألأمهم مكراً وأنتنهم خبراً ولقد رأيت أمك أيام منى بمكة مع كل عبد عاهر فاتم بهم فإنك بهم أشبه.

كما عيّره بذلك حسان بن ثابت فيقول:

أما ابن نابغة العبد الهجين فقد ... انحى عليه لساناً صارماً ذكرا
ما بال أمك زاغت عند ذي شرف ... إلى جذيمة لما عفت الأثرا
ظلت ثلاثاً وملمان يساورها ... عند الحجون فما ملا ولا فترا
أما هشام فرجلا قينة مجلت ... عنه ومن بعد باتت تعصر الكمرا

ومما قاله فيه حسان:

يا بن التي لبثت في إستها ... عرد وفي حرها كراع بعير
قد كنت لا أهوى السباب فسبني ... أحلام طير في قلوب حمير

٨ ـ سمية بنت المعطل النوبية

ومن البغايا ذات الأعلام سمية بنت معطل النوبية وكانت أَمَة للحارث بن كلدة بن عمرو

بن علاج الثقفي طبيب العرب ثم كانت بعده تحت عبيد بن أبي سرح الثقفي وقيل إن عبيد كان عبداً لبني ثقيف بقي إلى أيام ولده زياد فابتاعه وأعتقه.

وكانت سمية بغياً ذات علم ومن ذلك كانت الناس تنسب أولادها ومنهم زياد مرة لزوجها عبيد بن أبي سرح الثقفي فيقال زياد بن عبيد ومرة يقال زياد بن سمية ومرة يقال زياد بن أبيه حتى استلحقه معاوية فقيل له زياد بن أبي سفيان على عادة أهل الجاهلية ونفاه عمن ولد على فراشه وهو عبيد بن أبي سرح مراغمة لقول الرسول الأعظم: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

سبب استلحاق معاوية زياد بن عبيد

وكان السبب في استلحاق معاوية زياد بن عبيد بأبيه أبي سفيان أن زياداً كان من شيعة أهل البيت في أول الأمر وقد استعمله أمير المؤمنين في خلافته على فارس والأهواز وما حولها وضبطها إليه بما لا مزيد عليه فرغب معاوية في استمالته عن أمير المؤمنين وجعل يراسله ويبعث له بالهدايا فلم يقدر عليه فلما توفي أمير المؤمنين وصالح ابنه الحسن معاوية عاد معاوية إلى استدراجه فلم يقدر عليه إلاّ بأن خدعه بأنه أخوه من أبيه وأن في إمكانه أن يستلحقه في النسب فيكون أحد أبناء أبي سفيان يرث ما يرثونه من أبي سفيان وحتى ابنته أم المؤمنين لا تحتجب عنه ولما سمع بذلك الحسن(ع) كتب إليه يعظه وينصحه ويحذره من الوقوع في مكايد معاوية فانتقض على الحسن واعتبر نصحه غشاً له.

وترك فارس وسار إلى معاوية فبعث إلى أبي مريم السلولي وكان خمّاراً وقواداً في الجاهلية فلما حضر سأله معاوية أن يدلي بشهادته إزاء أبي سفيان لما قدم عليه بالطائف فقال إن أبا سفيان قدم علينا بالطائف فأتى إلى منزلي فاشتريت له لحماً وطعاماً وخمراً فلما أكل وشرب قال: يا أبا مريم أصب إليّ بغياً فخرجت وأتيت سمية بنت معطل وهي تحت عبيد بن أبي سرح الثقفي فقلت لها: إن في بيتي أبا سفيان بن حرب وهو من عرفت غناه وشرفه وجوده وقد سألني أن أحضر له هذه الليلة امرأة يصيب منها ويكسر غلمته بها فهل لك أن تحظي هذا الحظ العظيم قالت: نعم الآن يأتي صاحبي عبيد بغنمه فإذا تعشى ونام أتيت إلى دارك فعليه بالانتظار لأغتسل وأدهن رأسي وأتطيب وآتي إليه فرجعت إلى أبي سفيان وأخبرته فما زلنا نتجاذب الحديث في انتظارها حتى مضى من الليل شطره.

وإذا قد هبت علينا رائحة طيبة فقلت: أبشر يا أبا سفيان قد وصلت صاحبتك وقرع الباب فقمت وفتحته فدخلت تجر أذيالها ويفوح الطيب منها فدخلت معه فلم تزل معه طول الليل وأنا أسمع ما يجري بينهما من مداعبة ومواقعة وضحك ومزاج إلى الفجر فلما انصرفت قلت كيف وجدت صاحبتك؟ قال: خير صاحبة ما نعمت قط بامرأة في الفراش مثلها لولا ذفر في إبطها

لم يغطه الطيب منها فقلت: وكم مرة أصبت منها قال ثلاث مرات وحاولت الرابعة فعجزت عنها وما أراها إلاّ حملت مني... فكنت أحسب المدة فلما أكملت تسعة أشهر وضعت ولداً وسيماً سميناً فسماه عبيد زوجها زياداً فرأيته أيام رضاعه وإذا هو صورة أبي سفيان وشمائله قال معاوية: صدقت هو والله ولده...

قال ابن عباس وقدم زياد بن عبيد إلى المدينة أيام عمر وكان غلاماً حدثاً فبعثه في إصلاح فساد حدث في اليمن فلما رجع من وجهه خطب بمحضر عمر خطبة لم يسمع بمثلها وتكلم وأعجب الحاضرين وكان منهم أبو سفيان فقال عمرو بن العاص لله أبو هذا الغلام لو كان قرشياً لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان والله إنه لقرشي ولو عرفته لعرفت أنه خير من أهلك، فقال: ومن أبوه؟ قال أنا والله أبوه أنا الذي وضعته في رحم أمه بالطائف في بيت أبي مريم السلولي قال: فهلا تستلحقه؟ قال: أخاف هذا العير الجالس أن يخرق على اهابي يعني عمر فقال أمير المؤمنين(ع): من يا أبا سفيان فإن عمر إلى المساءة لسريع فأنشأ أبو سفيان:

أما والله لولا خوف شخص ... يراني يا علي من الأعادي
لأظهر أمره صخر بن حرب ... ولم يخف المقالة في زياد
وقد طالت مجاملتي ثقيفاً ... وتركي بينهم ثمر الفؤاد

فسمع زياد ما قيل في حقه وأسرّها في نفسه.

وهذه المقالة والمحاورة ذكره بها معاوية لما كان والياً لأمير المؤمنين على بلاد فارس وجعل يراسله ويستدرجه فكتب في أسفل الكتاب إليه.

تنسى أباك وقد شالت نعامته ... إذ تخطب الناس والوالي لهم عمر

فذكر زياد لأمير المؤمنين ذلك فكتب إليه: كانت من أبي سفيان فيك فلته أيام عمر من أماني التيه وكذب النفس لم تستوجب بها إرثاً ولم تستحق نسباً وأن معاوية كالشيطان يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه حتى يسلبه دينه وينزع منه عقله فاحذروه.

ما حدث لاستلحاق زياد

وقد تمّ لمعاوية هذا الاستلحاق عام ٤٤هـ وكتب به إلى الأمصار وشفعه بالهدايا والرشوات لمن اعترف به ومنع العطاء والصلة من أنكره وزوج محمد بن زياد ابنته بأنها ابنة عمه وتبرأت من زياد اخوته من أمه وأبيه وسبوه على رضاه باستلحاق معاوية له وانتفائه عن أبيه عبيد وحلفوا أن لا يكلموه لأنه رمى أمهم بالفجور وكتبوا إليه بذلك وقالوا ماذا تصنع في أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان لو قد زرتها في المدينة فإن احتجبت عنك فقد كذبت أخاها معاوية وكذبتك وإن استباح الدخول عليها بغير حجاب فقد هتك حرمة رسول الله في أهله.

وفعلاً فإن أم المؤمنين أم حبيبة حجبته ولم تسمح له أن يدخل عليها لما زارها في المدينة وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص:

ألا أبلغ معاوية بن صخر فقد ضاقت بما فعل اليدان
أتغضب أن يقال أبوك عفّ وترضى أن يقال أبوك زاني
فاشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الاتان
واشهد أنها حملت زياداً وصخر من سمية غير داني
وشر منه من قذفت بعهر وعدت أمه إحدى الزواني
ولم تك غيرة منه عليها كما هي لم تسغ بعض امتهان

* * *

ألا أخزاك ربك من زياد فقد حملت عار بني الزمان
أتقبل أن تسمى ابن البغايا وتأنف أن تسمى ابن الحصان
وتدعى ابن الزنا بدل ابن طهر وبعد العز تنبذ بالهوان

* * *

ويا ابنا سمية هل رضيتم يشد بأمكم حبل الهوان
أما فيكم على أم غيور ينزه عرضها عن كل شاني
أزوجك يا عبيد عليك هانت فلم تحفظ لها ستر الحسان
أليس إذا قبلت بها بغياً تكون بذاك مقطوع اللسان
يكون المرء ديوثاً عتلاً إذا في زوجه نأواه ثاني
إذا اعتلقت حليلته بثان غدا أولى له فسخ القران

محاولة معاوية استلحاق ابن العاص

وقد حاول معاوية قبل استلحاق زياد بن عبيد أن يستلحق عمرو بن العاص باعتبار أن أباه أبا سفيان كان أحد الستة الذين ساوروا أمه النابغة في ذلك القرء الذي حملت فيه بعمرو ولما ولدته كان أبو سفيان أحد المطالبين ببنوته وكان أشبه الناس به لولا أنه كان بخيلاً فآثرت به العاص بن وائل لكونه كريماً ينفق عليها.

فذكر المؤرخون أن معاوية أراد استمالة ابن العاص لمؤازرته ومشورته ونصره كتب إليه ابن العاص كتاباً يقول فيه:

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فإن تعطني مصراً فاربح صفقة أخذت بها شيخا يضر وينفع

فبعث إليه معاوية يجيبه إلى ما سأل في كتاب يقول فيه:

تعال فمني هذه معي طعمة إليك بها طول الحياة تمتع
فأنت أخي إذ كان أمك من أبي أتى الحمل فيها إذ حوى الكل مضجع

٤

البغاء العلني في الإسلام

ورغم أن الإسلام قد حارب البغاء ومنع المسلمين عن ممارسته ووضع على من يمارسه العقوبة الصارمة ولا يزال البغاء قائماً على ساق عند بعض المنافقين.

فقد كانت لعبد الله بن أبي بن سلول جواري يمارسن البغايا ويرفع لهن رايات ليرتزق من أجورهن في الزنا فلما شق عليهن العهر وأرهقهن وطيء الشطار أظهرن الإسلام واعتذرن إلى سيدهن بأن الإسلام لا يبيح لهن البغاء فقال: أما لو كان لمحمد بغايا يرتزق منهن لم يحرم الزنا وأكرههن على ممارسة الفجور ومن امتنعت قام عليها بالضرب فشكينه إلى رسول الله فنزل قوله تعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا﴾ بالزواج أو بالعفة ﴿ومن يكرههن﴾ ثم يتوب ويقلع عن ذلك ﴿فإن الله من بعد إكراههن﴾ السابق عن طريق الجهل ﴿غفور رحيم﴾ النور/ ٣٣.

كما قد اشتهر بغايا في عهد بني أمية ولم تعمل الرياسة الدينية على منعهن مع علم الخلفاء عنهن بل قد تشارك في إتيانهن فممن اشتهر بالبغاء في ذلك العهد:

١ ـ مرجانة بنت نوف

وهي أمة لعبدالرحمن بن حسان بن ثابت كان يصلها بالسفاح جملة من الناس ومنهم زياد بن سمية فباعها عبد الرحمن وهي حبلى من الزنا على أبي مرة بن خارق من بني قيس بن ثعلبة فكان زياد يلاحقها بالسفاح.

فولدت لأبي مرة عبدين هما عبد وعبيد الله إبنا مرجانة لا يعرف لهما أب فاستدعاها زياد بعد حين واستلحقها كما استلحقه معاوية.

قال ابن الكلبي: لما أذن لزياد بن سمية بالحج تجهز للسفر فبينما هو يتجهز وأصحاب القرب

يعرضون عليه قربهم إذ تقدم عباد وكان جزاراً، فكان يعرض عليه ويحاوره ويجيبه فقال زياد ويحك من أنت؟ قال: أنا ابنك قال: أي بني قال أنا ابن مرجانة من بني سلول التي وقعت عليها حتى أحبلتها فولدتني وكنت في بني قيس بن ثعلبة وأنا مملوك لهم قال: صدقت وهل لك أخ؟ قال: نعم عبيد الله فبعث إليهما فاشتراهما وادعاهما وصار يتعهد بني قيس بن ثعلبة ويصلهم.

ثم عظم أمرها عند معاوية فزوج عباداً ابنته بأنه ابن أخيه وولاه سجستان وولى عبيد الله البصرة ولم يزل والياً عليهم حتى مات معاوية فأبقاه عليها يزيد فلما سمع أن الحسين بعث إلى الكوفة ابن عمه مسلماً وبايعوه بعث لعبيد الله أن يولى البصرة أخاه عباداً ويذهب إلى الكوفة وتولى فيها قتال الحسين وفي عباد وعبيد الله ابني مرجانة يقول يزيد بن مفرغ الحميري:

أعباد ليس اللؤم عنك محولاً ... فمالك أم في قريش ولا أب
وقل لعبيد الله مالك والد ... بحق ولا يدري امرؤ كيف تنسب

ولما تزوج عباد المشترة بنت أنيف بن زياد الكلبي قال يزيد بن مفرغ يخاطب أنيفاً وكان سيد كلب في زمانه.

أبلغ لديك أبا بركان مألكة ... أنائماً كنت أم بالسمع في صمم
أنكحت عبد بني قيس مهذبة ... أباءها من عليم معدن الكرم
هل كنت تجهل عباداً ومحتده ... لا درّ درك أم أنكحت من عدم

وقد أشار الحسين (ع) في خطبته يوم عاشوراء إلى ما اشتهر به عبيد الله بن زياد وأبوه بقوله: ألا وأن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنين.

٢ ـ قطام بنت شحنة التيمية

وممن اشتهر من النساء بالبغاء العلني في الإسلام قطام بنت شحنة التيمية من تيم الرباب فقد ذكر عنها الدكتور جرجي زيدان في كتابه (١٧ رمضان) أنها كانت فتاة في مقتبل العمر تسكن الكوفة أيام خلافة الراشدين كان لها شعر أسود وأنف دقيق مستطيل تحته فم صغير وعينان دعجاوان ولها ثروة ومال لذلك فإنها لا تزال تزيد جمالها بما تلبسه من حلى ثمينة ومجوهرات غالية من عقود درية وقلائد وأساور ودمالج وأقراط وأشناف وخلاخل ذهبية مرصّعة باللؤلؤ وكانت من طائفة شيعية ولكن أباها شحنة بن عدي وأخاها حنظلة بن شحنة انقلبا فيمن انقلب على دين الخوارج فقتلا بالنهروان وما زالت بعد ذلك تندبهما وتدعو إلى الأخذ بثأرهما وكانت ملازمة الحداد عليهما في منزل بستان في ضواحي الكوفة ولا يصحبها في ذلك المنزل إلاّ عبد كهل اسمه ريحان تربى بين أهلها منذ صباه.

وكانت لها قوادة عجوز من مولدات الكوفة اسمها لبابة وهي دايتها وبمنزلة الأم لها وهي

الواسطة بينها وبين الزناة إذا أحبوا الاشتمال بها فتختار لها من الرجال من يتناسب معها في السن والحجم واللين والسخاء.

وقد خطبها عبد الرحمن بن ملجم المرادي فأغرته ومنته ولم تجبه لما طلب إلاّ بأن يضمن لها قتل أمير المؤمنين(ع) ويصدقها بثلاثة آلاف درهم وغلام وجارية وفي ذلك يقول بعضهم:

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة	كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة	وضرب علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وإن علا	ولا فتك إلاّ دون فتك ابن ملجم

ولما فتك ابن ملجم بالإمام لم يصل إليها بل قتل به فلم يشفها ذلك بل بعثت إلى الفسطاط بمصر من وشى علي جماعة من العلويين كانوا هناك عند الوالي عليها عمرو بن العاص لينكل بهم وينتقم منهم لأنهم شيعة الإمام منهم خولة بنت عبد الله وعبد الله وسعيد أبناء عمرو بن أبي رحاب لكنها باءت بالفشل وعاد كيدها إلى نحرها ووشت عليها لبابة عند المسؤولين في الدولة فحبست هي وقوادتها ولكن عبدها ريحان كسر باب السجن وقضيا على العجوز لبابة بالضرب حتى ماتت وهربا إلى الكوفة وفي الطريق التقى بها بلال مولى خولة بنت عبد الله فقتلها وحمل رأسها إلى سعيد وهو رفيقه في السفر وذهبا به إلى عمرو بن العاص بمصر...

٥

البغاء السري في الجاهلية

أما البغاء السري في الجاهلية فكان شايعاً متداولاً بينهم شياع المسرات والأغاني ولعب القمار وقلّ أن يسلم منه بيت أو دار اللهم إلاّ البيت الهاشمي فقد اتفق المؤرخون على أنه بيت طهر وعفاف ونزاهة وزاده الإسلام طهارة وإجلالاً في قوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ الأحزاب/.

فممن اشتهر من نسائهم بممارسة البغاء السري ما ذكرناه في كتابنا مراقي الوصول ١١٦/٢ مخطوط على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ نضلة بنت أسماء الكلبية

زوجة ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وهي أم عتبة وشيبة ابني ربيعة اللذين قتلا يوم بدر مع المشركين فمما ذكره عنها أبو الفرج في الأغاني وذكرناه في عرائس الجنان ٣٢٦/٣ أن أمية بن عبد شمس ذات ليلة طرق دار أخيه ربيعة بن عبد شمس وقد علم أنه خرج إلى الطائف فقال لزوجته نضلة أين مضى أخي قالت: لا علم لي به وشمّ عندها رائحة طيبة قال: هل لي أن أدخل فأنتظره حتى يقدم؟ قالت: على الرحب والسعة ومكث قليلاً وتظاهر بالنعاس فاضطجع وتظاهر لها أنه يغط في نوم عميق وأنه رأى في المنام حلماً فقال:

هل لي بأن أصل المساء بنضلة ... فتال مني من أخي ما لم تره
فمبيتنا كل على حدة يرى ... حمقاً وصدق الأنس أن لا نخسره

فتظاهرت نضلة أنها أيضا نائمة وقد رأت حلماً مثل حلمه فقالت:

هل واصل المشتاق زوج شقيقه ... فأبت عليه فما الذي قد أخّره
إن الذي في نفسه هو مضعفاً ... في نفسها والمرء آنس باعره

فوثب عليها وبات معها عروساً حتى حملت منه بعتبة بن ربيعة.

وربما نعيد ذكرها في أضرار خلو الرجل بالمرأة في جريمة الاغتصاب.

ما يذكر عن عهر أمية بن عبد شمس

وقد اشتهر عن أمية بن عبد شمس أنه كان عاهراً مستهتراً وأنه تعرض مرة لامرأة من بني زهرة ليغتصبها عفتها فضربه رجل منهم بالسيف فأراد بنو أمية ومن تبعهم إخراج بني زهرة من مكة فقام دونهم قيس بن عدي السهمي وكانوا أخواله وكان منيع الجانب شديد المعارضة قمي الأنف أبي النفس فجمع الجموع ضد بني أمية وقال: (أصبح يا ليل) فذهبت مثلاً وقال: (الآن الظاعن مقيم).

وإلى هذا يشير نفيل بن عيد الفرى في خطابه لحرب بن أمية عندما نافر عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف:

أما يا حرب أن تعيا حياء ... تنافر من به سقى الغمام
أبوك معاهر وأبوه عف ... وذاد الفيل عن بلد حرام

ابنه أبو عمر وذكوان

قال في النصايح الكافية/١١٠: أن أمية بن عبد شمس ذهب إلى الشام في منافرته لعمه بن عبد مناف فأقام ببلد تسمى صفورية وزنى بأمَة يهودية هناك كانت تحت زوج يهودي اسمها ترنى فولدت ولداً على فراش اليهودي فاشتراه أمية وسماه ذكوان وكناه بأبي عمرو وجاء به لمكة ويدعو مولى له حتى إذا كبر وبلغ أشده استلحقه وقال هو ابني وأنا الذي أحبلت أمه به.

ثم نزل له عن امرأته الصهباء وكانت غضة فتية فزوجه بها. قال ابن أبي الحديد عن شيخه أبي عثمان: وصنع أمية في حياته شيئاً لم يصنعه أحد من العرب زوج ابنه أبا عمر وامرأته في حياته فأولدها أبا معيط الذي يعرف بأنه ابان ابن أبي عمرو بن أمية.

والممقتون في الإسلام هم الذين ينكحون نساء آبائهم بعد وفاتهم قال تعالى: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً﴾ أما أن يتزوجها أبيه ويبنى بها وهو يراه فإنه شيء لم تعرفه الأمم قط إلاّ بنو عبد شمس.

ويدل على هذا أن عقبة بن أبي معيط لما أسره المسلمون يوم بدر وأمر النبي بقتله قال: يا محمد ناشدتك الله والرحم قال: ما أنت وذاك إنما أنت ابن يهودي من أهل صفورية قال: فمن للصبية يا محمد؟ قال: للصبية النار ا.هـ. أي أنهم أبناء سفاح حيث أن أمهم هي امرأة جدهم وأبوهم ليس لمن ينسب إليه مستلحق به.

ويدل عليه أن أحد النسابة المعمرين دخل على معاوية في أيامه قال له: هل رأيت عبد المطلب بن هاشم؟ قال: نعم أدركته يحف به عشرة من بنيه كأنهم النجوم قال: وهل رأيت أمية بن عبد شمس؟ قال: نعم رأيته اخيفش ازيرق دميماً يقوده عبده ذكوان قال: ويحك ذاك ابنه أبو عمرو قال: أنتم تقولون ذلك وأما نحن فلا نعرفه إلاّ عبده وعلى هذا المعنى يحمل قول أمير المؤمنين(ع) في كتابه إلى معاوية: (...وأما قولك نحن بني عبد مناف ليس لبعضنا فضل على بعض... فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق...) أي ليس الصريح في نسبه الطاهر الزكي وهم بنو هاشم كاللصيق الملفق في نسبه كالمستلحق والدعي وهم بنو عبد شمس.

ونقل السهيلي في الروض الآنف ٧٧/٢: أن رسول الله(ص) لما سار بأسرى المشركين من بدر إلى المدينة فبلغ إلى عرق الظبية استحضر من الأسرى عقبة بن أبي معيط ابان بن أبي عمر وذكوان بن أمية وقد أسره عبد الله بن سلمة عن بني العجلان فأمر علي بن أبي طالب بقتله قال: يا محمد أأقتل من بين قريش صبراً فقال عمر بن الخطاب: حتى قدح ليس منها ثم فسر السهيلي هذا المثل بأنه يضرب لمن يدعي أنه من قوم وهو ليس منهم مِن قريش ويروى أن النبي(ص) قال: إنما أنت ابن يهودي من أهل صفورية لأن أم أبيه ابان أَمَة اسمها ترنى كان ليهودي من صفورية.

٢ ـ أم أمية بن عبد شمس

وذكر السهيلي أن الناس يطعنون حتى في نسبة أمية إلى عبد شمس وهو ما روى عن سفينة مولى أم سلمة حين قيل له إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم فقال عفجت استاه بني الزرقاء وكذبوا بل هم ملوك ومن شر الملوك فيقال إن الزرقاء هذه واسمها ارنب ـ كما نقل الأصبهاني في كتاب الأمثال ـ كانت في الجاهلية من صواحب الرايات كانت تتعاطى الزنا مع عبد شمس فلما ولدت أمية غلب عليه شبه عبد شمس فاستلحقه على عادة أهل الجاهلية.

لكن المشهور أن الزرقاء ذات العلم هي جدة آل الحكم بن أبي العاص فكل بني مروان يطلق عليهم بني الزرقاء كما سبق الحديث عنها عن قريب. وبالجملة فإن أنساب بني أمية كلها دنسة لا تلم بنجابة ولا طهارة كما قال بعضهم في المذكرات ١٤٠/٧.

فمنهم أبوه خاله وهو عمه ... وعمته أم وأخت تماثل
ونفل أبي سفيان يروى بأنه ... تبنى أبوه أمه وهي حامل
فما مكثت إلاّ ثلاثة أشهر ... وألقت هنيد حملها وهو كامل
فتباً لدار هؤلاء ملوكها ... فما ملكوها غير من هم أراذل

وما هي إلاّ جيفة هم كلابها ولا شك أن الكلب للفسخ آكل

٣ ـ آكلة الأكباد هند بنت عتبة

وممن اشتهر بالبغاء السري في الجاهلية من النساء هند بنت عتبة بن ربيعة زوجة أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية أم أولاده معاوية وحنظلة وعتبة ويزيد ومحمد ولقبت مؤخراً آكلة الأكباد لأنها مضغت كبد حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء وأرادت بلعها ومثلت بجثمانه كل مثلة.

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج٣/٤٦١: وكانت هند تذكر في مكة بعهر وفجور وابنها معاوية يعزى إلى أربعة نفر غير زوجها أبي سفيان وهم:

١ ـ مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس نديم أبي طالب في الجاهلية خرج إلى الحيرة يتداوى بها فمات بهباله فرثاه أبو طالب بقصيدة قال فيها:

ليت شعري مسافر بن أبي عمرو وليت يقولها المحزون

٢ ـ عمارة بن الوليد بن المغيرة.

٣ ـ العباس بن عبد المطلب.

٤ ـ الصباح مولى مغن لعمارة بن الوليد وكان عسيفاً لابن أبي سفيان وكان شاباً وسيماً فهامت هند بحبه ودعته إلى نفسها فكان يغشاها بين حين وآخر ومنه حملت بمعاوية وعتبة فهما يشبهانه ولا يشبها من نسبا إليه أبو سفيان لأنه قصيراً دميماً.

سبب طلاق الفاكه لها

وكانت قبل ابن سفيان تحت الفاكه بن المغيرة المخزومي وكان سبب طلاقه لها أنه كان ذات يوم قائماً معها وقام عنها لأمر عرض له ثم عاد إلى الدار وإذا رجل قد خرج من عندها متنكراً فدخل عليها وركلها برجله وقال من هذا الذي خرج من عندك قالت: لم يكن أحد عندي إنما كنت نائمة قال: الحقي بأهلك والله ما سلمت منه وفارقها.

فلقيها أبو سفيان ذات مرة وكانت كبيرة العجز فشغف بها وتزوجها ولم يتشدد مع صيانتها فكانت تمارس البغاء وولدت له هذه الأولاد لأشخاص شتى.

تحويل تاريخ هند

ولما كانت أيام معاوية أحب أن يغير سمعة أمه فدعا قوماً وضاعين أن يغيروا سيرة أمه وما يرفع من سوء سمعتها ويظهرها مما تقذف به فغيروا ما حدث لها مع الفاكه على هذا النمط الذي رواه ابن أبي الحديد في شرح المنهج ١/١١١.

إن الفاكه كان له بيت ضيافة تغشاه كل الناس يدخلونه من غير إذن فخلا ذلك البيت يوماً واضطجع فيه الفاكه وهند ثم قام الفاكه لأمر عرض له وترك هند نائمة في البيت ثم عاد وإذا رجل قد خرج من البيت فأقبل إلى هند فركلها برجله وقال: من الذي كان عندك؟ قالت: لم يكن عندي أحد إنما كنت نائمة فقال إلحقي بأهلك وطلقها فلحقت بأهلها واشتهر ذلك بين الناس فقال لها أبوها عتبة: يا بنية إن الناس قد أكثروا في أمرك فاخبريني الصحيح فإن كان كما أخبر به الفاكه فإني أدس إليه من يقتله فتنقطع عنك المقالة فحلفت أنها لا تعرف شيئاً مما اتهمت به وأن الفاكه كاذب عليها.

فأتى للفاكه عتبة وقال: إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فهل لك أن تحاكمني إلى أحد الكهنة فخرج الفاكه مع بعض بني مخزوم وعتبة في قوم من بني أمية وأخرج هنداً ونسوة معها من قومها.

فلما شارفوا بلاد الكاهن تغيرت حال هند وتنكر وضعها واختطف لونها فرأى أبوها ذلك، فقال لها: إني أرى علامة الخوف من العار قد ظهرت عليك وما ذلك إلاّ مكروه عندك؟ فهلا كان هذا قبل أن يشتهر مسيرنا عند الناس؟ قالت: يا أبت إن الذي رأيت مني ليس لمكروه عندي ولكني أعلم أنكم تأتون بشراً يصيب ويخطىء ولا آمن أن يسمني بميسم يكون عليَّ عاراً عند نساء مكة قال لها: فإني سأمتحنه في علمه قبل أن نحتكم إليه ثم صفر لفرس له فادلى غرموله فأدخل في فتحة البول من كمرته حبة بر وشدها بسير حتى إذا وردوا على الكاهن باليمن أكرمهم وعزلهم، فقال عتبة: إنا جئناك لأمر نريد أن تحكم فيه وقد خبأت لك خبيئة أختبرك في العلم بها فاعلمني ما هي؟ قال إنها ثمرة في كمرة ـ أي حشفة إحليل ـ قال أوضح قال هي حبة بر في إحليل مهر قال: صدقت فانظر الآن في شأن امرأة من هؤلاء النسوة فإن زوجها قد اتهمها بالفاحشة فجعل يدنو من امرأة لأخرى ويقول انهضي فإذا نهضت جسَّ ساقيها حتى بلغ إلى هند وضرب على كتفها وقال انهضي غير رقحاء ـ الرقحاء هي التي تتجر وتكتسب بالفجور ـ ولا زانية لتلدن ملكاً يقال له معاوية فوثب إليها الفاكه وأخذ بيدها وقال قومي إلى بيتك إن المغيرة تحمل على سوء الظن فجذبت يدها من يده وقالت: إليك عني فوالله لا كان منك هذا الملك بل من غيرك فتزوجها أبو سفيان بن حرب.

وذكرها القليوبي في نوادره/٨٥.

سقطات هذا التمويه

هكذا حوّلوا تاريخ هند بنت عتبة من البغاء الذي عرف عنها إلى العفة التي اشتراها معاوية لأمه بالرشوات وقد فات مختلف القصة ما يؤخذ عليه فيها من ثغرات:

١ - إذا كان للفاكه بيت ضيافة يغشاه الناس بغير إذن فكيف طاب له أن ينام ويضاجع زوجته فيه وهو يتوقع دخول الأضياف فيه بين حين وآخر وكيف يخرج ويترك امرأته عرضة لمن يدخل عليها ويتمتع بالنظر لهناتها.

٢ - لا يعقل أن يطلق الرجل زوجته بمجرد أن يرى إنساناً قد خرج من بيتها دون أن يعلم أنه قد أصاب منها كما أن المجرم لا يشبه البريء في حركاته وخطواته فلا يكون هذا الطلاق العاجل إلاّ لأنه قد شاهد منها ما لا تحتمله غيرته.

٣ - إن مشاهدة عتبة تغير حال ابنته عند بلوغهم بلد الكاهن قد أشعرته بعدم نزاهة ابنته مما قذفت به وإعادة الطمأنينة لها لا تحصل بامتحان الكاهن بل برشوته ليظهر غير ما يعلم منها.

٤ - كيف يعقل أن يعد ابنته بقتل الفاكه إن كان مفترياً عليه والفاكه أكبر وأعظم حسباً ونسباً في قريش من عتبة وقبيلة بني مخزوم أعلى كرماً وشرفاً وأشد قوة وأكثر عددا من بني أمية.

إلى غير ذلك مما فيها من التهافت الذي يتجلى بكل وضوح لمن تأمل فيها وقد ذكرها في المستطرف وابن عبد ربه في العقد الفريد ببعض اختلاف.

وذكر في العقد الفريد أنها بعد الفاكه خطبها سهيل بن عمرو وأبو سفيان فقالت لأبيها صفهما؟ قال: أما سهيل ففي سعة من العيش تحكمين عليه في أهله وماله لكنه لا يحمل الضيم ولا يغض على العار وأما أبو سفيان فموسع عليه ومنظور إليه في الحسب الحسيب والرأي الأريب لا ينام على ضعة ولا يرفع عصاه على أهله... فاختارت أبا سفيان وفي ذلك يقول سهيل بن عمرو.

ونبأت هنداً تبر الله سبها ... ثابت وقالت وصفا أهوج بائق

وما هوجي يا هند إلاّ سجية ... أجر لها ذيلي بحسن الخلائق

وإذا كانت هند على العفة التي لفقها ابنها معاوية كما يزعم فكيف عزاه الناس لأربعة نفر غير أبيه كلهم كانوا يختلفون عليها ويصيبون منها وكيف لم يرد على أروى بنت الحرث بن عبد المطلب لما قذفتها بالفحشاء مع وحشي بن حرب لما أغرته بقتل سيد الشهداء الحمزة بن عبد المطلب في واقعة أحد على أن تمكنه من نفسها إذا قتله.

فقد نقل ابن عبد ربه في العقد الفريد وابن طريح النجفي في المنتخب ومحمد وفريد وجدي في دائرة المعارف للقرن الـ (١٤) الهجري ٢١٥/١ بسندهم عن أنس بن مالك أن أروى بنت الحرث بن عبد المطلب دخلت على معاوية بن أبي سفيان أيام الموسم بمنى فقال مرحباً بك يا عمة قالت: كيف أنت يا بن أخي لقد كفرت بالنعمة وأسأت لابن عمك

الصحبة... وذكرت له ذماً وسباً طويلاً فرد عليها الحاضرون عمرو بن العاص ومروان بن الحكم فثلبت عرض كل منهما ثم أقبلت على معاوية وقالت: والله ما عرضني لهؤلاء غيرك وأن أمك القائلة في يوم أُحُد في قتل حمزة بن عبد المطلب شعراً قالت فيه:

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر

إلى آخر ما قالت، فأجابتها ابنة عمي ـ تعني هند بن أثاثة بن عباد بن المطلب:

خزيت في بدر وغير بدر يا بنت وقاع عظيم الكفر

إلى أن قالت:

أعطيت وحشياً ضمير الصدر هتك وحشي حجاب الستر

ما للبغايا بعدها من عذر

وذكر في الأغاني أن أبا سفيان لما تزوجها فركته لأنه كان بطيء الإنزال ثقيل الجثة قصيراً ذميماً فعلقت بعسيفه الصباح مغنى عمارة بن الوليد إذ كان شاباً وسيماً فكان يمارس غشيانها حتى حملت منه بمعاوية ثم أخذ يتردد عليها حتى حملت منه بعتبة وأنها كرهت أن تضعه في منزلها فخرجت إلى جبل أجياد في مكة فوضعته هناك.

ما هجاها به حسان بن ثابت الأنصاري

وذكر الشيخ عبد الرحمن البرقوقي في ديوان حسان بن ثابت الذي جمعه وشرحه.

إن عمر بن الخطاب قال لحسان بن ثابت يوم أحد: يا بن الغريقة لو سمعت ما تقول هند بنت عتبة ورأيت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا وتذكر ما صنعت بحمزة فقال حسان اسمعني بعض ما قالت وأنا أكفيكموها فاسمعه شعرها:

نحن جزيناكم بيوم بدر وللحرب بعد الحرب ذات سعر

إلى آخر الأبيات وهي مذكورة في الكتب التاريخية فقال حسان:

أشرت لكاع وكان عادتها لؤم إذا أشرت مع الكفر
لعن الإله وزوجها معها هند الهنود طويلة البظر
أخرجت مرقصة إلى أحد في القوم معنقة على بكر
بكر ثفال لا حراك به لا عن معاتبة ولا زجر
وعصاك استك تتقين بها دق العجابة عاري الفهر
قرحت عجيزتها ومشرجها من نصها نصاً على القهر
ظلت تداويها زميلتها بالماء تنضحه مع السدر
أقبلت زائرة مبادرة بأبيك وابنك يوم ذي بدر

وبعمك المسلوب بزته ... وأخيك منعفرين في العفر
فرجعت صاغرة بلا ترة ... مما ظفرت به ولا وتر
ونسيت فاحشة أتيت بها ... يا هند ويحك سبة الدهر
زعم الولائد أنها ولدت ... ولداً زنيماً كان من عهر

قال البرقوقي: يعني بالفاحشة سفاحها مع مسافر بن أبي عمر بن أمية فإنه كان أجمل فتيان قريش حسناً ووجهاً وشعراً وسخاء فعشقته هند وأرسلته فاستجاب لها فلم يزل معها على اتصال سري حتى أحبلها فخشي لو ظهر حملها أن يؤخذ لذنبه فخرج إلى الحيرة ونادم عمرو بن هند وهو يومئذٍ ملك الحيرة من قبل كسرى أنوشروان حتى إذا تمَّ حملها كرهت أن تضعه في منزلها فخرجت به إلى أجياد جبل بأعلى مكة ـ فوضعته هناك وفي ذلك يقول حسان أيضاً:

لمن الصبي بجانب البطحاء ... في الترب ملقى دون ذي مهد
نجلت به بيضاء آنسة ... من عبد شمس صلتة الخد
تسعى إلى الصياح معولة ... يا هند إنك حبلته الحرد
فإذا تشاء دعته مقطرة ... تذكى لها بآتون المهند
غلبت على شبه الغلام وقد ... بان السواد لخالك جعد
أشرت لمكاع وكان عادتها ... دق المشاش بناجذ صلد

وقال أيضاً:

لمن سواقط صبيان منبذة ... بانت تمخض في بطحاء أجياد
بانت تمخض ما كانت قوابلها ... إلاّ الوحوش والأجنة الوادي
فهم صبي له أم لها نسب ... في ذروة من ذوى الأحساب إياد
تقول وهنا وقد جد المخاض به ... يا ليتني كنت أرعى الشود الغادي
قد غادروه لحر الوجه منعفراً ... وخالها وأبوها سيد النادي

وقال فيها حسان أيضاً:

تزوجها صخر بن حرب وقد درى ... بما فعلت والوغد يألفه الوغد
فما منع العير الضروط ذماره ... ولا منعت مخزاة والدها هند

ولما تزوجها أبو سفيان فمضى إلى الحيرة لقيه مسافر بن أبي عمرو فسأله عن أخبار قريش كان مما أخبره أنه تزوج هند بنت عتبة لما طلقها الفاكه بن المغيرة انكمد مسافر واعتل لفراقها حزناً على عدم الوصول إليها وكان مما قاله في ذلك:

ألا إن هنداً أصبحت منك محرماً ... وأصبحت من أدنى حموتها حمى
وأصبحت كالمقمور جفن سلاحه ... يقلب بالكفين قوساً وأسهما

وأصابه مرض الأوار وهو داء العطش فلم يزل يشرب الماء حتى استسقى بطنه وخرج يريد

مكة ليتداوى بها فنفد ما عنده من الماء بموضع يسمى هباله فمات هناك ودفن بها ورثاه نديمه العباس بن عبد المطلب بما سبق ذكره أول البحث.

٦

البغاء السري في الإسلام

١ ـ هند بنت عتبة

في شرح المنهج ١١٢/١: أن معاوية بن أبي سفيان تكلم يوماً فـي عهد عثمان بالمدينة فقال له علي(ع) ما أنت وهذا يا بن اللخناء ـ اللخناء هي التي لمهبلها رائحة سيئة وقد يقال ذلك للفاحشة أيضاً ـ فقال معاوية مهلاً يا أبا الحسن عن ذكر أمي فما كانت بأخس نسائكم ولقد صافحها رسول الله(ص) يوم أسلمت ولم يصافح امرأة غيرها ا.هـ. فذكر الإمام لها باللخناء قد يدل على أنها تمارس البغاء سراً في الإسلام.

وفي هذا الحديث غرابة من جهتين الأولى، قول علي لمعاوية يا بن اللخناء فلولا أنها بغي فعلي أرفع أن يبني أحداً بأمه أو أبيه والثانية، ما ادعاه معاوية أن النبي صافح أمه فهو مما يقدح في نزاهة وعدالة سيد المرسلين فالمأثور أن النساء لما أتين يبايعنه وضع بين مركن فيها يأمر المرأة بدل المصالحة أن تغمس يدها فيه.

٢ ـ أم الوليد بن عقبة بن أبي معيط

زوج عقبة بن أبي معيط أباه بن أبي عمرو ذكوان بن أمية كانت ترمى بعهر وفجور ولذلك كان ابنها الوليد ينسب إلى علج من أهل صنورية وقد أذكره بذلك الإمام الحسن بن علي(ع) في مجلس معاوية بمحضر بني أمية فقال له: وما أنت وقريش إنما أنت ابن علج من صنورية وأقسم بالله لأنت أكبر سناً ممن تدعى إليه.

٣ ـ فاطمة بنت ضمرة الأسدية

زوج عتبة بن أبي سفيان كانت من المومسات وكان زوجها يعلم ذلك فيكتمه دياثة وخيانة

وكان لها خدانة مع رجل من لحيان يأتيها بين حين وآخر فإذا حضر عندها خرج زوجها وخلي بها.

وقد أذكره بذلك سيدنا الإمام الحسن ـ في المفارحة التي كانت له مع جماعة من أمية ذكرها جملة من المؤرخين كابن أبي الحديد في شرح المنهج وابن حجة في ثمرات الأوراق ـ فكان مما قاله الحسن لعتبة: وأما وعيدك إياي بالقتل فهلا قتلت اللحياني إذ وجدته على فراشك مضاجعاً لزوجتك أما تستحي من قول نصر بن حجاج فيك؟

يا للرجال وحادث الأزمان ... ولسبة تخزى أبا سفيان
لبثت عتبة خانه في عرسه ... جنس لئيم الأصل من لحيان

٤ ـ ميسون بنت بجدل الكلبية

أم يزيد بن معاوية ذكروا أنها كانت تأتي الفاحشة سراً مع عبد لأبيها بجدل ومنه حملت بيزيد وإلى ذلك أشار النسابة البكري في قوله:

فإن يكن الزمان أتى علينا ... بقتل الترك والموتى الوحي
فقد قتل الدعي وعبد كلب ... بأرض الطف أولاد النبي

يعني بالدعي عبيد الله بن زياد وعبد كلب يزيد بن معاوية فهما اللذان توليا قتل الحسين وأهل بيته في واقعة الطف.

وذكر ابن طريح في المنتخب وابن شهراشوب في المناقب أن يزيد بن معاوية قال يوماً للإمام الحسن(ع): يا حسن إني قد كنت أبغضك وأبغض أباك، فقال الحسن: ذلك لأن الشيطان شارك أباك حينما ساور أمك فاختلط الماءان فلذلك أنت تبغضني وكذلك الشيطان شارك جدك حرباً في مساورته جدتك فلذلك جدك صخر يبغض جدي رسول الله وتحملت أنت وأبوك عداوتي وتلا قوله تعالى ـ خطاباً للشيطان ـ ﴿واستعذر من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غرورا﴾ الإسراء/ ٦٤ ا.هـ.

يعني بالشيطان الذي شارك معاوية في أم يزيد عبد أبيها والذي شارك حرب بن أمية الشطار الذين يمارسون الفاحشة في أم أبي سفيان وهي حمامة التي ذكرنا أنها كانت ذات علم، ومعنى المشاركة الشيطانية هي الفجور والزنا يقال لابن الزنا شرك شيطان.

وجاء في الحديث عن الإمام الباقر(ع) أنه قال: قاتل يحيى بن زكريا ولد زنا وقاتل الحسين بن علي ولد زنا ولا يقتل الأنبياء والأوصياء إلاّ أبناء البغايا ا.هـ. وكما يصدق قاتل الحسين على الذي حز رأسه الكريم فيصدق على من دفع الجنود لحربه كأبي سعد وابن زياد وهو في الذي

أمرهم وبعثهم أصدق. وقد ذكر المؤرخون أن الناس لما استباحوا سب يزيد ولعنه بعد الحادثة أراد أن يتملص من هذه السبة فأحضر قتلة الحسين الذين واجهوه بالقتال وجعل يسألهم عمن باشر قتله فكان كل يقذف بها لآخر والأخير منهم قال والله ما قتل الحسين إلاّ من بذل الأموال وجهّز العساكر والجنود وهو أنت يا يزيد.

وقد ذكر المؤرخون أن ميسون بنت بجدل دخلت الحمام يوماً فاغتسلت وتدلكت وتنظفت ودهنت شعرها ولبست أفخر ثيابها وزينتها وتطييت وجلست على شرفة القصر الذي تسكنه مع معاوية في غوطة دمشق وهب عليها نسيم الربيع بأنفاس الورد والياسمين والريحان من كل جانب فتذكرت عيشتها الأولى في ديار كلب بالصحراء الغربية من أرض نجد حيث الهواء النقي والجو البهيج فأنشأت:

لـلـبـس عـبـاءة وتـقـر عـيـني أحـب إلـيَّ مـن لـبـس الـشـفـوف
وبـيـت تـخـفـق الأرياح فـيـه أحـب إلـيَّ مـن قـصـر مـنـيـف
وقـطـعـة خـبـزة فـي كـسـر بـيـتـي أحـب إلـي مـن أكـل الـرغـيـف
وعـلـج مـن بـنـي عـمـي كـريم أحـب إلـيَّ مـن عـجـل عـلـيـف

فدخل عليها معاوية وسمع شعرها وقال ما امتنعت بنت بجدل بكفران النعمة وإنكار الجميل حتى مثلت بي عجلاً معلوفاً ليذبح يوم الأضحى ثم طردها إلى ديار أهلها بني كلب وهناك حملت بيزيد وهجرها معاوية ثم استعادها إلى القصر وهي حبلى ولما سألها زعمت أن الحمل قد ابتدأها منه قبل طردها فأغضى معاوية على ما حدث لأنه كان من تفريطه والمتعصبون لبني أمية يزعمون أن حادثة الطرد إنما كانت بعد ولادتها يزيد.

٥ ـ آمنة بنت علقمة بن صفوان

من بني كنانة أم مروان بن الحكم بن أبي العاص واخوته كانت ممن تمارس العهر سراً مع أبي سفيان بن الحارث بن كلدة فكان مروان أشبه الناس به.

وقد عيَّرته بذلك أروى بنت الحارث بن عبد المطلب في حديثها مع معاوية بن أبي سفيان لما دخلت عليه في أيام الموسم بمنى الذي اشتهر بين المؤرخين.

فحينما أطالت الحديث مع معاوية قال مروان اسكتي أيها العجوز الضالة فقد ذهب عقلك مع ذهاب بصرك قالت: وأنت يا بن الزرقاء لتتكلم. ولانت بأبي سفيان بن الحارث بن كلدة أشبه منك بالحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس فإنك شبه أبي سفيان في زرقة عينيه وحمرة شعره وقصر قامته وظاهر دمامته ولقد رأيت الحكم سبط الشعر مديد القامة ظاهر اللامة ـ الهيئة ـ وما بينكما من قرابة إلاّ كقرابة الفرس الضامر من الاتان المقرب فاسأل أمك عما أخبرتك فإنها ستعلمك إن صدقت.

أما الزرقاء التي نبزت مروان بها فهي جدة أسرة بني مروان من ذوات الأعلام اللاتي اشتهرن بممارسة البغاء علانية في الجاهلية وقد مر ذكرها في عداد البغايا بالبغاء العلني وهو ذوات الأعلام.

٦ ـ أم جميل بنت الأفقم

من بني هلال بن عامر تزوجها الحجاج بن يوسف الثقفي لما رأى منها من الخيانة فبقيت في البصرة تمارس البغاء وهي التي تعلق بها المغيرة بن شعبة أيام ولايته على البصرة من قبل عمر فاشتهر أمره معها فوضعوا عليه الرصد فقدموه إلى عمر وشهدوا عليه أربعة رجال عدول وكاد أن يثبت الحد بالرجم عليه لولا أن عمر أغرى الشاهد الرابع وهو زياد بن سمية أن يعدل عن شهادته فرد شهادتهم وأمر المغيرة أن يقتص حد القذف منهم.

وهي قصة مشهورة ذكرناها في المذكرات ١٦٠/٧ وسنذكرها في جريمة القذف.

٧

من طرائف الزنا

ولا تزال هناك عواقب وخيمة تقع من الزنا والفجور على الزناة والبغايا يفقدون بها السعادة وأحياناً الصحة والسلامة وأحياناً الحياة وأحيانـاً تكـون هذه العواقب طريفة غريبة فمن ذلك ما ورد بعنوان:

١ ـ شر البلية ما يضحك

ذكروا أن جماعة من الصعاليك أغاروا على أحد الأحياء فأصابوا امرأة تفوح روايح العطر والطيب من جوانبها فأغرتهم أن يقعوا عليها فكلما وقع عليها رجل أظهرت له حركات تزيد في غلمته وشبقه وعند مساورة الثالث منهم فارقت الحياة فأنشد:

عـجـوز لـهـفـنـا عـلـى وطـئـهـا ... تـخـرخـر إذ فـوقـهـا نـبـرك
حـسـبنا تـخـرخـر مـن أنـسـهـا ... إذا هـي قـد أوشـكـت تـهـلـك
فـمـاتـت ونـضـحـك مـن مـوتـهـا ... وشـر الـبـلـيـة مـا يـضـحـك

٢ ـ أربعة من الرؤساء في قفص

كان لإحدى البغايا قرين من اللصوص فاعتقل ذات مرة في جريمة سرقة فذهبت البغي تتشفع في إطلاقه عند أولياء الأمور بما تظهره لهم من المحاسن الساحرة والمفاتن المثيرة وفي مقدمتهم الوالي والملك والقاضي ومدير السجن حيث لم يستجب لها أحد منهم إلاّ على شرط أن يذوق من شهدتها ويشرب من كأسها فأوعدتهم كلهم في يوم واحد وعيَّنت لكل واحد منهم وقتاً لزيارتها بعد وقت الآخر بغير فصل فالملك في الساعة التاسعة ليلاً والوالي في العاشرة وهكذا.

وقبل الموعد بيومين ذهبت لأحد النجارين فاتفقت معه على أن يصنع لها صندوقاً يشتمل

على أربع خانات كل خانة تكفي لأن يمتد فيها إنسان بكامله وامتنع النجار عن إجابتها لصنع الصندوق إلاّ أن تعده بما وعدت به الآخرين وعيّنت له الوقت المتأخر بعد أوقاتهم على أن يضيف لخانات الصندوق خانة أخرى.

فلما كان يوم الميعاد وأقبل المدعوون ليطعموا من موائدها جعلت تداعب وتغازل كل من قدم منهم وتماطله حتى يقدم الآخر فإذا قدم ودق الجرس انذرت الذي تداعبه معها بأن زوجها قد قدم وسألته أن يختبىء عن لقائه في الخانة التي أعدت لاختفائه فيها فإذا اختفى فيها فتح الباب للقادم من الموعودين فتستقبله وتعمل معه مثل ما عملت بالسابق من المداعبة والمغازلة حتى يدق الجرس للموعود بعده فتنذره أن زوجها قد قدم وتأمره أن يختفي في خانة الصندوق وهكذا دواليك حتى قدم آخرهم النجار فأخبأته في خانته التي أعدها لحتفه.

وقد تسلمت من كل واحد منهم السند الذي يخصه في إطلاق القرين المسجون ولما اكتملوا كلهم في الصندوق أمرت زوجها أن يطلق عليهم الرصاص وهم في مخابئهم وأحضرت أربعة من الحمالين فحملوا الصندوق بما فيه وألقوه على مفترق الطريق في المدينة وقد كتبت على كل خانة اسم من قتل فيها وعلى الواجهة الأمامية:

فتنوا بالجمال والحسن حتى	ثملوا بالغرام منه جنونا
وأتوا يبغون بالحب وصلاً	وإذا هم يرون فيه المنونا
قتلتهم بمكرها الخود لما	سحرتهم بما سباهم فتونا
فانظروهم أضاحي الحب ماتوا	دون أن يبلغوا الذي يأملونا
لا لوالٍ ولا لقاضٍ مقامٌ	قد رعت والمليك ساوى الزبونا
هذه سنّة الزنا فاسأل التا	ريخ كم مثلهم أباد قرونا

٣ ـ ما ينقل عن هاروت وماروت

قال تعالى: ﴿... وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد﴾ سحراً ﴿حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه...﴾ البقرة/١٠٢.

ذكرنا في كواكب الإشراق ٢٦٢/٢ عن السيوطي في الدر المنثور ١٠٠/١ عن أبي العباس وغيره في تفسير الآية الكريمة أن أهل الأرض لما كثرت منهم المعاصي والسيئات تعجبت من حلم الله عليهم وكيف لم يخسف بهم الأرض فأوصى إليهم أنكم لو كان لكم غرائز الأكل والشرب والنوم والجنس لما قصرتم عنهم فيما يعملون فاختاروا من ترونه منكم الأتقى والأفضل لأنزل فيه هذه الغرائز وأنزله إلى الأرض لتروا ما يصدر منهم فاختاروا الملكين هاروت وماروت.

فأهبطهما إلى منزل نبي ذلك العصر وهو إدريس وكان في أرض بابل بالعراق وامتحنهما

في أن يحكما بين الناس بالعدل فاستمرا على ذلك مدة من الزمن حتى رفعت لهما ذات مرة خصومة بين رجل وامرأة كانت آية في الحسن والجمال ففتنا بحبها وهاما بها وسألا الناس عنها فأخبرا أنها إحدى المومسات فلم يملكا من أمرهما شيئاً دون أن ذهبا في عرض الزناة ليصيبا منها فلما جاء دورهما وطلبا منها ما توفره لزبائنها زعمت أنها لا تستجيب لمن يلم بها أن ينال منها إلاّ أن يكون قد شرب معها الخمرة وسكر ليجيبها لما تطلب منه من أعمال الجنس والفحش فشربا معها الخمر حتى سكرا وقبل أن تتجرد لهما قرع باب الدار فزعمت أنه قرينها وخدنها الذي يقوم بها وأنه لا يرضى أن يرى معها من يشاركه فيها فأعطت كلاً منهما سيفاً ليقفا على جانبي باب الدار فإذا دخل علواه بسيفيهما حتى الوفاة فعملا ما أمرتهما قالت: فإن غريزة الجنس لا تتحرك من المؤمن بالله إلاّ أن يكفر به وكشفت لهما عن صنم في جانب البيت وأمرتهما بالسجود له لينتزع الإيمان منهما فسجدا إليه ثم وقعا عليها الواحد بعد الآخر يتناوبان عليها حتى قضيا وطرهما منها.

وقد كشف الله في ذلك الوقت لأهل السما لينظروا ما فعل الملكان في الأرض فخرّت الملائكة ساجدين يحمدون الله على تفضله عليهم بالصحة والتجرد عن الشهوات التي تدفع أصحابها إلى المعاصي والسيئات...'

ثم خيَّر الله هاروت وماروت بين عذاب الدنيا والآخرة فاختارا عذاب الدنيا فألقاهما مقيدين في بئر عميقة مظلمة في بابل بالعراق.

وكان السبب في ما أصابهما من البلاء هو الزنا فهو الذي دفعهما لقتل النفس المحرمة وشرب المسكر والشرك بالله بالسجود للصنم فحلت بهما سخط الله ونقمته.

أما ما جاء في القرآن الكريم أنهما أثناء تعذيبهما في بابل يعلمان الناس السحر فيعني أنهما يعلمان الناس إبطال السحر. ومن خلال ذلك يتعلم الناس ما يفرقون به بين المرء وزوجه كمن يدل الناس على الأعشاب المسمومة ليحذروا منها فيسمون بها غيرهم كما ذكرناه في المصدر ص ٢٦٦ عن الصادق(ع).

أما دعوى أن تلك البغي التي فتنا بها قد حولها الله كوكباً في السماء وهو كوكب الزهرة فهو من الأضاليل السخيفة التي تدسها علماء اليهود بدين الإسلام ويأباها المنطق والوجدان.

٤ ـ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر

ونطير ذلك ما ورد في معنى قوله تعالى: ﴿... كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين. فكانت عاقبتهما أنها في النار خالدين فيها...﴾ الحشر/ ١٧.

كان في زمن بني إسرائيل قديماً عابد من النسّاك المترهبين يقيم على رأس جبل والناس يتعهدون بكل ما يحتاج إليه لما ينالون من بركاته في إجابة دعواتهم وقضاء حاجاتهم وشفاء المرضى وحل المشكلات فحسده الشيطان على هذه المنزلة التي بلغها ورغب في تجريده عنها فنادى في أولاده وأعوانه من منكم يكفيني هذا العابد الناسك قال أحدهم أنا له قال: من أي باب تغويه وتضله؟ قال: من طريق المال والمجوهرات فإنه إذا فتن بها شغل عن العبادة قال: إذهب لست بصاحبه قال الثاني: أنا آتيه من طريق النساء افتنه بغانية تسلبه عقله قال: لست بصاحبه قال آخر: أنا آتيه عن طريق السكر أزيّن له شرب الخمر فإذا سكر خرج روح الإيمان من صدره قال: لست له إنه لا يجيبك لهذا قال الرابع: فأنا آتيه من طريق العبادة أتصنع له في مثل عبادته فإذا سألني أوقعته في الخطيئة، قال: صدقت اذهب فأنت صاحبه.

ودخل الشيطان على ذلك العابد في صورة راهب متقشف نحيف عليه مظاهر العبادة والجوع والسهر وبين عينيه سجادة كركبة عنز ففرح به العابد واستبشر بمقدمه لأن يتخذه نديماً وصاحباً وأحضر له طعاماً فاعتذر إليه أنه صائم وما برح حتى قام يصلي ببطء وخشوع وواصل الصلوة طول النهار دون مللٍ أو سأم أو منام أو حديث مع إنسان وفي المساء أفطر مع العابد وتحدث إليه بأنه لا يأكل إلاّ ما يقيم صلبه وأقام على هذه الحال ثلاثة أيام.

فتعجب العابد من قوة ضيفه على هذه العبادة دون عجز أو سأم وقال: يا أخي من أين حظيت هذه القدرة على العبادة والعصمة من النوم والجوع والسأم؟ قال الشيطان: إني لو أخبرتك لم أظن أن تصدقني قال: إن هذه المظاهر الروحانية لا يحتمل منها الكذب والخداع قال: إني حصلت هذه القدرة والعصمة عن طريق ممارسة الزنا مرة واحدة أحدثت بعدها توبة نصوحاً وسألت الله أن يهبني رغبة وقوة على عبادته فاستجاب لي قال: وهل ترى يمكنني أن أصل لما وصلت إليه؟ قال: إن ذلك إليك سهل يسير فإن الناس تنقل إليك مرضاهم لتمسح عليهم وتدعو لهم فيحظون منك الشفاء فإذا نقلت إليك فتاة جميلة لتشفيها فابقها عندك إلى الليل بحجة أن شفاءها يتوقف على أن تبيت ليلتها في بيت العبادة فإذا باتت عندك فافعل بها ما شئت وسلمها لأهلها في الصباح فإذا طالبوك بمواقعتها فقل إن شفاءها لم يمكن إلاّ بذلك وأنت عند الناس كلها مصدق أمين ثم ودّعه الشيطان وذهب.

ذهب الشيطان إلى إحدى فتيات ملك تلك البلاد فسحرها بألم عظيم في رأسها فنقلت إلى العابد ليشفيها مما حدث لها فاستبقاها عنده كما علّمه الشيطان ولما خلا بها في الليل أسرَّ إليها بأنها لا تشفى من مرضها إلاّ أن يساورها واستسلمت إليه فافترعها ثم واصل الاتصال بها إلى أربع مرات وفي الصباح تخلى الشيطان عن سحرها ليصدق العابد حين سلّمها إلى أهلها أنها شفيت من مرضها.

وبعد أيام ظهر لأهل الفتاة أنها حبلى وسألوها فأخبرتهم بما فعل العابد بها وسألوه فاعترف بالجريمة واعتذر بأن شفاءها يتوقف على ذلك فلم يسمعوا قوله وألقي عليه القبض وأودع في السجن ورفع إلى العدالة فحكموا عليه أن يصلب حياً على خشبة ثلاثة أيام وسط القرية ليراه النـاس فلا ينخدعون بعد ذلك برهبانيته ومرَّ به الشيطان ليلاً، فقال العابد: ماذا فعلت بي يا أخي أهذا جزاء الإحسان إليك وضيافتك عندنا؟ قال: إني ذكرت لك أن تزني مرة واحدة أن لا يكون بينكما حمل وأنت قد ساورتها أربع مرات فهذا الذي سبب حملها قال: فدلني على ما ينقذني من هذا العذاب قال: فاسجد لي وأنا أطلقك الآن قال: إني أسجد لك بعد الانطلاق قال: بل الآن قال: وكيف أسجد وأنا مشدود بالخشبة قال: أغمض عينيك بقصد السجود فإنه يكفي فسجد له بغمض عينيه فلما فتحهما قال: إنك أشركت بربك وكفرت وإني برىء منك إني أخاف الله رب العالمين.

٨

عقوبات الزنا في الدنيا

إن الزاني لا يخرج من الدنيا حتى يصاب باثنتي عشرة عقوبة ثلاث منها في حياته وثلاث عند موته وثلاث في قبره وثلاث في حشره يوم القيامة.

فأما الثلاث التي يصاب بها في حياته فهي قصر العمر وتعجيل الفناء والثانية ذهابه بالغنى والثروة والثالث ذهاب سيماء الصلاح من وجهه أي عدم الخجل والحياء وقد أنهينا الحديث هناك عن الخصال الثلاث ونعيدها هنا للمناسبة.

الزنا يعجل الفناء

وقصر العمر وتعجيل الفناء على الزاني أي المستهتر في شراء اللذات والتوغل في أحضان المومسات وبائعات اللذات لا ينفك من ممارسة الجنس معهن ليلاً ونهاراً وفي كل حين فهو كلما قام عن غانية لهفت نفسه على أخرى ولا شك أن مداومة إتيان الجنس مما يعجل الشيب ويسرع بالهرم والانحطاط كما قيل:

ثلاث مهلكات للأنام — وداعية الصحيح إلى السقام
دوام مدامة ودوام وطء — وإدخال الطعام على الطعام

وأما إذا كان مداومة الجنس عن طريق الظلم والاغتصاب فلا شك أنه سيؤدي بصاحبه للاغتيال في يوم من الأيام ممن يغالبهن على أعراضهن كما توضحه قصة الملك عمليق المذكورة في العرائس ٢٣٢/٢ بعنوان:

فسق الملك عمليق أدى إلى هلاكه

ذكر الجاحظ في المحاسن/٢١٦ وقصص العرب ٣٤٣/٤ قال:

كانت منازل العرب من طسم في موضع اليمامة يحكمهم ملك يسمى عمليق ومعهم طائفة تسمى جديس فاتفق أن رجلاً اسمه ماشق له زوجة تسمى هزيلة فحدث مرة بينهما خلاف وطلقها وله ولد منها فانتزعه منها فشكته إلى الملك عمليق وأنها أولى به فقال عمليق وما حجتك في ذلك قالت: إني حملته تسعاً ووضعته دفعاً وأرضعته شفعاً فلما تمت أوصاله وتمّ فصاله انتزعه مني كرهاً وتركني منه ورهاً ـ والروها هي التي نزع من كفها الخضاب ـ فقال لبعلها وأنت ما حجتك على انتزاع ولدها منها قال إني أعطيتها كاملاً ولم أصب منها نائلاً إلاّ وليداً خاملاً فافعل ما كنت فاعلاً، فقال عمليق: بل الملك أولى به منكما وانتزعه منها وخلطه بصبيته وقام بكفالته فحزنت هزيلة على فراق ولدها وأنشأت:

لقينا أخا طسم ليحكم بيننا ... فانفذ حكماً في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعاً ... ولا كنت فيما يفصل الحكم عالما
ندمت ولم أندم وإني لعثرتي ... وأصبح بعلي في الحكومة نادما

فلما سمع عمليق شعرها أمر أن لا تزف فتاة من جديس إلى بعلها إلاّ بعد أن يبنى الملك بها ويفتض عذرتها فلقيت جديس من حكمه هذا ذلاً وصغاراً لا يحتمل.

ثم إن رجلاً تزوج الشموس عفيرة بنت غفار وهو أحد رؤساء جديس وسادتها فلما أرادوا أن يزفوها إليه بدأوا بها المليك عمليق فأدخلوها عليه ومعها الجواري والقيان يضربن بالدفوف ويتغنين وتعلن:

أبدى بعمليق ومعه فاركبي ... وبادري الصبح بأمر معجب
فسوف تلقين الذي لم تطلبي ... ولم يكن من دونه من مذهب

فقالت الشموس:

ما أحد أذل من جديس ... أهكذا يفعل بالعروس
أمثل هذا يرتضيه حر ... من دونه عنه يحل العهر
لئن يذوق المرء حتف نفسه ... أهون من عار يرى بعرسه

فلما بنى بها الملك افترعها وخلى سبيلها فخرجت من عنده ولم تصلح شيئاً مما أفسده فيها حتى وقفت على رأس أخيها الأسود بن غفار وهو جالس مع رؤساء قومه فرفعت ثوبها عن قبلها والدم يسيل من عذرتها التي أعنف عمليق في افتراعها وأنشأت:

أيحسن ما يؤتى إلى فتياتكم ... وأنتم رجال في الحمى عدد الرمل
وترضون هذا العار يأتي بأختكم ... عشية زفت في النساء إلى البعل
فإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساء في المقانع والحجل
ودونكم طيب وكحل فإنما ... خلقتم نساء للمضاجع والكحل

فاهتز أخوها وقومها مما رأوا وسمعوا ونظروا واتفقوا بينهم على اغتيال الملك عمليق وأتباعه فعملوا بهم مثل ما عمل الخليفة السفاح العباسي ببني أمية عملوا وليمة كبيرة ودعوا إليها الملك وحاشيته وحرسه فلما التهوا بتناول الطعام تناولتهم أبطال جديس بالسيوف تأخذهم من كل جانب وتولى الأسود بنفسه قتل عمليق فأسقط رأسه بضربة سيف في حجره وقال.

أحد أمراء العيونيين لاقى مصير عمليق

ومثل ذلك ما ينقل عن الشاعر الأكدمي الشيخ علي بن مقرب العيوني أن الأمير من العيونيين في زمانه كان خليعاً فاسقاً شديد الشبق والغلمة فحكم على أبناء شعبه أن لا تزف بكر إلى بعلها إلاّ بعد أن تدخل عليه فيفترعها ومضت الأيام والعذارى تزف إليه كلما حلّ زواج حتى حدث أن أحد الشخصيات المرموقة زوج ابنته بابن أخيه وكانت الفتاة صغيرة السن وضعيفة البنية فسأل الملك أن يعفيها لضعفها وصغرها فلم يجب وعهد إليهم أنها إذا لم تكن لها قدرة على اتصاله بها أعفاها فلما أدخلت عليه لم يملك نفسه أن انقض عليها وحملها ما لا تطيق فأفضاها وخرجت من عنده ولها نزيف دم لم يتوقف حتى قضى عليها.

فتعاهد أهل المنطقة كلهم على اغتيال الملك والانتقام منه لما فعل بالفتاة ولو بطريق الاحتيال وطلبوا غلاماً جميلاً يوهمونه أنه فتاة تزف إلى بعلها فإذا دنا منه بادره بطعنة في قلبه تبعج بطنه إلى مثانته فلم يجسر على ذلك إلاّ الشيخ علي بن مقرب فلبس ما تلبسه العرائس وأمر الجواري والقيان أن يضربن حوله بالدفوف ويتغنين بما يطيب منه قلب الملك وحينما دنا منه الملك بعج بطنه بسكين فألقاه صريعاً في غرفة قصره وخرج وأراح الناس من ظلمه وطغيانه.

اللواط أعجل إلى الهلاك من الزنا

وكما أن الزنا يقصر عمر من ولع به وتعمق فيه ويعجل عليه بالفناء لما قد ذكرناه فكذلك الشذوذ الجنسي بل ربما يكون الشذوذ أبلغ في تعجيل هلاك المتعمقين فيه.

فقد ذكرنا في مراقي الأصول ٢٨/١: أن بني حمير في اليمن بعد هلاك عمرو بن تبان أسعد الحميري تولى عليهم زعيم منهم يسمى لخنيعة فقتل خيارهم وشتت بيوت أهل المملكة منهم حتى قال بعضهم:

تقتل ابناها وتنفى سراتها ... وتبني بأيديها لها الذل حمير

وكان لخنيعة امرءاً فاسقاً يعمل عمل قوم لوط فكلما سمع بغلام مليح من أبناء الملوك والأمراء والرؤساء بعث إليه واصطاد الجوائز والخلع وخلا به ونال منه في مشربة ـ أي غرفة ـ قد أعدّها لذلك لئلا يرشح للملكية أو الرياسة من بعده لأن الناس إذا علموا بأنه قد نكح في دبره

سقط من أعينهم ولم يروه أهلاً للرياسة أو الملك عليهم. وبعد أن يفرغ من إتيانه يطلع من مشربته على حرسه وأتباعه قد وضع سواكاً في فمه إشارة إلى أنه قد فرغ من إتيان الغلام.

حتى بعث إلى غلام من أبناء الملك الراحل قبله تبان أسعد بن كلي كرب الحميري يقال له زرع ذو نواس أخو الملك حسان وكان صبياً صغيراً عندما قتل أخوه حسان ثم شبَّ غلاماً جميلاً وسيماً ذا عقل وشهامة وفطنة فلما أتاه رسول لخنيعة علم بقصده فخبأ له سكيناً بين قدمه ونعله فلما أتى لخنيعة وخلا به وجره للفراش ليلقيه على وجهه فوثب عليه زرعة فوجأ عنقه وقضى عليه ثم قطع رأسه فوضعه في النافذة التي كان يطل منها على حرسه إذا قضى من الغلام وطره ووضع السواك في فمه ونزل من المشربة وخرج من القصر فقال الناس إيه يا زرعة أرطب أم يباس وكان من عادة الحرس إذا طلع عليهم الغلام المفعول به قطعوا مشافر ناقته وذنبها وصاحوا به أرطب أم يباس فلما قالوا ذلك لزرعة قال ستعلم الأحراس إست ذي نواس إست رطبان أم يباس فنظروا إلى النافذة وإذا رأس لخنيعة معلق فيها فقالوا لزرعة أين تذهب والله لا يملكنا غيرك إذ أرحتنا من هذا الخبيث فملّكوه عليهم واتفقت على تمليكه حمير وقبائل اليمن فكان آخر ملوك حمير.

ممارسة اللواط هو سبب خسف مدائن قوم لوط

وأبلغ شاهد على أن الزنا واللواط يقصران الأعمار ويعجلان الفناء ما صنعه الله بقوم لوط لما تمادوا على شذوذ الجنس فيما بينهم واعتزلوا نساءهم مما دفعهن إلى ممارسة السحاق فيما بينهن فكان لكل رجل غلام ولكل امرأة فتاة تتبادل أعمال الجنس معها فبعث الله النبي لوط بن ناحور أخي إبراهيم الخليل فوعظهم وزجرهم عن ممارسة هذه الرذيلة التي تسقطهم من المجتمع وتسبب قطع التناسل البشري وتنشر فيهم الأوبئة والأمراض الزهرية فما استجابوا لدعوته ولا أصغوا لقوله بل تحاملوا على أن يفعلوا بإخوانه وأضيافه ما يفعلونه بأنفسهم وحينما امتنعوا منهم اتفقوا على إخراجهم من القرية كما حكاه الله عنهم في قوله: ﴿فما كان جواب قومه إلاّ أن قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون﴾ الأعراف/ ٨٢ ﴿ولما جاءت رسلنا﴾ من الملائكة في صور غلمان من البشر ﴿سيء بهم وضاق بهم ذرعا. وجاءه قومه يهرعون إليه﴾ وقالوا من علينا يا لوط أن نرتع في هذا الجمال ﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهركم، قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ أو رغبة...

﴿فلما جاء أمرنا جعلنا﴾ مدائنهم ﴿عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ هود/ ٨٢ وما من أحد أصرَّ على اللواط إلا تعجل فناؤه وألحق بهم ليحشر معهم يوم القيامة.

٩

عقوبات الزنا في الأديان

أما عقوبة الزنا في الأديان السماوية فتنقسم إلى قسمين معنوية وحسية:

أما المعنوية: فهي الأحكام التي تصدر بحقه في منعه من المصاهرة والزواج من النسوة الملتفات بالمرأة التي زنا بها فقد ذكرنا فيما سبق ما قررته نصوص أهل البيت واتفقت عليه الفقهاء أن من زنى بإمرأة حرمت عليه أمها وبناتها من غيره ومن زنى بذات بعل حرمت عليه مدى الحياة حتى لو طلقها زوجها أو مات عنها.

ويجاري الزنا في هذه العقوبة قسيمة الشذوذ الجنسي فمن فعل بغلام وأوقبه حرمت عليه أم الغلام وأخواته وبناته لأن الغلام المفعول به يعتبر بعد الحدث زوجة للفاعل لا تنفصل عنه بطلاق ولا فراق.

العقوبة الحسية

وأما عقوبة الزنا الحسية المؤلمة في النفس والجسم فهي مهانة الزاني وإسقاط كرامته وحرمته بإقامة الحد عليه والتشهير به فإذا اعترف بالجريمة أو قامت البينة عليه بأربعة شهود عدول يشهدون بأنهم رأوا مقارفته الجريمة بأعينهم وجب أن يجلد بما حكم الله عليه في قوله تعالى ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله... وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ النور/٢.

هذا إذا كان الزاني والزانية عزبين أي ليس للزاني زوجة حاضرة مطيعة ينال منها وطره حيث يشاء أما إذا كان متزوجاً وزوجته تحته لا تحجب عنه فحكمه الإعدام رجماً بالأحجار وكذلك

المرأة التي استسلمت لأن يزنى بها وهو ما يدل عليه النصوص الصحاح عن أهل البيت(ع) ففي الوسايل ٢٢٨/١٤ عن الكليني بإسناده عن سماعة عن الصادق(ع) قال الحر والحرة إذا زنيا جلد كل واحد منهما مائة جلدة.

أما إذا كانا عبدين مملوكين فيجلد كل منهما خمسين جلدة فقط.

قال ع: فأما لمحصن والمحصنة ـ أي الذي أحصن عفته بالزواج ـ فعليهما الرجم وفي الوسايل ٢٢٣/١٣ عن علي بن إبراهيم بسنده عن إسحاق بن عمار قال: سألت أبا إبراهيم ـ موسى بن جعفر(ع) ـ عن الزاني كيف يجلد؟ قال: أشد الجلد قلت: من فوق ثيابه؟ قال: بل تخلع ثيابه يعني ثياب التجميل الظاهرة أما الثياب التي تلاصق جسده فإنها تبقى لستر عورته وروى مثل ذلك أيضاً عن أبي علي الأشعري.

ولهذه العقوبة أحكام وسنن مذكورة في كتب الفقه وقد ذكرناها مفصلة في كتابنا (عقيدة العدل الإلهي) من العقايد الإسلامية.

التوبة تغني عن إقامة الحد

وليس إقامة الحد على المجرم شرطاً لحصول التوبة من الله عزَّ وجل بل من الممكن أن ينالها المجرم بإظهار الندم والأسف في قرارة نفسه وارخاء الستر على من فعل بها أو فعل به فيحدث توبة إلى الله صحيحة صادقة أن لا يعود لتلك الجريمة مدى الحياة.

فإن الله تعالى حليم كريم يقبل التوبة من العاصي ويغفر له معصيته إذا أقلع عن ذنبه وستر على نفسه ومن أساء إليه من المؤمنين والمؤمنات ولا يعاقبه أو يعاتبه يوم القيامة بما صدر منه في الدنيا من الأخطاء صغيرة أو كبيرة قال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ بالمعاصي والخطيئات ﴿لا تقنطوا من رحمة الله إن الله ليغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ الزمير/٥٣.

بل قد أباح الإسلام لرجال المسلمين أن يتزوج الرجل المؤمن منهم المرأة الموسة التي كانت تمارس البغاء إذا تابت وأنابت وأقلعت عن أخطائها، بل يسحب الستر على المرأة المغتصبة إذا تزوجها الرجل بأنها بكر فظهر أنها ثيب وادعت أنها أكرهت على عرضها أو حملها الجهل والإغراء على أن تمكن من نفسها الزناة لتعيش بما تكسب من أموالهم.

كما يستحب أيضاً احتضان أولاد الزنا إذا كانوا أطفالاً لا يجدون من يكفلهم فليس الذنب إلاّ لمن أنسلهم وأهملهم ويحكى أن بعض ما قاموا بهذه العواطف النبيلة شاهدوا في الدنيا منازلهم في الجنة.

وهناك جملة من الزناة من الرجال والنساء بلغ بهم الخوف والفزع من عذاب يوم القيامة أن

يفضحوا أنفسهم أمام القضاة والحكام في مجتمع الناس وينشروا ما فعلوه من الآثام ليقيم الحد عليهم رسول الله (ص) أو وصيه أو الخلفاء من بعده معترفين بالزنا والفاحشة ويطلبون منه أن يقيم الحد الشرعي عليهم تفادياً من نزول العذاب بهم في الآخرة فيصرفهم رسول الله (ص) وينسبهم للسفه والجنون فيقول لمن طلب إقامة الحد عليه ما معناه أبك جنة أم مسك صرح وجان أما تستر على نفسك وتفضي على ذنبك إذا أتى أحدكم ذنباً في السر فلا يبده علانية إن الله ساتر ويحب الساترين إن من تاب تاب الله عليه وبنحو هذه الكلمات يصرف السيئين وقد يعودون له مرة أخرى وأخرى وهو يدعوهم إلى الاستتار والاستغفار ويهون الخطب عليهم فإذا أصرَّ الجاني على الاقتصاص منه ولم يقنع أقام الحد عليه ولم يقم النبي(ص) طول حياته الحد على الجناة إلاّ ست مرات.

نماذج من إقامة الحد على الزناة

ذكر المجلسي في البحار ٣٦٦/٢١ عن كتاب المنتقى والشيخ... في كتابه السيرة المحمدية في وقايع السنة التاسعة من الهجرة عن مسلم بن بريده قال: جاء ماعز بن مالك النبي(ص) فقال يا رسول الله إني زنيت فطهرني قال: ويحك إرجع واستغفر الله وتب إليه ثم مكث غير بعيد ودعا إليه وسأله أن يطهره قال: ارجع واستغفر الله وتب إليه فرجع هكذا ثلاث مرات فلما جاء المرة الرابعة قال له: أزنيت؟ قال: نعم فأمر به فرجم ثم أتى النبي إلى المسلمين وقال: استغفروا لماعز قالوا أغفر الله لماعز وكيف تأمرنا أن نستغفر له؟ قال: لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم.

رجم الغامدية

قال في السيرة المحمدية أخرج أبو داود في سننه عن عبد الله بن بريده عن أبيه أن امرأة من غامد تسمى نهلة بنت سمعان الغامدية وغامد بطن من جهينة أتت النبي (ص) في السنة التاسعة من الهجرة، فقالت: يا رسول الله إني زنيت وفجرت فطهرني رحمك الله قال: ارجعي واستغفري إليه وتوبي إليه فمن تاب تاب الله عليه فرجعت فلما كان من الغد عادت إليه وسألته التطهير وأعاد قوله إليها، فقالت: أتريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك فوالله إني لحبلى من الزنا قال: ارجعي فرجعت وفي اليوم الثالث عادت إليه وطلبت أن يطهرها قال: ارجعي حتى تلدي فرجعت حتى ولدت فعادت إليه بالصبي معها قال عبد الله بن بريد عن أبيه: فلما ولدت الغامدية عادت إلى النبي وولدها معها تحمله وهي تقول: يا رسول الله إني قد ولدت وهذا ولدي فتفضل على طهرني، فقال لها: إذهبي به فارضعيه حتى تفطميه فذهبت بالصبي وأرضعته حتى فطمته...

ويقضتي أنها فطمته لأقل من عامين فلو أتمت رضاعه سنتين لم تدرك به رسول الله فقد توفي في أول السنة الحادية عشرة ومن لدن عاد من حجة الوداع كان مريضاً.

فلما فطمته جاءت به النبي (ص) وفي يده قطعة خبز يأكلها كدلالة على فطامه وقالت: يا رسول الله هذا ولدي قد فطمته فتفضل طهرني من خطيئتي.

فلما لم يجد النبي خلاصاً منها أمر بالصبي فدفع إلى رجل من المسلمين وخرج بها مع المسلمين إلى حرة بني سليم وأمر فحفرت لها حفيرة وأنزلت فيها إلى صدرها ثم أمر المسلمين أن يرجموها فتبادروا يرجمونها بالحجارة من الخلف والأمام واليمين والشمال وأصابها خالد بن الوليد بحصاة على رأسها فوقعت الضربة على عرق منها فانفجر الدم منه عالياً حتى أصاب وجه خالد فقال نجس من نجسة ماذا يطهره قاتلك الله يا شر البغايا فسمع النبي سبه لها، فقال: مهلاً يا خالد لا تسبها فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو أتى بها صاحب مكس ـ أي صاحب قمار ـ لغفر له.

فلما قذفت أنفاسها الأخيرة أمر النساء بإخراجها من الحفرة وكان قد أمرها قبل الرجم أن تغتسل وتلبس أكفانها فقدمت على السرير وصلى عليها النبي وحفر لها قبر هناك فدفنت مزملة بدمائها كالشهداء...

ويظهر من إجابة النبي طلبها بالرجم أنه لم يرجمها لجريمة الزنا لعدم اقتناعها بما ضمن النبي لها من عفو الله وغفرانه إذا تابت فقد اعتبرها في عداد القانطين من رحمة الله أو اليائسين من روح الله وكلاهما من كبائر الذنوب قال تعالى: ﴿قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين. قال ومن يقنط من رحمة ربه إلاّ الضالون﴾ الحجر/ ٥٦ ﴿ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ يوسف/ ٨٧

الجزء الثالث

الجريمة الثانية

١

القذف بالفاحشة

وحيث أن الزنا يعتبر منقصة ورذيلة ولطخة عار وعيباً ليس على الزناة وحدهم بل على أسرهم وأهاليهم بما يضع من قدرهم ويحط منزلتهم ويشوه سمعتهم لهذا فإن الله تعالى منع المسلمين أن يثلب بعضهم في أعراض بعض ويتهمهم بما يصيبهم وينقصهم حتى لو رأى ذلك بعينه.

ولأجل إغلاق هذا الباب إغلاقاً محكماً اشترط قبول الشهادة على الزنا بأمور إن توفرت قبلت الشهادة إن نقص واحد منها وجب على الحاكم أن يقتص من هؤلاء الشهود حد القذف مقابل مهانتهم وإساءتهم لمن اتهموه بما لم يكن فيه وإضافة الحديث عن ذلك يستدعي عرض فرحات:

شروط قيام البينة على الزنا

اتفق الفقهاء على أن البينة لا تثبت جريمة الزنا على من اتهم به (١) أن تكون الشهود عدولاً أتقياء لا يأتون الكباير من الذنوب ولا يصرون على الصغاير ولا يعملون ما ينافي المروة ويخل بالشرف ولو كان حلالاً.

(٢) أن لا ينقص عددهم عن أربعة نفر من الرجال فلو نكل أحدهم عن الشهادة ضرب الثلاثة منهم حد القذف الذي سنذكره لأنها شهادة على اثنين.

(٣) أن يكون الأربعة كلهم رجالاً عقلاء بالغين الحلم فلا تقبل هنا شهادة النساء إلاّ امرأتان مع ثلاثة رجال ولا الصبيان ولا المصابين في عقولهم.

(٤) أن تكون الشهادة تفصيلية لا إجمالية بأن يكون الشاهد قد أبصر أعضاء التناسل من

الزناة قد ولج بعضها في بعض فلا يكفي أن يقول إني رأيت الرجل على المرأة أو بين شعبها الأربع أو مفترشاً لها.

وطلب الشهادة بهذه الصفة ردع للناس أن لا يتورطوا في القذف وثلب الأعراض حتى ولو رأوا ذلك نصب أعينهم وإلاّ فإنهم يعرضون أنفسهم للضرب والجلد و المهانة وزرع العداوة في قلوب الآخرين وهم في غنى عن ذلك كله.

إذا شئت أن تبقى سليما من الأذى ... ومالك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر بها عورة امرىء ... فعندك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أهدت إليك معايباً ... فعظها وقل يا عين للناس أعين

(٥) أن تكون الشهادة متفقة من الشهود في تحديد وقت الجريمة وموضعها وشكلها فلو قال أحدهم إنها في الليل وقال آخر في النهار أو قال قائل منهم إنها في فندق شرتون وقال الآخر إنها في فندق دبلومات أو قال أحدهم إنها كانت بالشكل الطبيعي وقال الآخر: إنها بالشكل الحصاني لم تقبل وجلدوا للقذف.

وأن تكون متفقة في تعيين الشخصين فإن اتفقوا في تعيين أحدهما أقيم عليه الحد وما اختلفوا فيه لم يحد وإن لم يتفقوا على تعيين واحد منها ردت شهادتهم وجلدوا.

(٦) إذا احتمل تواطؤ الشهود على الكذب لإهانة المتهم وجب على الحاكم أن يفرقهم ليسمع شهادة كل منهم منفرداً فإن اتفقت في الوصف والشكل والوقت والموضع قبلت وإلاّ جلدهم بحد القذف كما استعمله أمير المؤمنين(ع) في جملة من القضايا لاكتشاف الحقيقة.

(٧) ورد في بعض النصوص أن الشهادة على الزنا بأنه وقع قبل ستة أشهر لا تقبل لبعدها عن زمن الوقوع واحتمال حدوث خطأ فيها لسهو ونسيان.

وإنما اشترط الشرع الإسلامي هذه الأمور الشديدة في ثبوت حد الزنا وقسيمه اللواط والسحاق لأن هذه الحدود قد تتخذ طرائق وحبايل للفتك والاغتيال عن طريق غير مباشر فقد تكون هناك جماعة يحقدون على رجل أو امرأة يحاولون لهما الهلاك فيسلكون طريق القذف بالزنا فيشترون من أربعة نفر ضمايرهم ودينهم بالرشوات ليشهدوا أمام العدالة على من أرادوا هلاكه بالزنا أو مثله ليهلكه الشرع من غير مطالبة بدمه أو ثأره ويذهب دمه هدراً.

كما تشبه هذه القصة:

قصة من شهدوا على المغيرة بالزنا لإعدامه

وهي قصة مشهورة ذكرناها في كتابنا (العدل الإلهي) عن العلامة المجلسي في البحار ٨/

٢٩١ ـ طبع القديم ـ عن الطبري والواقدي وأبي الفرج الأصبهاني في الأغاني وابن أبي الحديد في شرح المنهج.

قال المدائني: إن المغيرة بن شعبة كان أكثر الناس تطرفاً في الجاهلية فلما دخل الإسلام تقيد فبقيت عنده من تطرفه السابق بقية ظهرت أيام ولايته على البصرة من قبل عمر بن الخطاب (رض).

وذلك أن البصرة كانت فيها تلك الأيام امرأة تدعى أمّ جميل بنت الأفقم من بني هلال بن عامر أو بني عامر بن صعصعة مخلفة الحجاج بن يوسف الثقفي وكان المغيرة يختلف إليها سراً وكان في جوارها رجل يدعى (أبا بكرة) وكان المغيرة يبغضه وكل منهما يهجو الآخر وينافره عند كل ما يكون منه فأذاع أبو بكرة ما يراه أحياناً بين المغيرة وأم جميل فأكبر أهل البصرة ذلك الأمر وأعظموه.

وفي ذات يوم وضعوا عليه الرصد في بيت أبي بكرة وكانوا ثلاثة نفر وهم نافع بن كلدة وزياد بن أبي سفيان وشبل بن معبد العجلى فجاء المغيرة على عادته ودخل على أم جميل ولم يعلم بمن يرصده فاتفق أنه ساورها في مشربة لها وهي مقابلة لمشربة أبي بكرة أذهبت ريح ففتحت باب الكوة فقام أبو بكرة ليصفقه وإذا بالريح قد فتحت الكوة التي في بيت أم جميل فنظر وإذا يرى المغيرة بين رجلي أم جميل يساورها فقال لأصحابه قوموا وانظروا... فقاموا ونظروا قالوا ومن هذه؟ قال: هذه أم جميل بنت الأفقم وهذا المغيرة فوقها قالوا: إنّا نرى أعجازاً ولا نرى الوجوه قال: امكثوا فمكثوا حتى قامت أم جميل من تحت المغيرة والماء يسيل على فخذيها فنظروهما.

وخرج المغيرة إلى الصلوة فحال النفر بينه وبين الصلوة وقالوا إنك جنب من الزنا فلا تصل بالناس وكتبوا إلى عمر بذلك وأوفدوا بالكتاب أبا بكرة وكتب المغيرة إليه يسأله إحضار النفر لاتهامهم له بالزنا فلما طرق أبو بكرة باب عمر سمع صوته وبينهما حجاب قال: أنت أبو بكرة!؟ قال: نعم قال: لقد جئت بشر قال: إنما جاء بالشر المغيرة الذي وليته على المسلمين وليس منهم ثم قصَّ عليه القصة وسلمه الكتاب.

فأرسل عمر إلى أبي موسى الأشعري وقال إني باعثك إلى أرض قد باض فيها الشيطان وفرخ فالزم ما تعرف ولا تستبدل فيستبدل الله بك قال: يا أمير أعني بعدة من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار فإني وجدتهم في هذه الأعمال وفي هذه الأمة كالملح في الطعام لا يصلح إلاّ به قال فاستعن بمن أحببت فاستعان بتسعة وعشرين رجلاً منهم أنس بن مالك وعمار بن حصين وهشام بن عامر وخرج بهم حتى أناخ بالمريد من البصرة وبلغ المغيرة قدومه فقال: ما أتى أبو موسى زائراً ولا تاجرا ولكن جاء أميراً ودخل أبو موسى فسلم للمغيرة كتاب عمر يقول

فيه (أما بعد فقد بلغني عنك نبأ عظيم فبعثت أبا موسى فسلم ما في يديك إليه والعجل) وكتب إلى أهل البصرة (إني قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم ليأخذ لضعيفكم من قويكم وليقاتل بكم عدوكم).

وبعث أبو موسى بالمغيرة وأهل البصرة بالنفر معه إلى عمر فلما قدم سأله عمر عن أمره فأخبره به وبأنه قد تزوج في طريقه الرقطاء بامرأة من بني هلال فقال عمر: إنك لفارغ القلب شديد الشبق طويل الغرمول.

وفي يوم القضاء جمع عمر بين المغيرة والشهود عليه فدعا أبا بكرة فشهد أنه رآه بين رجلي أم جميل وهو يدخل متاعه فيها ويخرجه قال: كيف رأيتهما؟ قال: مستدبرها قال: كيف استنبت رأسيهما قال: تخافيت، قال: أرأيته بين فخذيها قال: نعم والله لكأني أنظر إلى تشريم جدري بفخذيها قال المغيرة: لقد ألطفت المنظر قال لم آلي أن أتيت ما يخزيك الله به فقال عمر: لا والله أدعك حتى تشهد أنك رأيته يلج فيها كما يلج المردود في المكحلة قال: نعم أشهد بذلك فتغير وجه عمر وقال: اذهب عنك مغيرة ذهب ربعك.

ثم دعا بشبل بن معبد فشهد مثل ذلك وقال: إني استقبلتها واستدبرتها فانكسر عمراً انكساراً شديداً وقال: إذهب عنك مغيرة ذهب نصفك.

ثم دعا نافعاً فقال: علام تشهد؟ قال مثل شهادة أبي بكرة.. فقال عمر لا حتى تشهد أنك رأيته يلج فيها ولوج الميل في المكحلة قال: نعم حتى بلغ قدده. فكأنما نثر الرماد على وجه عمر وقال اذهب عنك مغيرة قد ذهب ثلاثة أرباعك فجعل المغيرة يبكي إلى المهاجرين وأمهات المؤمنين فبكوا وبكيْن معه.

فأمر عمر أن ينحى الشهود الثلاثة وأن لا يجالسهم أحد من أهل المدينة وانتظر قدوم زياد بن سمية فلما قدم جلس له عمر في المسجد واجتمع رؤساء المهاجرين والأنصار فقام له المغيرة وقال: لا محيا لعطر بعد عروس يا زياد أذكرك الله وموقفك يوم القيامة وكتابه ورسوله أن تتجاوز إلى ما لم تر.

ثم صاح يا أمير أن هؤلاء قد احتقنوا دمي فالله الله في دمي فلما جاء زياد جاء شاب يخطر بين يديه فرفع عمر رأسه إليه ما عندك أنت يا مسلم العقاب وصاح أبو عثمان الهندي مثله فلما رأى عمر زياداً مقبلاً قال: إني أرى رجلاً لن يخزى الله على لسانه رجلاً من المهاجرين والأنصار فرمقت عينا زياد واحمر وجهه وقال يا أمير إن أحق ما حق القوم فليس عندي ولكني رأيت مجلساً قبيحاً ورأيت نفساً حثيثاً وانتهاراً ورأيته متبطنها رافعاً رجليها ورأيت خصييه

متردداً بين فخذيها ورأيت حفزاً ـ أي جماعاً ـ شديداً وسمعت نفساً عالياً، فقال عمر رأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟ قال: لا.

فتهلل وجوه الحاضرين فرحاً وسروراً وقال عمر الله أكبر قم يا مغيرة إليهم فاضربهم وتلا قوله تعالى: ﴿ ...فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ وسرى عن المغيرة وقام إلى أبي بكرة وضربه ثمانين جلدة وضرب الباقين مثله وقيل ضربهم غيره وقال: الحمد لله الذي أخزاكم فقال له عمر اسكت يا مغيرة أسكت الله نامتك أي صوتك أما والله لو تمت الشهادة لرجمتك بأحجارك أخزى الله مكاناً رأوك فيه.

وهكذا فشلت محاولة اغتيال المغيرة عن طريق الاتهام بالزنا لأنها لم تأت عن طريق الانتصار لله وتشيد الدين وإنما أتت عن طريق الحقد والشحناء عليه فرد كيدهم إلى نحورهم ولم يستفيدوا إلاّ عزله عن الولاية عليهم في البصرة.

أحكام جريمة القذف بالزنا

قال الله عزَّ وجل ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ النور/٥.

الكلمات الموجبة للحد

قال المحقق في الشرايع ١٦٢/٤: الرمى في قوله ﴿يرمون المحصنات..﴾ هو الرمي أي القذف بالفاحشة من الزنا واللواط للرجال والزنا والسحاق للنساء فاعلاً أو مفعولاً كان يقول للرجل زنيت بالفاحشة أو لطت الغلام أو لاط بك رجل أو أنت زانٍ أو لائط أو منكوح في دبره أو يقول للمرأة لقد زنى بك الرجل أو زنيت برجل أو ساحقتِ أو ساحقتك المرأة أو أنت زانية أو عاهرة أو فاحشة أو مومسة أو قحبة أو سحاقة أو سحوق... وما يؤدي هذا المعنى والمعاني مع معرفة القائل بموضوع اللفظ بأي لغة اتفق.

ومثل ذلك أن يقول لولده لست بولدي ويقصد أنه لغيره أو قال: لست لأبيك أو يدعي لغير رشده أو يا بن الزاني أو ابن الزانية أو ابن العاهرة فمرة يكون قذفاً للأب بالزنا ومرة قذفاً للأم وكذا لو قال للمسلم الذي أبواه كافران يا بن الزانيين لم يكن عليه شيء لأنه نسب الزنا لأبويه أما لو قال ذلك لمن أبواه مسلمين كان عليه الحد وإن كان المواجه كافراً ولو قال يا بن الزناة أو يا بن البغايا فحد واحد وإن توجه اللفظ لأكثر من واحدة إلاّ إذا كن من ذوات الرايات لكن الأولى أن يسمى البغي من أمهات المخاطب باسمها كقول أروى بنت الحرث لمروان بن الحكم

يا بن الزرقاء ولعمرو بن العاص يا بن النابغة وهو وإن لم يوجب حداً فقد نهى عنه أمير المؤمنين(ع) بقوله: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين...

قال المحقق لو قال لابن الملاعنة يا بن الزانية أو للمومسة بعد التوبة يا زانية فعليه الحد أما لو قال للمحدودة أو للزانية قبل التوبة يا زانية أو يا بغي فلا حد عليه.

ولو عين في القذف بالزنا الفاعل والقابل فقال للمرأة لقد زنى بك زيد وللغلام لقد فعل بك عمرو قال الشيخ الطوسي في النهاية والمبسوط يثبت به حدان لأنه فعل واحد متى كذب في أحدهما كذب في الآخر قال المحقق: ونحن لا نسلم أنه فعل واحد لأن موجب الحد في الفاعل غير الوجب في المفعول فالقذف للمواجه ثابت وفي ثبوته للمنسوب إليه تردد والأحوط أن لا يلزم القاذف إلاّ بحد واحد إلاّ إذا طالب الآخر بحقه.

والضابط في ثبوت القذف هو كلما يقدح في عفة المقذوف أو يخدش في عرضه أو يطعن في نسبه من الكلمات النابية التي تصرح بذلك وليس فيها معنى آخر فلو قال الرجل للآخر يا عتل أو يا زنيم أو يا لئيم الأصل ويا مطعون النسب فإنها غير صريحة في اتهام أبويه بالفاحشة وهكذا لو قال يا ديوث وهو الذي يدخل الرجال على امرأته أو يا قرنان وهو الذي يدخلهم على بناته أو يا كشمان وهو الذي يطلق على الحرام يطلق على الحلال وكذا لو قال يا بن الحرام أو يا بن الزنا أو يا بن السفاح فإنه لم ينسب في هذه الكلمات فاحشة لأحد ليكون قذفاً.

أما غير الكلمات الصريحة بالقذف بالفحش والعهر فلا يؤخذ عليها بقصاص وإن كانت أبلغ في السب والشتم والمهانة كأن يقول يا لاعق أير أبيه أو يا ماص بظر أمه أو يا برذعة الحمار أو يا سلحة العقاب أو يا بن المشركين أو يا بن الأجلاف يا بن الأنذال أو يا ملعون أيا مستوه يا مابون فكلها لا تؤثر شيئاً في ثبوت الحد لكن للمواجه بها الحق في المطالبة بشرفه ليضرر قائلها.

قال المحقق: كل تعريض بما يكرهه المخاطب ولم يوضع للقذف لغة ولا عرفاً يثبت به التعذير لا الحد كقوله أنت ولد حرام أو ابن سلقلقية وهو من حملت به أمه في حال طمث أو قال لزوجته لم أجدك عذراء أو يا حقير يا خنزير يا كلب يا نجس يا رجس.

إلاّ إذا كان المواجه بها مستحقاً لها كالفساق والفجار وقطاع الطريق والظلمة وولاة الجور والعواهر من الرجال والنساء ومن لفَّ لفهم فلا حد على القائل ولا تغرير.

أما لو كان المخاطب بها من الأولياء أو أهل الإيمان والصلاح فله المطالبة بشرفه وكرامته لإنزال عقوبة بمن استخف به من تغريم أو سجن أو تغرير.

شرائط القاذف والمقذوف

قال المحقق في الشرايع ويشترط في القاذف البلوغ وكمال العقل فلو قذف الصبي أو المجنون لا يجلدان الحد بل يعزران فقط ولا يشترط به الإسلام والحرية.

ويشترط في المقذوف البلوغ وكمال العقل والحرية والإسلام والعفة فمن قذف صبياً أو مجنوناً أو مملوكاً أو كافراً أو متظاهراً بالزنا أو بغياً ذات علم فقال له: يا زاني أو قال: لابن البغي يا بن الزانية أو أمك بغي لم يحد وإن كان مسلماً عفيفاً.

قال المحقق في الشرائع ولو قال رجل لمسلم من أهل الصلاح يا بن الزانية أو أمك زانية وكانت أمه كافرة أو أمة أو من البغايا قال الشيخ الطوسي في النهاية عليه الحد تاماً لحرمة ولدها والأشبه التعزير.

ولو قذف الأب ولده أو قذف المولى عبده أو أمته بالزنا أو اللواط لم يحد ولكن يعذر ولو قذف الأخ أخاه أو الأم ولدها أو الولد أباه فإنه يحد حداً تاماً وكذا بقية الأقارب ولو قذف الرجل زوجته الميتة فإن لم يكن لها وارث إلا ولده لم يكن عليه حد أما لو كان ولد من غيره كان له الحق في المطالبة بكرامة أمه وإقامة الحد على من قذفها زوجاً أو غيره ومن هنا يظهر أن المقذوف لا تشترط فيه الحياة بل الحي والميت سواء.

ومن قذف عبداً مملوكاً أو أمة لا يحد ولكن يعزر ومثله المولى لو قذف أمته أو عبده فإنه يعزر كالأجنبي.

ولو تقاذف اثنان سقط الحد وعزرا وعند أهل الخلاف يأمران فيتجادلان بالسياط فيستوفي كل منهما الحد منصاحبه كما حكموا بذلك في جرير بن عطية الخطفي والفرزدق صمام بن غالب التميمي وبعضهم يرى أن يجلد كل منهما الحد كاملاً ويولى الحاكم رجلاً بجلدهما كما وقع ذلك في عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وعبد الرحمن بن الحكم بن العاص أخي مروان بن الحكم.

قال في الشرائع حد القذف موروث يرثه من يرث المال من الذكور والإناث عدا الزوج والزوجة فلو قذف الحي ميتاً من أهل الصلاح والإيمان بالزنا أو اللواط بأنه كان فاعلاً أو مفعولاً به فإن لأولاد الميت المطالبة بحق أبيهم في إقامة الحد على القاذف إلاّ إذا أقام بيّنة على صحة قذفه.

ما قذف به النبي داود (ع) في امرأة صاحبه أوريا

فقد جاء في الصحيح عن أهل البيت(ع) أن نبي الله داود بن ايشا (ع) أنه نافس صاحبه أوريا بن حيان في زوجته حين رآها عارية تغتسل فشغف بها وبعث بأوريا إلى قلب معركة

القتال فقتل وخلف عليها من بعده من نسب هذا الفعل إلى داود كان على الإمام أن يحده حدين حداً لاستهانته بمقام النبوة وحداً للقذف مائة وستين جلدة.

ملخص القصة

وملخص هذه القصة ما ذكرناه في كتابنا حصايل الفكر ط ١ ص ٢٠٣ عن كتب أهل التفسير في معنى قوله تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب. إذ دخلوا على داود ففرح منهم قالوا: لا تخف خصمان بغي بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخي لتسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال: اكفلينها وعزني في الخطاب، قال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وأن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض وظن﴾ أي علم (داود إنما فتناه) أن ألفتنا نظره لما كان غافلاً عنه إنه لا يتناسب مع مقام النبوة (فاستغفر ربه وخرَّ راكعاً وأناب. فغفرنا له ذلك وأن له عندنا لزلفى وحسن مآب)/٢٥.

إن داود (ع) نظر مرة بغير قصد لامرأة صاحبه أوريا وكانت جميلة حسناء فغبط أوريا عليها وتمنى أن لو يقبل أوريا أن يعوضه عنها بما يحب من الجواري فينزل له عنها ويتزوجها وكل هذه الأمور لا تقدح في العدالة ولا تمت إلى الحرام بصلة لكن الله تعالى يحب أن تكون أنبياؤه ورسله في أرفع من هذا المستوى وأبعد عن هذه الترهات فأنزل عليه الملكين يشبهانه على انصياعه لما لا يتناسب مع مقامه الأعلى فعدل عما كان يتمناه ويرغب فيه واعتبرها هفوة فتاب إلى الله منها فتاب عليه.

قذف النبي داود بما لا يجوز عليه

لكن المفسرين قذفوا النبي داود(ع) في هذه القصة بما لا يجوز عليه من منافيات العصمة ومخالفات مقام النبوة فقالوا إن القصة أنه كان مرة قائماً يصلي فتمثل له الشيطان في صورة طائر جميل له ألوان رائعة ونغمات موسيقية ففتن به داود وقطع الصلاة وجعل يلاحقه ويتابعه ليعيده فكان كلما وصل إليه طار من مكان لآخر حتى بلغ به شرفة القصر في الدور الثالث الأعلى وكان هذا المكان مطلاً على دار صاحبه أوريا بن حيان فاتفق أن داود لما بلغ إليه أشرف منه على بيت أوريا فرأى امرأته وهي قائمة تغتسل عارية وهي في غاية من الحسن والجمال ففتن بها وغلبت على لبه وعقله وهبط في حينه من القصر يسأل عنها فلما علم بها امرأة أوريا وهو من أصحابه وخاصته وقد بعثه مع جيش الجهاد في سبيل الله بعث برسالة مستعجلة إلى القائد أن يرسل أوريا إلى قلب المعركة ليقتل فيخلفه على امرأته فقتل أوريا وتزوج داود امرأته وولدت له ابنه النبي سليمان(ع) فهذا الأسلوب الذي ساقه المفسرون في القصة هو الذي أزعج أهل

البيت(ع) فيما نسبوه فيها إلى داود من أخطاء لا يأتي بها أقل أهل الإيمان فضلاً عن الأنبياء وهي قطع العبادة بغير مبرر وملاحقة الطير للاصطياد وهو من اللهو وتجسسه على جيرانه وإشباع نظره من المرأة العارية وتعلق قلبه بحبها وطمعه فيها وهي امرأة ذات بعل وتعريضه بزوجها في معمعة الحرب ليقتل ونزوه على امرأته بعد قتله وعدم قناعته بمن عنده من النساء والجواري والفتيات التي تبلغ المئات في العدد.

وإذن لا يلام خالد بن الوليد إذا حكم علي مالك بن نويرة بالكفر فقتله لينزو على امرأته التي أغوته بنفسها ودفعته لقتل زوجها فإن له أسوة بنبي الله داود(ع) مضافاً إلى تكوين نطفة نبي الله سليمان(ع) من امرأة نهبت بالقهر من زوجها وشهوة انصبت بالحرص والشبق المحظور من صاحبها.

فذكر المجلسي في البحار عن الصادق(ع) قال لو أخذت أحداً يزعم أن داود وضع يده على امرأة أوريا لجلدته حدين حداً للنبوة وحداً لما رماه به وروت العامة مثله عن أمير المؤمنين(ع) وروى الطبرسي أيضاً عنه(ع). ومن شاء التفضيل فليراجع حصايل الفكر.

قذف رسول الله(ص) بالتجسس على امرأة مولاه

وكما نقلوا في النبي داود(ع) ما لا يجوز عليه في امرأة أوريا نقلوا أيضاً في سيد المرسلين(ص) ما لا يجوز عليه في زواجه بأم المؤمنين زينب بنت جحش فقد ذكروا أن السبب في طلاق زيد بن حارثة لها أن النبي أتى يوماً يطلب زيد بن حارثة في داره فرأى الباب مغلقاً فأطل من شقوق الباب وإذا به يرى امرأته زينب بنت جحش قائمة تغتسل وقد تجردت من ملابسها فجعل عين النظر في محاسنها وهي لا تشعر به فما راعها إلا سماع صوت النبي خلف الباب وهو يقول (تبارك الله أحسن الخالقين) فلما أتى زيداً أخبرته بما كان لها مع النبي فعلم أنه شغف بحبها وقد اتفقوا على أن النبي إذا نظر امرأة ذات بعل فعلق بحبها حرمت على زوجها لأن تعلق قلب النبي بها سبب لأن يتزوجها فتكون أما لبعلها يحرم عليه الزواج لقوله تعالى ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواج أمهاتهم﴾.

فاعتزلها زيد من ذلك الوقت فشكت زينب اعتزال زيد عنها لرسول الله فسأله النبي عما شكت منه زوجته فقال إنها أعلمتني أنك اطلعت يوماً عليها فأعجبت بها فقد حرمت علي وأنت أولى بها فقال النبي إني ما رأيت منها إلا خيراً فامسك عليك زوجك واتق الله فلا يحل لك أن تهجرها من غير ذنب أتت به وعلى هذا المعنى يحملون قوله تعالى ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾ بالهداية والتوفيق للإسلام ﴿وأنعمت عليه﴾ بالكفالة حين تبرأ منه أبواه ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾ أن تهجرها من غير ذنب ﴿وتخفي في نفسك ما الله

مبديه﴾ ومعنى ذلك عند العامة أنه يخفي في نفسه شغفه بحبها لما رأى من محاسنها أما عندنا معشر الإمامية فالذي يخفيه رسول الله هو علمه بأنه سيتزوجها لاطلاعه على اسمها في أمهات المؤمنين.

وكان السبب في قبول النبي طلاق زيد لها هو أنها كانت فاركة له من حين ما زوجها به رسول الله(ص) إذ كانت لا تعدلها كفواً في نسب ولا حسب وكان مراد النبي من زواج نساء قريش بغير أكفائهن من الرجال أن يلغى في دين الإسلام ما كانت تفتخر به أهل الجاهلية من علو الأنساب وشرف العشيرة وعن الرياسة في الزعامة تطبيقاً لقوله تعالى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ كما ذكرناه مفصلاً في مبحث الكفاءة في (مسارح الهواة) ٢/ حتى أن قبيلتها بني أسد بن عبد الغدي منعت زواجها بزيد فنزل قوله تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من لندهم﴾ فلم تقبل الزواج بزيد إلا على مضض ولم تزل فاركة له لا تقيم له وزناً ولا تعتبره لها إلا عبداً فهذا الذي حمل زيداً على طلاقها لا ما ذكره أهل الخلاف من تجسس النبي عليها ورؤيته لها عارية فهام بعشقها فكل ذلك منا في العصمة من الأخطاء الواجبة للأنبياء ولا يناسب مقام منصب الرسالة كما حققنا ذلك في مبحث عصمة الأنبياء في كتابنا (حقول الأولياء) القسم الأول من كتاب (عقيدة النبوة) وهو الجزء الثالث من كتاب (العقائد الإسلامية).

فكما يعتبر ما نقلوه في النبي داود من منافسته أوريا على امرأته قذفا له بالفحشاء فكذلك ما نقلوه في سيد المرسلين أنه تجسس على امرأة مولاه ونظره لها عارية وهيامها بعشقها وانتزاعه لها من زوجها قذفا له بالفحشاء وما لا يجوز عليه.

أما سبب زواج النبي بزينب بنت جحش بعد طلاق زيد بن حارثة لها فهو ما ذكره الله في كتابه المجيد (فلما قضى زيد منها وطراً روجناكها لها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في) الزواج بـ ﴿أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهم وطراً وكان أمر الله مفعولاً﴾ الأحزاب ٣٧.

شرائط ثبوت الحد على المقذوف

أما المقذوف بالفحشاء فلا يثبت الحد عليه إلا بأن يكون القاذف مسلماً بالغ الحلم كامل العقل موصوفاً بالعدالة وأن تكون شهادته مفصلة من أربعة نفر قد اتفقوا على شكلها ووقتها وموضعها وأنهم رأوا أعضاء التناسل قد دخل بعضها في بعض كالميل في المكحلة والشهادة بهذا الشكل تنفي العدالة فلا تقبل لأنها تدور حول نفسها وصفته أن يقال إن لم يشهد بتداخل الأعضاء لم تثبت شهادته وإن شهد بها لم تثبت عدالته لذلك فإن القذف بالفحشاء لم يثبت حداً على المقذوف لعدم إمكان رؤية تداخل الأعضاء لأن الأعلى من الاثنين يحجب الأسفل

ولو انكشفت لأحد أربعة الشهود لم تنكشف للآخرين ولهذا فشلت محاولة الشهادة على المغيرة بن شعبة بالزنا.

لذلك فإن القذف بالفحشاء لا يثبت حداً على المقذوف بل على القاذف ولو تصفحت جرائم الجنس في التاريخ الإسلامي لم تجد من أقيم عليه حد الزنا أو اللواط إلا بإقرار المجرم واعترافه على نفسه بالجريمة وطلبه من الإمام أن يقيم الحد عليه كما هو الحال في ماعز بن مالك ونهلة الغامدية اللذين سبق ذكرهما واللواطين الذين اعترفوا عند أمير المؤمنين أيام خلافته بالكوفة باللواط فأقام الحد عليهم.

شرائط ثبوت الحد على القاذف

قال المحقق في الشرائع ١٦٧/٤ ويثبت الحد على القاذف بعدم نجاح البينة على المقذوف بالجريمة وعند إنكاره يثبت عليه الحد بشهادة عدلين أو بالإقرار مرتين ويشترط في المقر بالقذف التكليف والحدية والاختيار.

ولا يسقط الحد عن القاذف إلا بالبينة المصدقة أو تصديق مستحق الحد أو العفو ولو قذف جماعة قال لهم يا زناة فأتوا به مجتمعين كان لكل منهم حد واحد وإن أتوا به متفرقين كان لكل منهم حد ولو عفا بعضهم لم يسقط حق الآخرين.

ولو قذف زوجته لم يسقط حد القذف عنه إلا بأحد الأمور الثلاثة أو باللعان.

الملاعنة بين الزوجين

واللعان بين الزوجين هو الذي ذكره الله عز وجل في قوله ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ بالفاحشة ﴿ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين﴾. والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. ويدرؤ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين. والخامسة ﴿أن غضب الله عليها إذ كان من الصادقين﴾ النور/٩.

قال في الشرائع ٩٣/٣: اللعان هو تلاعب الزوجين إذا قذف الرجل امرأته بأنه قد شاهد من يزني بها قبلاً أو دبراً ولم تكن له بينة على ذلك.

ويشترط في الزوجة التي يصح اللعان معها أن تكون بالعقد الدائم وأن تكون مدخولاً بها وأن تكون مشهورة بالعفة والصلاح وأن يكون الزنا الذي قذفها به في أيام زوجيتها له فلو كان الزنا الذي اتهمها به قبل زواجه بها لم يكن به لعان لأنه خلاف ظاهر الآية وباشتراط مشاهدة الزنا بالعين يسقط اللعان بالنسبة للأعمى لعدم إمكانه المشاهدة وحينه لا يكون اللعان يتحقق حد القذف.

كما يشترط فيها بلوغ الحلم وكمال العقل والسلامة من الصمم والخرس والقدرة على النطق والكلام والإسلام لأن الكافرة لا يغيرها أن تلحق الولد بغير أبيه.

ويشترط في الملاعن بلوغ الحلم وكمال العلم والسلامة من الصم والخرس والعمى لأن الأعمى لا يمكنه القذف بالمشاهدة والإسلام حيث إن الكافر لا يبعد عنه أن يحلف بالله كاذباً لا سيما إذا كان ملحداً لا يعتقد البعث ولا الجزاء.

كما يشترط في صحة اللعان أن يكون عند الحاكم الشرعي أو من نصبه لذلك ليثبت حكم اللعان فيهما.

ملاعنة عويمر بن الحارث مع امرأته خولة بنت قيس

أما صفة الملاعنة فهي التي صرحت بها الآية الكريمة والتي أجراها رسول الله(ص) بين عويمر بن الحارث العجلاني وامرأته خولة بنت قيس بن محصن التي رواها في البحار ٣٦٧/٢١ عن المؤرخين في حوادث السنة التاسعة من الهجرة بسندهم عن ابن عباس قال: لما أنزل الله على نبيه قوله تعالى ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة...﴾ النور/٤ قرأها النبي(ص) على المنبر يوم الجمعة فقام عاصم بن عدي الأنصاري فقال جعلني الله فداك إن رأى رجل منا مع امرأته رجلاً فأخبر بما رأى جلد ثمانين سوطاً وسماه المسلمون فاسقاً لا تقبل شهادته أبداً فكيف لنا بالشهداء ونحن إذا التمسنا الشهداء كان الرجل قد فرغ من حاجته.

وكان لعاصم بن عدي هذا ابن عم يقال له عويمر بن الحارث العجلاني وله امرأة تسمى خولة بنت قيس بن محصن فأتى عويمر عاصماً وقال لقد رأيت شريك بن السحماء قبل اليوم على بطن امرأتي خولة وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر وأنها حبلى.

فاسترجع عاصم وأتى رسول الله(ص) في الجمعة الثانية وقال يا رسول الله ما أسرع ما ابتليت بالسؤال الذي سألت عنه في الجمعة الماضية في أهل بيتي.

وكان عويمر وخولة وشريك كلهم بنو عم لعاصم بن عدي فدعا رسول الله بهم جميعاً وقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك فلا تقذفها بالبهتان فقال عويمر يا رسول الله أقسم بالله أني رأيت شريك بن السحماء على بطنها وأني ما قربتها منذ أربعة أشهر وأنها حبلى من غيري فقال النبي للمرأة اتقي الله وأخبريني بما صنعت فقالت يا رسول الله إن عويمر رجل غيور وأنه رآني وشريكاً نطيل السهر ونتحدث طول الليل فحملته الغيرة على ما قال.

فقال رسول الله لشريك بن السحماء ما تقول؟ فقال: هو ما تقوله المرأة فنزل قوله تعالى ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم... الآية﴾ فأمر رسول الله أن ينادي

الصلاة جامعة فاجتمع الناس وصلى بهم النبي صلاة العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال قل يا عويمر: أشهد بالله أن خولة زانية وإني لمن الصادقين فقالها قال النبي وقل مرة ثانية: أشهد بالله أني رأيت شريكاً على بطن امرأتي خولة وإني لمن الصادقين. فقالها فقال النبي قل مرة ثالثة أشهد بالله أنها حبلى من غيري وأني لمن الصادقين فقالها قال النبي قل مرة رابعة أشهد بالله أني ما قربتها منذ أربعة أشهر وأني لمن الصادقين فقالها قال النبي وقل مرة خامسة لعنة الله على عويمر أعني نفسي إن كان من الكاذبين فقالها قال اجلس فقد نجوت من العذاب.

ثم قال لخولة قومي فقامت فقال قولي أشهد بالله ما أنا بزانية وإن عويمر لمن الكاذبين فقالت قال قولي مرة ثانية أشهد بالله أنه ما رأى شريكاً على بطني وأنه لمن الكاذبين فقالت قال قولي مرة ثالثة أشهد بالله أن عويمر ما رأى قط علي فاحشة وأنه لمن الكاذبين فقالت قال قولي مرة رابعة أشهد بالله أني حامل من عويمر لا من غيره وأنه لمن الكاذبين فقالت قال قولي مرة خامسة إن غضب الله على خولة أعني نفسي إن كان عويمر من الصادقين فقالت فقال النبي اذهبي فقد نجوت من العذاب ولولا هذا الإيمان لكان في أمركما النكال.

وفرق رسول الله(ص) بينهما وقال لعاصم بن عدي الأنصاري الذي حمل النبي على الحكم بينهما: تحينوا بخولة الولادة فإن جاءت بأصهب أثبج يضرب إلى السواد فهو لشريك بن السحماء الذي رميت به وإن جاءت بأورق جعد جمالي خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به هو ابن عويمر زوجها.

قال ابن عباس فجاءت بولد أشبه خلق الله بشريك بن السحماء ولكن هذه الأقسام والإيمان في اللعان سلمتها من العذاب والحد.

وفي المسالك أن النبي بعد اللعان قال لهما إن حسابكما على الله وأن أحدكما كاذب فهل من تائب ﴿الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾ آل عمران/٧٧.

وباللعان هذا يفسخ العقد بين الزوجين وتبين المرأة بغير طلاق ولا عدة ولا نفقة ولا يحل أن يرجع الزوج إليها وينتفي ولده منها.

وللعان دور عظيم في نفي الولد له أحكام وشروط مذكورة في كتب الفقه لا حاجة لنا في ذكرها هنا.

يعاقب القاذف بعقوبتين

إذا أخطأ القاذف في حكمه على المقذوف بالفاحشة ولم تكن له بينة تصدق قوله كان عليه في الشرع الإسلامي عقوبتان (الأولى) يجلد ثمانين جلدة.

وهو ما ذكره الله تعالى في قوله ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ سواء كان القاذف رجلاً أو امرأة حراً أو عبداً وسواء كان المقذوف رجلاً أو امرأة.

ويجلد بثيابه ولا يجرد منها قائماً أو قاعداً ويجوز أن يتولى المقذوف إقامة الحد على قاذفه وأن يولي غيره ويقتصر فيه على الضرب غير المبرح ولا يبلغ به الضرب الشديد الذي يضرب به الزناة فإن زاد على الثمانين جاز للقاذف أن يستوفي حقه ممن جلده والقذف المتكرر يوجب حداً واحداً لا أكثر أما إذا قذف فحد ثم قذف فحد مرة ثانية ثم قذف أيضاً فإنه يحد في المرة الثالثة فإن عاد المرة الرابعة جاز قتله سواء كان القذف المتكرر على شخص معين أو على أشخاص شتى وعلى واحد وأكثر.

والعقوبة الثانية سقوط منزلته الاجتماعية فلا يقام لقوله وزن ولا تقبل له شهادة في أي الأمور كالشهادة على رؤية الهلال أو الفريضة أو النسب كما قال تعالى ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾ أي يعتبر فاسقاً لا يجوز الاتمام به في الصلاة ولا تحرم غيبته.

ولا يرتفع عنه حكم الفسق وتعود له العدالة إلا إذا استوفى المقذوف من حد القذف الناس بالفحشاء توبة صادقة كما قال تعالى ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك﴾ أي بعد إقامة الحد عليهم (وأصلحوا) أنفسهم بالعفة والتقوى ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ النور/٥.

قال المحقق في الشرايع ١٢٧/٤ لا تقبل شهادة القاذف ـ سواء أقيم عليه الحد أم لم يقم ـ إلا إذاتاب والتوبة هنا أن يكذب نفسه وإن كان صادقاً فيما قال ويوري في باطن ضميره وقيل إن التوبة من القذف أن يكذب نفسه إن كان كاذباً في الواقع ويخطئها في الملأ بين الناس إن كان صادقاً وبقاؤه على التوبة واجتناب أعراض الناس ولو مرة وجيزة هو الإصلاح المطلوب في الآية الكريمة.

ولو أقام بينة على صدق ما قذف به أو صدقه المقذوف فيما نسب إليه فلا حد على القاذف ولا ترد شهادته وكذا لو عفا عنه.

حديث الأفك على أم المؤمنين

ومن القذف الذي أقيم على أصحابه الحد في أيام رسول الله(ص) حديث الإفك الذي أنحى الله على مختلقيه في كتابه العزيز بقوله ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم...﴾.

وجاء عن البرقوقي في شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري وعقود الجمان ١٢١/٣ والعواتك على الأرائك/٢٠ عن ابن هشام في السيرة النبوية ٣١٠/٣ إن رسول الله(ص) لما عزم

على غزو بني المصطلق قرع بين نسائه ليختار الله له من يحملها معه من نسائه فخرج السهم على عائشة بنت أبي بكر التيمية فخرج بها معه.

فلما انتهى من مهمته أقفل عائداً إلى المدينة فنزل منزلاً في اقترابه من المدينة فبات بعض الليل ثم أذن الناس بالارتحال وكان من عادتهم عند الارتحال أن تجلس المرأة في هودجها أو تأتي الرجال ويحملونها فيه ويضعونه على البعير. وتزعم عائشة أنهاجلست في الهودج ثم فقدت قلادة لها من جزع ظفاد وتيقنت أنها سقطت منها عندما ذهبت لقضاء حاجتها فانسلت من الهودج وذهبت تلتمس القلادة ولم يشعر بنزولها من الهودج فكان اللازم أن تخبرهم بذلك لكنها لم تفعل. تزعم أم المؤمنين أن الرجال حملوا الهودج فوضعوه على البعير وهم يحسبون أنها فيه لأنها كانت خفيفة الوزن لم يكن لجسمها لحم يثقلها.

وهذا ما يبعد وقوعه فمهما كانت المرأة خفيفة نحيفة فالذين يحملون الهودج لا بد أن يشعروا بذلك فعندما يحملون الهودج وفيه امرأة لا بد أن تميل فيه لليمين أو الشمال فيحس بوجودها من يحملها.

فقد استبعد بعض الكتاب صدق اعتذارها عن التخلف بأنهم حملوا الهودج على البعير يظنونها فيه وما رجعت إلا وقد ارتحلوا عنهابأنه اعتذار غير مقبول بل كان تخلفها عن الارتحال مقصوداً لما حدث لرسول الله(ص) في هذه الغزوة من ضمانه لجويرية بنت الحارث بأن يدفع فداءها لمن وقعت في سهمه من المسلمين وتزوجه نفسها ففعلت ذلك فقد حز ذلك في نفس عائشة وحملها على التخلف عن المسير مع الركب لتحس رسول الله بما وقع في نفسها من زواجه بجويرية كما تحب أن تعلم منزلتها عنده عندما يفقدها من الركب وما يكون له من فقدها من لوعة واكتئاب وتعلمه عند عودتها بما حز في نفسها من زواجه بجويرية.

وفعلاً ـ ذكر البعض ـ أنها عندما حملت إلى الركب وسألها النبي عن تخلفها عنهم قالت لماذا تسأل عني لقد أغنتك هذه اللقيطة المشركة عن نسائك المؤمنات وأمهات المؤمنين.

وهكذا تخلفت عن الركب وفي نفسها أنهم إذا فقدوها سيعودون إليها وتلفعت بجلبابها واضطجعت في مكانها فمر بها صفوان بن الموكل السلمي وكان قد تخلف عن الركب لبعض حاجته وكان يعرفها قبل أن يضرب على نساء النبي الحجاب فعرفها وقال إنا لله وإنا إليه راجعون ظعينة رسول الله احملوها وأتى إليها وقال ما خلفك عن الركب قالت عائشة فما كلمته بكلمة...

وهذا مما يدل على أنها كانت واجدة على النبي في زواجه بجويرية عليها فلو كانت راضية عنه لأخبرت صفوان بما كانت تعتذر به من خروجها في طلب القلادة وحمدت الله على أن هيأ لها من يحملها ويلحقها بالركب وينقذها من الضلال والضياع.

... وقرب بعيره إليها وقال اركبي وتأخر عنها فلما ركبت أتى وأقام البعير وأخذ بخطامه وإذ دلف به سريعاً ولم يشعر أحد من الركب بتخلفها لأنهم ما توقفوا عن المسير حتى أصبحوا في اليوم الثاني ونزل الناس فلما اطمأنوا طلع عليهم صفوان يقود الجمل وعليه أم المؤمنين فارتج الركب بالكلمات والظنون المسيئة وزاد الطين بلة أن صفوان هذا كان ممن يذكر قبل إسلامه بمثل هذه الهنات والزلات فتناولته الألسنة بالذم والهجاء من عبد الله بن أبي فإنه لما رآهما قال والله ما سلمت منه ولا سلم أي عف عنها وكان يجتمع عنده الناس فيحدثهم ويقول امرأة نبيكم باتت مع رجل أجنبي حتى أصبحت جاء يقود جمله بهاوالله ما نجت منه ولا نجا منها.

فشاع الكلام بين الناس فقالت امرأة أبي أيوب الأنصاري له: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة قال بلى ولكنه الكذب لو كنت مكانها أكنت فاعلة ذلك قالت: لا والله قال والله إن عائشة خير منك سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

وممن أشاع الفاحشة وأطلق لسانه بها حمنة بنت جحش لأن عائشة كانت تنافسها أختها زينب بنت جحش عند النبي في المنزلة لكن زينب لم تقل فيما قد شاع إلا خيراً.

وممن أطلق لسانه في عائشة لهذه النكسة مسطح واسمه عوف بن أثاثة وحسان بن ثابت فمما قاله في صفوان ومن أسلم من قوله.

أمسى الجلابيب قد عروا وقد كثروا ... وابن الفريعة أمسى بيضة البلد
قد نكلت أمه من كنت صاحبه ... أو كان منتشباً في برثن الأسد

ومنها يقول مخاطباً لصفوان:

أما كفاك الذي في الجاهلية قد ... قارفت من مس ذي كفل وذات يد
حتى اعتديت على كنس الرسالة في ... ما لا يليق من الزلات والنكد
ما للقتيل الذي تعدو فتأخذه ... من دية منك يعطاها ولا قود
أما قريش فأني لا أسايلهم ... حتى يتوبط عن الزلات للرشد
ويشهدوا أن ما قال الرسول لهم ... حق ويوفوا بعهد الله والوكد

وما إن وصلوا المدينة حتى انتشر الخبر وصار حديث كل اثنين فلما سمع النبي به وأبو بكر وأم رومان أبَو عائشة وهجوا وضجروا وامتنعوا عن الطعام وخطبهم النبي بعد الصلاة وقال أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق والله إني ما علمت بهم إلا خيراً وينسون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً وما أدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي...

فقال أسيد بن خضير يا رسول الله إن يكن هؤلاء الرجال الذين أذوك من الأوس فإنا نكفيكهم وإن يكونوا من إخواننا الخزرج فمرنا بأمرك فيهم فإنهم أهل أن تضرب أعناقهم فقال سعد بن عبادة كذبت يا أسيد إنك لم تقل هذا إلا لأنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا

من قومك لم تقل هذا.. وتراجعا في الكلام حتى كاد أن يقع بين الفريقين شر وهذا الذي يشير له حسان بقوله في هجاء صفوان:

فيابن المعطل بئس الذي ... أتيت فقد جئت إثماً كبيرا
تخون نبيك في أهله ... وتزعم أنك أسلمت زورا
وأعجب فيك أن الورى ... يعدونك الدهر شهماً حصورا
تركت الفريقين في يثرب ... تلاقي بما قيل عنك الشرورا
ولكنك اعتدت هذا فلم ... يزد نفسك الدين إلا فجورا
وقل إذا اعتاد أمراً فتى ... يرى فارغاً منه حتى يبورا

أما أم المؤمنين فإنها لما نزلت المدينة أصابتها حمى شديدة ولم يبلغها أحد من أقاربها شيئاً مما قيل فيها لكن رسول الله اعتزلها فجاءت أمها تمرضها ثم أذن لأمها أن تنقلها إلى بيتها لتشرف على تمريضها.

وكان رسول الله(ص) يتردد إلى عيادتها في بيت أمها ولا يكثر ولا يطيل المقام عندها كما كانت تحدث عن ذلك وتقول وأنكرت من رسول الله قلة عيادته وقصر إقامته عندي فلم أر منه إذا دخل علي إلا أن يقول لمن كان معي: كيف تيكم؟ ولا يزيد على ذلك ويخرج.

بلوغ الخبر لها بما قذفت به

وكان أهل المدينة في ذلك الوقت لا يتخذون كنفاً ومراحيض في المنازل لقضاء الحاجة بل كانوا يذهبون لقضاء الحاجة إلى الشعاب والمنحدرات الغائطة في الأرض وبذلك سميت العذرة غائطاً فلم تكن النساء تخرج لقضاء الحاجة إلا في الليل وإذا احتاجت امرأة لقضاء حاجة في النهار حفرت لها في بيتها ثم سترتها بالتراب كما تفعل القطط.

وفي ذات ليلة خرجت أم المؤمنين لقضاء حاجة مع أم مسطح وهي كناس بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف فعثرت في مرطها وقالت تعس مسطح فقالت عائشة بئسما قلت لرجل من المهاجرين شهد بدراً قالت: أو ما بلغك ما قال عنك؟ قالت وما ذاك فأعلمتها ما قيل عنها مع صفوان قالت أبلغ الأمر إلى هذا قالت نعم فتألمت عائشة مما سمعت وعدلت عن الخروج لقضاء الحاجة لمواصلة النوح والبكاء في البيت وجعلت أمها تسليها قالت أي بنية خففي عنك الخطب فوالله قلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرت وكثر الناس عليها.

ودعا رسول الله علياً وأسامة بن زيد فاستشارهما في الأمر فأما أسامة فقال: إنها أهلك يا رسول الله ولا نعلم عنها إلا خيراً وهذا الكذب والباطل وأما علي(ع) فقال إن النساء يا رسول الله لكثير وإنك لقادر أن تستخلف غيرها فسل عن هذاجاريتها بريرة فدعاها النبي وسألها

فقالت والذي بعثك بالحق ما رأيت من عائشة قط إلاّ خيراً وما أعيب عليها إلا أنها جارية حدثة السن فربما عجنت عجيناً فنامت قبل أن تخبزه فتأكله الشاة فقام أمير المؤمنين(ع) يضرب بريرة ويقول أصدقي رسول الله ولا تكتميه شيئاً... وهي تقول والله ما رأيت منها خطيئة ولا رابني منها حال.

وكان هذا هو سبب حقد عائشة على أمير المؤمنين وخروجها إلى حربه يوم الجمل وبغضها لأولاده ومنعها الحسن أن يدفن عند جده.

ثم دخل رسول الله ومعه أبو بكر وأم رومان على عائشة وهي تبكي ومعها امرأة من الأنصار تبكي معها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا عائشة أنه قد كان ما بلغك من الأمر وما قالت الناس فيك فإن كنت قارنت سوء أيما ذكروا فاتقي الله وتوبي إليه فإن الله يقبل التوبة من عباده فتقلص دمعها وقالت لأبويها ألا تجيبان رسول الله عما قال قالا لا ندري بماذا نجيب قالت يا رسول الله أنا لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً فلئن أقررت بما يقول الناس وأنا منه براء فقد كذبت على الله لإقراري بما لم يكن وإن أنكرت ما قاله الناس لم تصدقوني ولكني أقول ما قاله أبو يوسف ـ وقد أدهشها الخطب عن أن تذكر النبي يعقوب بن إسحاق ـ ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ يوسف.

فلم يبرح رسول الله(ص) حتى تغشته سنة الوحي فسجى بثوب ووضعت تحت رأسه وسادة من أدم وتغشى أبويها القلق والجزع خوفاً أن ينزل الوحي بتكذيبها وسرى عن النبي فجلس يتصبب وجهه عرقاً وهو يقول ليفرخ روعك يا عائشة فقد أنزل الله براءتك من السماء.

نزول براءتها من السماء

وخرج النبي(ص) إلى الناس وخطبهم بما أنزل الله في براءة عائشة مما قذفت به قوله تعالى ﴿إن الذين جاؤوا بالأفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم﴾ بإثباته طهارة أهل البيت من الأرجاس والأدناس وما يشيعه عليكم المنافقون ﴿لكل أمرىء منهم ما اكتسب من الأثم﴾ وهم مسطح وحمنة وحسان بن ثابت ومن تبعهم وقال قولهم ﴿والذي تولى كبره﴾ وهو عبد الله بن أبي بن سلول ﴿له عذاب عظيم﴾ وهو طرده من المدينة لقوله ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ وجلده حد القذف ثمانين سوطاً.

(لولا) أي هلا ﴿إذ سمعتموه﴾ أي سمعتم هذا النبأ الفظيع يا معشر المسلمين ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم﴾ أي بإخوانهم لأن أهل الإيمان يعتبرون نفساً واحدة فما يشي أحدهم يشي الآخر وما يعيب المرأة منهم يعيب الأخرى (وقالوا) مثل ما قال أبو أيوب الأنصاري لامرأته (هذا أفك مبين. ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون) أي لا يحل (لنا أن نتكلم

بهذا سبحانك) اللهم ﴿هذا بهتان عظيم﴾ يقدح في منزلة النبي ويحط من مقامه إذا كانت نساؤه تمارس الفاحشة ﴿لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء﴾ عدول يشهدون بالمعاينة حال الفاحشة... لا على أن امرأة حملها رجل على بعيره وأتى بها لأهلها وهما من أهل العفة والصلاح فإن ذلك مما يستحق عليه الاكرام في إحسانه لها ﴿وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ ﴿فإذا لم يأتوا بالشهداء﴾ والذين تثبت بهم الجريمة ﴿فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ الذين يستحقون حد القذف.

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم. إذ تلقون بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه﴾ يعني الثلب في أعراض الناس ﴿حينا وهو عند الله عظيم﴾ لأنه مما يثير العداوة بين الناس وينشر البغضاء ويزعزع الأمن ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنت مؤمنين﴾ النور/١٧.

ونزل النبي(ص) وأمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم ثمانين جلدة وذكر البعض أن النبي(ص) ولى أبا بكر ضربهم بالنيابة عن ابنته ولم يذكر المؤرخون عبد الله بن أبي ويرى بعضهم أنه لما سمع نزول براءة عائشة من السماء لحق بالفرار أن لا يكون حده القتل لقيامه بجرائم كبيرة تؤهله لذلك.

وفي ضرب هؤلاء حد القذف يقول بعضهم:

لقد ذاق حسان الذي كان أهله ... وحمنة إذا قالوا فسوقاً ومسطح
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم ... ولعنة ذي العرش فاترحوا
وأذوا رسول الله فيها فجللوا ... مخازي فيما قد جنوه وأفضحوا
وصبت عليهم محصدات من البلا ... جسومهم صارت بها الدم ينضح.

وفي البيت الأخير دلالة على أن الجناة جلدوا عراة مجردين فنضحت أجسامهم دماً.

ما كان بين صفوان وحسان

ولما بلغ صفوان بن العطل ما قاله حسان فيهم:

أمسى الجلابيب قد غروا وقد كثروا ... وابن الفريعة أمسى بيض البلد

إلى أن يقول مخاطباً صفوان:

ما للقتيل الذي تعدو فتأخذه ... من دية منك يعطاها بلا قود
حتى اعتديت على كنس الرسالة في ... ما لا يليق من الزلات والنكد
وكم جرت لك قبل اليوم سابقة ... فيها تفض ختام الغدر بالعدد

نذر وقال لله علي لئن برأني الله مما نسب إلي مع أم المؤمنين لأضربن حسان ضربة بالسيف

تأخذ منه ما تأخذ فلما نزلت البراءة من السماء وجلد حسان الحد فيمن جلد وبلغ صفوان الخبر وثب على حسان فضربه بالسيف على إليته هشمت لحمه إلى العظام وقال:

تلق ذباب بالسيف مني فإنني ... غلام إذا هوجيت لست بشاعر

فوثب ثابت بن قيس بن شماس على صفوان فجمع يديه إلى عنقه بحبل وانطلق به إلى دور بني الحارث من الخزرج فلقيه عبد الله بن رواحه فقال ما هذا قال ما بلغك أنه ضرب حسان بالسيف وما أراد إلا قتله فقال ابن رواحة هل علم بذلك النبي قال لا أدري قال لقد اجترأت أطلق الرجل فأطلقه وأتوا رسول الله(ص) فذكروا ذلك له فدعا صفوان وحسان معصوباً في وسطه لا يستطيع القيام والمشي فقال لصفوان لماذا ضربته قال إنه هجاني وقذفني بالفاحشة فنذرت لله إن أبرأني الله مما قال لأضربنه بالسيف ضربة تأخذ منه ما تأخذ فالتفت النبي إلى حسان وقال أحسن يا حسان أتشوهت على قومي إن هداهم الله للإسلام أحسن يا حسان في الذي أصابك قال هي لك يا رسول الله فوهبه النبي عن ذلك (بيرحاء) وهو قصر بني جديلة اليوم بالمدينة وكانت لأبي طلحة بن سهل تصدق بها إلى رسول الله ووهبه أيضاً سيرين بنت شمعون القبطية أخت مارية أم إبراهيم من النبي فولدت لحسان ابنه عبد الرحمن فكان حسان أسلف النبي زوج أخت امرأته وقد عيّر بعضهم حسان بما لقي من صفوان فقال من قصيدة:

وإن ابن المعطل من سليم ... أذل قياد رأسك بالخطام

اعتذار حسان لأم المؤمنين

ثم دخل حسان على عائشة وأنشدها قصيدته المشهورة وأولها:

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

حليلة خير الناس ديناً ومنصباً ... نبي الهدي بالمكرمات الفواضل

عقيلة حي من لوي بن غالب ... كرام المساعي مجدها غير زائل

وهي طويلة ذكرت في ديوانه.

اتفاق الصحابة على مقاطعة أصحاب الأفك

واتفق المهاجرون والأنصار الأغنياء على مقاطعة الذين اشتركوا في إشاعة الأفك على أم المؤمنين وقطع نفقاتهم التي يجرونها لهم. ومنهم أبو بكر بن أبي قحافة فقد كان ينفق من قبل على ابن خالته مسطح بن أثاثة حيث كان من المهاجرين ومن أصحاب بدر وفقيراً معدماً فقطع نفقته فشكا خبره لرسول الله وقال هل تعود إلى المسلم منزلته الدينية إذا جنى ما يوجب الحد فأقيم عليه أم لا؟ قال إذا أقيم عليه الحد وتاب عادت له حقوقه التي له على المسلمين وكانت كواحد منهم قال فما بال أبي بكر قطع عني صلته وقد استوفى في حق ابنته مني بيده فنزل

قوله تعالى ﴿ولا يأتك﴾ أي لا يحلف بالله ﴿أولوا الفضل منكم والسعة﴾ ﴿أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ ما كانوا يعطونهم من الصلات والنفقات قبل تورطهم في الأفك ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ عنهم ما حدث ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ النور/٢٢

٢

عقوبة الزنا في الآخرة

أما عقوبة الزنا في الدار الآخرة وحين يوقف بين يدي الله للحساب ففي حديث التفضيل عن أبي جعفر السابق بقية خصاله الخمس يسخط.عليه الرحمن ويخلد في النار وبقية حديث ابن ميمون القداح: وثلاث في الآخرة سخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار، ومثله بقية وصية النبي لعلي(ع) وزاد عليه في الحاشية: ثم قال رسول الله ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم إن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾ المائدة/٨٠ وذكر الصدوق في العيون حديثاً لأبي الحسن الرضا(ع) ذكر فيه كبائر الذنوب وعد منها كبيرة الزنا وإن من أصر عليه ولم يتب عنه حتى مات خلد في نار جهنم واستدل عليه بقوله تعالى ﴿... ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق إثاماً. يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً﴾ الفرقان/٦٩.

وفي الوسائل ٢٣٤/١٤ عن النبي(ص) قال: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك جبار ومقل مختال اهـ وإنما استحقوا ذلك لأنهم يأتون عكس ما كان يطلب ويراد منهم فالمطلوب من الشيخ الكبير أن يقلع عن المعاصي وأعمال الجنس لعدم قدرته عليه وإذا لم يطق إتيانها من طريق الحلال فكيف يأتيها من طريق الحرام، والمطلوب من الملك مساعدة الشعب والتساهل معهم فكيف يجبرهم على الأعمال الشاقة مع قدرته على حصولها لو بذل المال وهو ميسور لديه، والمطلوب من المقل أي الفقير أن يتواضع إلى الناس ليسأل منهم المساعدة والمعونة لا أن يتكبر عليهم فيبعدهم عنه ويحرم نفسه العطاء منهم.

وفي المصدر ص ٢٣٤ عن بشير أن الله تعالى يقول: لا أنيل برحمتي من يعرضني للإيمان الكاذبة ولا أدنى من يوم القيامة من كان زانياً وفي ص ٢٣٦ عن أبي حمزة عن أبي جعفر(ع)

قال أوصى الله إلى موسى(ع) لا تزن فاحجب عنك نور وجهي وتغلق أبواب السماوات دون دعائك.

وفي الوسائل ١٤/٢٣٨ عن الصدوق في عقاب الأعمال بسنده عن النبي(ص) قال من فجر بامرأة ولها بعل انفجر من فرجهما من صديد جهنم وإذ مسيرة خمسمائة عام يتاذى أهل النار من نتن ريحهما وكانا من أشد الناس عذاباً وفي ص ٢٤٢ عن الصدوق - في حديث المناهي - بسنده عن الحسين بن زيد عن الصادق عن أبائه عن النبي(ص) قال من زنى بامرأة مسلمة أو يهودية أو نصرانية أو مجوسية حرة أو أمة ثم لم يتب ومات مصراً عليه فتح الله تعالى له في قبره ثلاثمائة باب يخرج منها حيات وعقارب وثعبان من النار فهو يحترق إلى يوم القيامة فإذا بعث من قبره تأذى الناس من نتن ريحه فيعرف بذلك وما كان يعمل في دار الدنيا حتى يؤمر به إلى النار.

وفي عقاب الأعمال ص ٢٣٤ بسنده عن زيد بن علي عن أمير المؤمنين(ع)قال إذا كان يوم القيامة هبت على الناس ريح فتنة يتأذى بها أهل الجمع حتى تمسك بأنفاس الناس فيناديهم منادٍ أتدرون ماهذه الريح التي أذتكم وبلغت منكم كل مبلغ فيقول هذه ريح فروج الزناة الذين لقوا الله بالزنا ولم يتوبوا فالعنوهم لعنهم الله فلا يبقى أحد في الموقف إلا قال: اللهم إلعن الزناة.

وفي الوسائل ١٤/٢٤٣ عن عقاب الأعمال عن النبي(ص) قال: ومن نكح امرأة حراماً في دبرها أو رجلاً أو غلاماً حشره الله يوم القيامة أنتن من الجيفة يتأذى به الناس حتى يدخل جهنم ويدعه في تابوت مشدوداً بمسامير من حديد ويضرب عليه في التابوت بصفائح حتى يتشبك بتلك المسامير...



الجزء الرابع

الشذوذ الجنسي



١

اللواط عند العرب

وهو أكبر الجرائم الجنسية وأبلغها خطراً على الفرد والنوع والمجتمع وسمي اللواط اشتقاقاً من لاط اللبن بالماء أي مزجه به أو لاط الجلد بالدهن أي مسحه به وإلقاط حبه بقلبه أي شغف به أو لأنه من أفعال قوم لوط.

ويعنون به اتيان الغلمان في أدبارهم بدل الجواري في أحرامهن والحديث عنه يقتضي عرض نفحات وفرحات.

ذكر الصدوق في عقاب الأعمال ص ٢٣٦ بسنده عن عمرو ابن سعيد عن أبي جعفر(ع) أن السبب في إغراء قوم لوط باللواط أنهم كانوا من أفضل خلق الله في الإيمان والتقوى وأن الشيطان طمع وجدَّ في طغيانهم فلم يفلح فاحتال عليهم بإفساده ما ينون وما يزرعون وينسجون في أعمالهم الكسبية فإذا انصرفوا عنها ليلاً وعادوا لها نهاراً وجدوها مبعثرة مهدومة فرصدوا من يقوم بهذا التخريب فتمثل لهم في صورة غلام جميل مليح فاتفقوا على قتله وبيتوه عند رجل منه ليقتلوه في النهار بعد النظر في أمره فأخذ الغلام يتواغد على الذي هو في داره ويكشف له من محاسنه حتى زيّن له أن يقع عليه واستطاب الرجل ذلك ونعم به طول ليلته ولما أصبح لم يجده عنده وقد وقع حب الشذوذ في نفسه كل موقع ووصف للناس لذته فاصفقوا كلهم على ممارسته حتى تنافسوا في الغلمان وأضربوا عن النساء ا.هـ.

وقيل بل إن الذي حملهم على اللواط أنهم كانوا على قارعة الطريق لعدة ممالك من الشام والعراق والحجاز واليمن فكانت الأظعان والقوافل لا تزال تمر وتنزل بهم فحملهم البخل والشح على أن يعدوا أولئك المارة عنهم بأن يطلبوا منهم أن يفعلوا بهم كأجرة للنزول بأرضهم أو ثمن للماء والكلاء منهم.

وقيل بل إنهم كانوا في شظف من الحياة فحمل الجوع والسغب صبيانهم أن يبذلوا أطرافهم ليسدوا بها جوعهم واستطاب للأغنياء ما بذل لهم الغلمان فإنهالوا عليهم وأعرضوا عن النساء.

السبب في انتشاره عند العرب

أما السبب في انتشار اللواط بين العرب فقد ذكر الدكتور صلاح الدين المنجد في (الحياة الجنسية عند العرب)/ ٥٠ أن سبب انتشار اللواط عند العرب هو كثرة الجواري فهي التي سببت ميل الرجال عنهن ورغبتهم في الغلمان فكان الغلمان المصدر الثاني للذات.

ومـن هنـا كان العصر العباسي هو عصر الجواري والغلمان معاً.

فقد كان ملوك العرب وأمراؤهم يتخذون الغلمان خدماً يسقونهم الخمر ويقدمون لهم الطعام ويقفون بالمراوح على رؤوسهم أيام الصيف لطرد الحر والذباب عنهم ومنهم من يتخذ من الغلمان ندامى للمسامرة ولعب النرد والشطرنج معهم ولكثرة هذا الاختلاط بهم حدثت العلاقة الجنسية.

وقام على ذلك المنافسة في شراء الغلمان الملاح الذين يصطادون أو يختطفون من الترك أو الروم أو الفرس فكلما كان الغلام أجمل كان سعره وثمنه أغلى وأعلى.

قال: وكانوا يحبون الغلام الأهيف القوام الرخيم الكلام المراهق الفائق في الجمال الرائق السمرة البديع الحمرة أدعج العينين مورد الوجنتين مختطف الخصر نقي الثغر مرجل الشعر الذي تجاذبه الأرداف وتهزه الأعطاف.

كما أن للفرس المستعربين في الدول العربية أثراً كبيراً في انتشار اللواط وحب الغلمان فإن أشهر اللواطين في العصر العباسي كانوا من أصل فارسي وخاصة الشعراء والعلماء منهم كوالبة بن الحباب الذي أفسد أبا نواس وآخرين وأبي نواس الذي أفسد خلقاً لا يُعد بالغلمان والولوع بهم.

وكان لاثنين من خلفاء بني العباس أعظم الأثر في رفع شأن الغلمان وهما محمد الأمين ومحمد المعتصم إبنا هرون الرشيد فقد ملأوا قصورهم من الغلمان والمخاصي واتخذوهم أزواجاً لهم.

وفي ص ٥٤ قال: وازدهرت مهنة البغاء واللواط ذلك العصر في بغداد ازدهاراً واسعاً حتى جعلوا لكل منهما آداباً وأحكاماً يسيرون عليها ويجب تعليمها وإتباعها وألفت فيها كتب كثيرة كلها سخف ومجون بكل صراحة ولو تيسر لهم تصوير ذلك العصر لصوروه وصار كل فريق يدعو إلى مذهبه فقامت المظاهرات بين الغلمان والجواري فقد ألّف الجاحظ مفاخرة نظرية بين صاحب الجواري وصاحب الغلمان كما تقوم مفاخرات فعلية في مجالس اللهو والخلاعة بين

فتاة وغلام فيحتج كل منهما على الآخر بما عنده من مواصفات جنسية يكشفها للحاضرين ليثير غرائزهم وينشر الدعارة فيهم.

غلام عز الدولة

وأصبحت الغلمان تتفوق على الجواري في المهور والأثمان ففي الوقت الذي تباع الجارية الحسناء بمائة ألف درهم أو تعطى من الصداق عشرة آلاف دينار يباع الغلام الجميل بمائتي ألف درهم ويصدق ليستمتع به بعشرين ألف دينار. فقد ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء/ ٤٠٦: أن في عام ٣٦٥هـ حدثت واقعة حرب بين عز الدولة العثماني وعضد الدولة فناخسرو بن الحسن بن بويه الوالي على العراقين من قبل الطائع لله الخليفة عبد الكريم بن المطيع العباسي وأسر فيها لعز الدولة غلام جميل تركي فحزن عليه واشتد حزنه وامتنع عن الأكل وأخذ في البكاء واحتجب عن الناس وعاتبه أصحابه فما ارعوى لعتابهم وبذل في فداء الغلام جاريتين عوديتين كان قد بذل له في الواحدة مائة ألف دينار وقال للرسول أن توقف عليك في رده فزد ما رأيت ولا تفكر فقد رضيت أن آخذه وأذهب إلى أقصى الأرض فرده عضد الدولة عليه.

أسباب انتشاره في البلاد الغربية

أما أسباب انتشار اللواط في بلاد الإغريق واليونان فقد ذكر الدكتور محمد علي البار في كتابه (الأمراض الجنسية)/ ٣٥: إن السبب في انتشار شذوذ الجنس بين الرهبان والحكماء في اليونان هو أن قانون الرهبنة والحكمة اليونانية كان ينظر إلى الجنس والزواج الشرعي نظر امتهان واحتقار ويعتبره قذراً مبعداً عن ساحة اللاهوت والروحانية فمنع الرهبان والراهبات عن الزواج وامتنع الحكماء عن ممارسة الجنس بأنه بهيمية حقيرة وفرض عليهم الحصر فأدى هذا الحصر والكبت عن الجنس إلى انفجار الوضع باجتناب ممارسته مع النساء لأنهن غاويات خائنات إلى ممارسته مع الغلمان فإنه أخف وطئة على القداسة منه على النساء.

قال في ص/ ٤٠ فكان لكل حكيم فيلسوف كأفلاطون وأبقراط غلام أو مجموعة من الغلمان الحسان يلتصق بهم جنسياً بين حين وآخر إذا غلبت عليه الغلمة والشبق سيما عندما يريد التفكر في حل مشكلة أو استنباط سر عميق.

وفي ص/٣٥: إن اتصال الرجال بالرجال جنسيا لم يكن معروفاً عند الإغريق فقط ولكنه كان يحظى بالتقدير ولذا فإن الآداب اليونانية تمدح الشذوذ الجنسي وتشيد به ويظن البعض أن ذلك كان محصوراً في علية القوم فقط بينما يعتقد الآخرون أن المجتمع اليوناني بأكمله كان يشيد بالشذوذ الجنسي.

٢

آفات اللواط وأضراره

ويعتبر الشذوذ الجنسي أكبر عاهة ووباء جماعياً يؤدي إلى قطع النسل البشري بمعنى إبادته ومسخه وسلب خواصه وقدراته في الفاعل والمفعول به.

أما الفاعل فإنه إذا زرع البذرة في العندرة فقد قضى عليها فإذا وقع ذلك بشكل جماعي أي اتفق كل أهل المنطقة على ممارسة الشذوذ الذكري واكتفى بعضهم ببعض فإن النساء هناك لا تفتأ أن تمارس الشذوذ الأنثوي وهو السحاق وبذلك ينقطع النسل البشري من تلك المنطقة ولا يؤمن أن تسري هذه النزعة إلى ما حولها من المناطق فيعم البلاء.

وهذا نفس ما حدث لسكان مدينة سدوم عاصمة بلاد دومة الجندل ما بين الحجاز والشام على قارعة الطريق التي تسلكها الناس من المدينة إلى سوريا كما قال تعالى: ﴿وأنها لبسبيل مقيم﴾ الحجر/ ٧٦ ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل﴾ في طريقكم إلى سوريا ﴿أفلا تعقلون﴾ الصافات/ ١٣٩ ثم تسرى الداء من سدوم إلى عمورة ثم إلى المدن الست الأخرى فعمها كلها فوجب ذلك أن تتدخل المشيئة الإلهية بخسفها قبل أن ينتشر منها البلاء إلى الأقطار كلها فخسف بها جعل عاليها سافلها وتحولت تلالاً في بحيرة وهي التي تسمى (بحيرة لوط) حالياً أي بحيرة قوم لوط كما سنذكره في موضعه.

وإذا وقع اللواط بشكل فردي فهو كالإصابة بمرض معدٍ مثل السل والجذام والكوليرا أو الحمى الحمراء إذا ظهرت في إنسان وجبت مقاومتها وحبسها في موضعها على الانتشار ولذا خسف بقوم لوط مدائنهم السبع وقذف الذين لم يكونوا فيها بالأحجار القاتلة قال تعالى: ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل مسوقه﴾ أي ملقحة أو معلمة رؤوسها بعيارات نارية لأن سجيل معرب سجين وسجين هي النار بالفارسية ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ هود/ ٨٣ أي

ليست هذه الأحجار ببعيدة عن الأحجار التي حصبنا بها أصحاب الفيل ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾.

وأيضاً فإن ممارسة فعل اللواط في الغير يؤدي في الأخير إلى طلب الفاعل أن يفعل الغير لواطاً به كما في الحديث: من ألحَّ في وطىء الرجال لم يمت حتى يدعو الرجال إلى نفسه.

وأما المفعول به فحسبه من الخسة والنذالة أن يتحول من الذكورة إلى الأنوثة ومن الرجولة إلى الميوعة فلا يصلح لاكتساب منفعة ولا دفع مضرّة لنفسه ولا لغيره.

وكل من الفاعل والمفعول به معرض للإصابة بالأمراض الزهرية والأخطار الوبائية فلا يزال يظهر بين حين وآخر من اللواط أمراض شتى وأخطار لا تعالج ولا تشفى كالذي ظهر مؤخراً في البلدان الغربية وانتشر فيها لبلدان العالم الأخرى وهو فقد المناعة المكتسبة المسمى بـ(الإيدز) ورغم تقدم العلم والطب لم يوقف له حتى الآن على علاج ولا دواء.

وكما أن التأنيث في الذكر يضر بالصحة فلا يزال المفعول به يتحول من سقام إلى سقام ومرض خطير إلى مرض أخطر من الأمراض الزهرية والتناسلية والجنسية فإنه يضر بالقوى العقلية والصفات الخلقية والمزايا الإنسانية.

أما تأثيره على العقل والذكاء فقد اشتهر بين الحكماء أن سبب نقص العقل في النساء هو الأنوثة فهي التي تسبب للمرأة غالباً قلة الحفظ وزيادة السهو والنسيان ومن أجل ذلك جعل الله شهادة المرأتين بشهادة رجل واحد قال عزَّ وجل: ﴿ ...فاستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾.

فكما يغلب على المرأة السهو والنسيان من جهة أنوثتها الأصلية يغلب على الرجل أيضاً الجهل والسهو والنسيان بسبب الأنوثة المكتسبة وقال أحد الحكماء إن مجمع عقل الأنثى في قبلها ومجمع عقل المؤنث في دبره، وإلى هذا المعنى يشير المؤلف بقوله في العرائس ١٩٤/٣:

إن النساء فروجهن بها النهى وكذا المخنث عقله في دبره

ويدفع التأنيث أهله إلى اعتزال الصلحاء وبغض الأولياء ففي الوسايل ٢٥٥/١٤ عن الصدوق في العلل بسنده عن زيد بن علي عن آبائه أن أمير المؤمنين(ع) رأى في المسجد رجلاً له تأنيث فطرده وقال: اخرج من مسجد رسول الله(ص) يا من لعنه الله ثم قال: أيها الناس اخرجوهم من بيوتكم فإنهم أقذر شيء في العالم وفي ص ٢٥٣ عن الكليني بسنده عن عطية أخي ابي الفرام قال: ذكرت لأبي عبد الله(ع) المنكوح من الرجال قال: ليس يبلي الله بهذا البلاء أحداً وله فيه حاجة إن في أدبارهم أرحاماً منكوسة وحياء أدبارهم كحياء المرأة قد شرك فيهم ابن لإبليس يقال له زوال فمن شرك فيه من الرجال كان منكوحاً ومن شرك فيه من النساء كانت من الموسات والعامل على هذا من الرجال إذا بلغ أربعين سنة لم يتركه وهم بقية قوم

لوط الذين يسكنون سدوم لا أعني أنهم من ولدهم بل من طينتهم وبسنده عن ابن القداح عن الصادق عن أبيه قال: ما ابتلى الله بهذا البلاء أحدا له فيه حاجة ثم قال إن الله أقسم بعزته وجلاله أن لا يقعد على استبرق الجنة وحريرها من يؤتى في دبره.

وفي الوسايل ١٤/٢٥٥ عن الكليني بإسناده عن علي بن اسباط بن أبي عبد الله(ع) قال من كان من شيعتنا فلا يكون فيهم ثلاثة أصناف لا يكون فيهم من يسأل بالكف ولا أزرق أخضر ولا من يؤتى في دبره وفي الأسرار/ ٣٣٩ عن الصادق(ع) قال أربع لا تكون في مؤمن ومنها أن لا ينكح في دبره فإن كان منه ذلك بشهوة فإنه لا يدخل الجنة وليس من الشيعة وإن فعله بغير شهوة فهو من الناقصين المبعدين غير كامل الإيمان وروى الحر العاملي في الفصول المهمة/ ٤٤٧ بإسناده عن مسلم بن خالد عنه (ع) قال: ثلاثة عشر صنفاً من الناس لا يحبوننا وعد منهم المابون من الرجال وروى المجلسي في البحار عن النبي(ص) أنه قال لعلي(ع) يا علي لا يبغضك إلاّ أحد ثلاثة إما ابن زنا أو من حملت به أمه وهي طامث أو من يؤتى كما تؤتى النساء.

كما أن التأنيث ينتزع من أهله الحياء والحشمة والغيرة والمروءة فقد قال الحكماء من لانت أسافله صلبت أعاليه أي لا يندى بالحياء وجهه ولا يخجل مما يفعل أو يفعل به.

وتبلغ الخسة والرذيلة ببعض المشبوهين كعمرو بن العاص وبسر بن أرطأة النزاري في المعارك الدامية بكشف سوأته أمام المحاربين ممن حمل عليه ليطعنه أو يقتله.

فقد ذكر ابن أبي الحديد أن عمرو بن العاص وبسر بن أرطأة في حرب صفين إذا التقيا بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) كشفا سوأتيهما أمامه ليغض طرفه ويعف عن مسهما أو الاقتراب منهما وفي ذلك يقول مالك الأشتر النخعي:

في كل يوم رجل شيخ شاغرة ... وعورة وسط العجاج ظاهرة
من كل مسوه لام عاهرة ... تبرزها طعنة كف واترة
عمرو وبسر منيا بالفاقرة ... فليكشفا لاستيهما في الآخرة

وقال الحرث بن نصر:

أفي كل يوم فارس تندبونه ... له عورة تحت العجاجة بادية
يكف بها عنه علي سنانه ... ويضحك منها في الخلاء معاوية
فقولا لعمرو وابن أرطأة ابصرا ... سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية
ولا تحمدا إلاّ الخنا وحضاكما ... هما كانتا والله للنفس واقية

وناهيك بالتأنيث في الرجال عاراً وخزياً أن أهل الشرف والعلاء يفرون ويبعدون بكرامتهم عما يشعر منه الصلة بالتأنيث أو العلاقة به.

فقد ذكر ابن سعد الفايدي في كتابه (عقيدة ختم النبوة) ١٧٧ أن طليحة بن خالد الأسدي لما ادعى النبوة في آخر أيام رسول الله(ص) أجرى الأحكام وفرض بعض الطقوس الإسلامية على اتباعه ولكنه ألغى السجود في الصلاة وزعم أن الله أوحى إليه فقال: إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وتقبيح أدباركم شيئاً فاذكروا الله أعفة قياما فإن الرغوة فوق الصريح.

وذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة أن السبب في رفع الخليفة عمر بن الخطاب (رض) قول حي على خير العمل من فصول الآذان والإقامة أنه سمع يوماً أحد المنافقين يتمثل بقول عبد الله بن أبي في هجائه المسلمين قبل إسلامه:

أتزعمون العز يا اتباع من ... أتى بما استوحى لكم من السور
وخير أعمالكم أن تركعوا ... كالمعز أو أن تسجدوا مثل البقر
فترفعوا استاهكم نحو السما ... وتنفضوا رؤوسكم نحو الحفر
كأنها الكلبة تستهوى لأن ... ينزو عليها الكلب لو منها نفر

ذكر في الظرف والظرفاء/٨٥ قال بعض الأدباء:

فلو أني وليت الناس يوماً ... ووليت الحكومة والخصاما
لقرت عيني من يهوى الجواري ... وعاقبت الذي يهوى الغلاما
سألتك أيما أحلى حديثا ... وأطيب حين تعشقه التزاما
أجارية منعمة رداح ... تريدك للغرام بها غراما
أو أمرد منثنى الابطين منه ... له رمح كرمحك حين قاما
يريدك للدراهم لا لحب ... وتلك تذوب من كلف سقاما

٣

تحريم اللواط في الأديان السماوية

ولهذه الآفات والأخطار التي يشتمل عليها اللواط فقد اتفقت الأديان السماوية والعقول البشرية على خطره وتحريمه وفرض العقوبات الصارمة على من يمارسه فاعلاً أو مفعولاً وفي مقدمة هذه الأديان الدين الإسلامي فقد منع هذه الجريمة وتوعدكل من يأتيها بمثل ما وقع بأهل بلاد سدوم والقرى التي حولها حين انتشرت فيهم الفاحشة فأرسل إليهم نبيّه لوط وحين لم يستمعوا لوعظه ونصحه خسف بهم مدائنهم السبع فحولها تلالاً في البحار وحصب من لم يشمله الخسف من أهل اللواط بأحجار من سجيل سومه أي مطعمة بعيارات نارية فأتت على آخرهم.

وقامت أنبياء الله ورسله بلعن من يمارس هذه الفاحشة وطردهم وهجرهم ومنع الناس من مخالطتهم ومصانعتهم فمن النصوص التي صرحت بذلك ما رواه الحر العاملي في الوسايل ٢٤٨/١٤ عن الكليني بسنده عن أبي بكر الحضري عن أبي عبد الله عن رسول الله(ص) قال من جامع غلاماً فأوقبه جاء يوم القيامة جنباً لا ينقيه ماء الدنيا وغضب الله عليه ولعنه وأعدَّ له جهنم وساءت مصيراً وقال(ص): إن الذكر مركب الذكر فيهتز العرش ا.هـ. وهو كناية عن شدة غضب الله عليه وفي ص ٢٤٩ عن الكليني بسنده عن يونس عن أبي عبد الله(ع) قال حرمة الدبر أعظم من حرمة الفرج فإن الله أهلك أمة بحرمة الدبر ولم يهلك أمة بحرمة الفرج وعن أمير المؤمنين(ع) قال: اللواط ذنب لم يعص الله به إلاّ أمة من الأمم فصنع بهم ما ذكره في كتابه من رجمهم بالأحجار.

وقد ألَّف الشيخ علي محمد دخيل كتاباً في حرمة اللواط أسماه (الشذوذ الجنسي) نقل فيه مجموعة من النصوص عن القرآن والسنّة في تحريم اللواط ففي ص ٣٩ عن الكباير للذهبي عن ابن ماجة والترمذي والحاكم عن النبي(ص) قال: أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في

سخطه قيل من هم يا رسول الله؟ قال المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال والذي يأتي البهيمة والذي يأتي الذكر وهو اللواط وقال (ص): سبعة يلعنهم الله ولا ينظر إليهم ويقول ادخلوا النار مع الداخلين الفاعل والمفعول به والراكبة والمركوبة وناكح البهيمة وناكح الأم وبنتها وناكح يده إلاّ أن يتوبوا.

وفي الوسايل ٢٥٧/١٤ عن علي بن إبراهيم عن السكوني عن أبي عبد الله(ع) عن أمير المؤمنين(ع) قال: اللواط ما دون الدبر وأما الدبر ـ يعني الإيلاج في الدبر ـ فهو الكفر بالله ورواه البرقي والصدوق. وعن الشيخ الطوسي بسنده عن حذيفة بن منصور قال: سألت أبا عبد الله(ع) عن اللواط فقال: هو ما بين الفخذين وأما الايقاب ـ أي الإيلاج في الدبر ـ فهو الكفر بما أنزل الله.

إلى غير ذلك من النصوص الصحاح التي امتلأت بها كتب الحديث من جميع المسلمين وسنذكر مجموعة منها فيما وعد به أهل اللواط من العذاب في الدنيا وعند الموت وفي البرزج وفي الآخرة.

تحريم مقدمات اللواط

ونظراً لشدة حرمة هذه الجريمة الشنعاء وأثرها في قطع النسل الإنساني وتفتيت المجتمع البشري فقد حرّم الإسلام كل متعلقاتها وما يتصل بها منم مقدمات ومغريات.

١ ـ المكاعمة والمكامعة

كاالمكاعمة وهي التقبيل على الفم والمراشفة. والمكامعة وهي المعانقة والمضاجعة بين الرجل والرجل أو بين المرأة والمرأة يلصق جلد كل بالآخر من غير ثوب أو دثار أو حاجز فإنها مما يثير الغريزة ويحرك الشهوة لهذا حرّمها الإسلام فلا تحل من رجل لرجل ولا من امرأة لإمرأة إلاّ بين الزوجين وبين الأبوين وأطفالهما الصغار كما سيأتي.

ويدل عليه ما رواه في الوسايل ٢٥٨/١٤ عن الصدوق في معاني الأخبار بسنده عن جابر بن عبد الله قال: نهى رسول الله(ص) عن المكاعمة وهي أن يلثم الرجل الرجل على فمه ونهى عن المكامعة وهي أن يضاجع الرجل الرجل ليس بينهما ثوب من غير ضرورة.

وفي ص ٢٥٩ عن مكارم الأخلاق عن النبي (ص) قال: لا يباشر الرجل الرجل أي يلصق جلده بجلده ـ إلاّ وبينهما ثوب ولا تباشر المرأة المرأة إلاّ وبينهما ثوب.

٢ ـ تقبيل الغلمان

ومنها تقبيل الغلمان على أوجههم أو أيديهم أو نواصيهم فإن الغلام لا سيما المليح منهم في

الإسلام بحكم المرأة فكما أن المرأة لا يحل أن يقبلها إلاّ زوجها أو أحد محارمها أي من يحرم عليها أو يتزوجها فكذلك الغلام لا يحل أن يقبله إلاّ الوالدان ومن بحكمهما كالأعمام والعمات والأخوة والأخوات والأفراد والخالات، ففي الوسايل ٢٥٧/١٤ عن الكليني بسنده عن طلحة بن زيد عن الصادق(ع) عن النبي(ص) قال: من قبّل غلاماً بشهوة ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ـ ورواه علي بن محمد على دخيل في كتابه (الشذوذ الجنسي) وزاد فيه ـ ولعنته ملائكة السماء والأرض وملائكة الرحمة والعذاب وهيئت له جهنم.

٣ ـ النظر للغلمان والخلو بهم

وكما يحرم النظر للمرأة الأجنبية بشهوة ويحرم الخلوبها لغير ضرورة فكذلك الغلام المليح ففي الوسايل ٢٥٨/١٤ عن علي بن إبراهيم بسنده عن السكوني عن أبي عبد الله(ع) قال: إياكم وأولاد الأغنياء والملوك فإن فتنتهم أشد من فتنة العذارى في خدورهن وذكر الذهبي في الكباير/ ٥٧ والهيثمي في الزواجر ٤/٢ عن الحسن بن ذكوان البصري قال: لا تجالس أبناء الأغنياء فإن لهم صوراً كصور العذارى وهم أشد فتنة من النساء. ودخل صبي مليح على سفيان الثوري في الحمام فقال: اخرجوه عني وإلاّ خرجت من الحمام إني أرى مع كل امرأة شيطاناً ومع كل غلام أمرد سبعين شيطاناً. وقال العسقلاني: لما قدم وفد عبد القيس على النبي(ص) كان فيهم غلام مليح فأجلسه النبي(ص) خلف ظهره وقال: إنما كانت فتنة داود من النظر... وسنعيد هذا البحث فيما بعد بشكل أوسع في موضعه إنشاء الله.

٤ ـ مصافحة الغلمان

وكما تحرم مصافحة المرأة الأجنبية ومن يحل للمصافح الزواج بها إلاّ من وراء ثوب فكذلك مصافحة الغلمان الملاح لأنها مما يثير الغريزة ويحرك الشهوة إلاّ للأبوين أو من هو بمنزلتهما من الأقرباء.

ومثل ذلك غمز اليد بقصد أن يميل إليه أو يبادله المحبة كما تستعمله الشطار مع المردان ففي البحار ٢٣/٧٦ عن كتاب التبصرة والإماتة بسنده عن السكوني عن جعفر بن محمد عن آبائه(ع) عن جابر قال: لقيت النبي(ص) فسلمت عليه فغمز يدي وقال غمز الرجل يد أخيه قبلته ا.هـ. يعني أن غمز اليد في المصافحة تعتبر تقبيلاً له في خده حساً أو معنى.

قال أحد الشعراء:

قالوا حبيبك محموم فقلت لهم ... أنا الذي كنت في حمائه سببا
صافحته ولهيب النار في كبدي ... فساق في جسمه من راحتي لهبا

وقد يستدل بعضهم بالمصافحة على وجود الحب في القلب أو الرحم في النسب وعدمه

فهناك عروق تنبض فتشير إلى وجود الحب وصلة الرحم بين المتصافحين فذكر بعض المؤرخين أن يوسف الصديق لما دخلت عليه اخوته وقد مضى على ابتعادهم عنه أكثر من عشرين أحس ببرد كفه من أكفهم بأن له رحماً (فعرفهم وهم له منكرون).

وذكروا أن امرأة تنكرت له بأنها امرأة العزيز ليتعاطف معها فصافحها فقال: كذبت فلست راعيل فلو صافحتني راعيل لعلت زفراتها بالبكاء.

٤

مصادر الإصابة بداء الأبنة

الأبنة في اللغة: العيب والمابون هو المعيب أو المتهم وفي الاصطلاح الابنة هي أكلة واحتكاك في قصبة الشرج تكون لها سعرة وهيجان لا تسكن إلاّ بأن تحك بشيء يولجه فيها من الفتحة الشرجية من عود أو قصبة وهي ناتجة من جراثيم وميكروبات قد تكونت من السائل المنوي الذي تلقاه صاحبها مما يفعل به من اللواط وجاء في الحديث من أمكن من نفسه حتى ينكح ألقى الله عليه شهوة النساء وجعله شيطاناً رجيماً في قبره إلى يوم القيامة.

وقد يصاب بها اللائط أيضاً مع دوام الممارسة فإنه إذا تكرر إيلاج عضوه في أدبار المأبونين انتقلت تلك الجراثيم إلى عضوه ومنه إلى دبره فأصيب بالأبنة.

وقد تكون الإصابة بداء الأبنة طبيعية ناتجة عن الضعف الجنسي فقد ذكر محرر مجلة (طبيبك) في العدد الـ(٢٤) الصادر في كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٧م ص ٢٩:

أن هناك أعراضاً مرضية تدل على وجود الضعف الجنسي منها عدم الميل الجنسي والإغراء والتهييج الجنسي كما أن ضعيف الجنس يفقد المشاعر النفسية فيعود رقيقاً فاتراً خاملاً. وضعيفة الجنس من النساء تكون بالعكس قوية الروح تحمل مشاعر رجولية صلدة وأفكاراً جريئة. كما أن ضعيف الجنس من الذكور يميل إلى أن يفعل به ما يفعل بالإناث وهو الشذوذ الجنسي. والأنثى المصابة بالضعف الجنسي ترغب في مساورة الفتيات بالسحق والاحتكاك.

وقد ورد في أحاديث نبوية ما يدل على أن الإصابة بالابنة وليدة ممارسة اللواط واتيان الأدبار روى في الوسايل ١٤/٢٤٩ عن الكليني بسنده عن عمر ـ والصدوق في عقاب الأعمال بسنده عن محمد بن خالد ـ عن أبي جعفر عن النبي(ص) قال: من ألحَّ في وطيء الرجال لم يمت حتى يدعو الرجال إلى نفسه ا.هـ. أي يدعو الرجال ليفعلوا به مثل ما فُعِل بغلمانهم.

وفي النصوص المحرمة/٤٢ أن أبا نواس قال يهجو عامراً وكان مستوهاً:

أرى عاصماً لا قدّس الله عاصماً ... يتيه إذا ما أبصر العضب قائما
جنى عضبه في المسلمين جناية ... فصار عليه الدبر بالرد حاكما
تلوط دهراً ثم قاد على إسته ... فيا لك من دبر ترد المظالما

وذكر الشيخ جعفر النقدي أن أبا نواس قال لعنان الناطقية يمدح غلمته:

ليت عضبي فيك أمسى ... ليلة حتى يموتا

وذكر أبياتاً سخيفة.

فأجابته عنان:

زوجوا هذا بألف ... لا يعد الألف قوتا
قبل أن ينعكس الأمر ... فلا يأتي ويوتى

وقد يصاب بداء الابنة المحاربون لله كالمدعين الربوبية أو المدعي فيهم تصغيراً لهم وانتقاماً لله منهم وبهذا المعنى تأولوا قوله تعالى: ﴿إن يدعون من دونه إلاّ إناثا وإن يدعون إلاّ شيطاناً مريدا﴾ النساء/١١٧ فقد جعل الله كل من يدعي الألوهية من الجبابرة أو تدعى فيه الأصنام إناثاً فقد كان المشركون يسمون (العزى) أنثى أهل مكة (واللات) أنثى أهل الطائف وجعل تأنيث الجبابرة بما ابتلاهم به من الأبنة.

فممن أصيب بالابنة من المحاربين لرسول الله(ص) أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي ومن المحاربين لسيد الأوصياء علي بن الجهم كما سيأتي الحديث عنهما.

قال الشيخ جعفر المتعدي في منن الرحمن ٢٧٨/١ جاء في الحديث عن أهل البيت(ع) قال: ما أبغض رسول الله أحداً إلاّ وسلّط عليه داء الابنة وعن الصادق(ع) قال: نحن أناس لا يحبنا أهل الإبنة أي لم يجعل الله حبنا في قلوبهم وعن النبي(ص) أنه قال لعلي (ع) يا علي لا يبغضك من الرجال إلاّ من يؤتى في دبره ولا تبغضك من النساء إلاّ سلقلقية وهي التي تحيض من دبرها.

في ذكر من أصيب بداء الابنة

ذكر الراغب الأصبهاني في المحاضرات ٣: أن أول ما ظهرت في العزيز صاحب يوسف.

١ ـ العزيز قطفير بن رحيب المصري

وقد ذكرنا في مرافق التحقيق/٧: أن العزيز هذا قطفير بن رحيب رئيس دائرة المالية للحكومة المصرية في ذلك الزمان أيام ملك الملك الريان بن الوليد على مصر وهو الذي اشترى النبي يوسف بن يعقوب عندما عرض للبيع في سوق الرقيق ليتبناه ويتخذه ولداً له لأنه كان

عقيماً لا يولد له وقيل إنه كان مصاباً بالعنة أما إصابته بالأبنة فليس من البعيد لأنها تقارن العنة غالباً فالعنين إذا عجز أن يبلغ شهوته بالفاعلية تحول عنها إلى المفعولية لكن لم يذكر ذلك إلاّ الراغب الأصبهاني في المحاضرات.

٢ ـ الحكيم جالينوس اليوناني

قال في المحاضرات ٣: وكان جالينوس مأبوناً واتفق أن استأجر يوماً رجلاً يطأه خلف حائط فطارت دجاجة ففزع الواطىء منها وهرب فقال جالينوس: لأفنين الدجاج فما زال يصفه للمرضى حتى أصبح طعامهم المعتاد.

٣ ـ أبو الحكم عمرو بن هشام المخزومي

وممن اشتهر بمرض الأبنة في الجاهلية من المشركين المناوئين لرسول الله(ص) أبو جهل ويقال أبو الحكم عمرو بن هشام المخزومي وكان إذا هاجت عليه الإبنة ألقم إسته حجراً وقال واللات والعزى لا يعلوني لأجلك رجل أو ما تركت أحد يركبك وفيه يقول بعضهم:

لي صاحب زعم الخبير بأنه ... شبق المؤخر ساكن المقدام

يشنا من الحملان أكل رؤسها ... وهواه في أكل الكراع النامي

وذكروا أنه كان يطلي أردافه بالزعفران ليستسيغ العبيد وطأه إذا دعاهم إلى نفسه وقد عيره بذلك عتبة بن ربيعة يوم بدر في قوله: سيعلم مصغر استه من انتفخ سحره ويمر بعضهم من بني مخزوم فقال:

ومن جهل أبو جهل أخوكم ... غزا بدراً بمجمرة وتور

واستبعد السهيلي ـ في تعليقه على سيرة ابن هشام ـ أن يكون أبو جهل مستوهاً وأن قول عتبة مصغر إسته لا يلزم أنه عنى ذلك فإن مصغر إسته قد تطلع على الجبان أحياناً فقد قيلت لقابوس بن المنذر كناية عن الجبن لأنه كان لا ينزو وقالها قيس بن زهير لحذيفة يوم الهباءة ولم يكن أحد منهما مستوهاً كما أنهم لا يقصدون بمصغر إسته صغرة الإست فقط بل تصغير بدنه كله بالخلوق والزعفران إذا مال إلى النعيم والترف وخصوا بها الإست مبالغة في الذم.

(٤) ومن المناوئين لرسول الله(ص) في مكة الذين أصيبوا بداء الابنة ذكر الثعالبي في لطايف المعارف/ ٩٨:عقبة بن أبي معيط وهو الذي بصق في وجه رسول الله(ص) فأنزل الله فيه ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا..﴾.

و(٥) شيبة بن ربيعة بن عبد شمس وهو الذي اختلف في يوم بدر مع أبي عبيدة بن الحرث بن المطلب في القتال بضربتين قضى بها كل على صاحبه.

و(٦) الحكم بن أبي العاص أبو مروان الذي كان يتجسس على رسول الله في خلواته مع نسائه ويحاكي مشيته وحركاته أمام المشركين ليضحكوا عليه فطرده النبي وأسرته من المدينة.

و(٧) أخوه عفان بن أبي العاص أبو عثمان و(٨) عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب التيمي أبو طلحة ذكر الشيخ علي تقي في نهج الحجة/ ٣٩ عن هشام بن محمد بن السائب الكليني قال: إن عفان وعبد الله ممن كانوا تلعب بهم رجال قريش ويتخنثون مشهورين بذلك وعبيد الله تزوج صفية بنت الحضرمي وهي حبلى من أبي سفيان لأنها كانت من البغايا فولدت طلحة فخاصمه فيه أبو سفيان فجعلوا أمرهما إلى صفية فألحقته بعبيد الله لأنه أطلق يداً من أبي سفيان.

و(٨) صبار بن الأسود وهو الذي هز الرمح في وجه زينب بنت رسول الله عندما أخرجها زوجها أبو العاص بن الربيع ليلحقها بأبيها في المدينة وهي في المحمل على الجمل وكانت حبلى فأجهضت حملها ولما شكته لأبيها النبي(ص) أهدر دمه يوم الفتح فأسلم حقناً لدمه.

و(٩) هشام بن الوليد بن المغيرة و(١٠) النضر بن الحارث أحد الذين تآمروا في دار الندوة على اغتيال رسول الله(ص) المشار لهم في قوله تعالى ﴿وإذ يحكى بك الذين كفروا ليثبتوك أو يخرجوك أو يقتلوك..﴾ وقتل في بدر مع المشركين.

فمن ابتلي بالأبنة من مناوئ أهل البيت

١ ـ علي بن الجهم

وممن أصيب بداء الابنة من مناوئي أهل البيت(ع) وأعدائهم علي بن بدر بن سريح بن الجهم الجهني وقد عيّره بها البحتري في قوله:

إذا ما فصلت عليا قريش	فلا في العير أنت ولا النفير
وما البدر بن جهم حين يدعى	من الأقمار ثم ولا البدور
علام تسب مجتهداً علياً	بما لفقت من كذب وزور
أمالك في إستك الوجعاء شغل	يصدك عن هجا أهل القبور

وقد قال له أحد أصحابه إني لا ألومك على بغضك علي بن أبي طالب(ع) لأنه حكم بقتل الفاعل في اللواط والمفعول به وأنت أسفلهما.

٢ ـ أحمد بن زيدون الأندلسي

وممن رمى بداء الأبنة من مبغضي أهل البيت أحمد بن زيدون المخزومي الأندلسي الكاتب الشاعر المشهور فقد اتخذ له غلاماً اسمه علي بن حماد الكوفي يطفىء سعرته.

وكان ابن زيدون يتعشق ولادة بنت المستكفي بن المستظهر الأموي الخليفة المغربي وهي ظريفة شاعرة فكان يراسلها ويذكر شوقه إليها فمالت إليه وأحبته فكان كل منهما يبث شوقه وغرامه للآخر حتى بلغها ما هو عليه مع علي بن حماد فتركت مراسلته ومقتته وأعرضت عنه وعندما عذلها على إعراضها ذكرت له ما قال الناس فيه واشتهر به فغضب عليها وجعل يهجوها ويشتمها ولما قدمت لزيارته أعرض عنها فقالت في ذلك:

إن ابـن زيـدون عـلـى فـضـلـه ... يـلـهـج بـي شـتـمـاً ولا ذنـب لـي
يـنـظـرنـي شـزراً إذا جـئـتـه ... كـأنـمـا جـئـت لأحـضـى عـلـي

٣ ـ الحجاج بن يوسف الثقفي

وممن ابتلى بالابنة من مبغضي أهل البيت الحجاج بن يوسف الثقفي فذكر الشيخ عباس القمي في سفينة البحار أنه كان مأبوناً وإذا هاجت به أدخل في شرجه خنفسة قد أعدّها لذلك.

٤ ـ يوسف بن عمر الجمحي

ومنهم يوسف بن عمر الجمحي الذي قاتل زيد الشهيد بن علي ابن الحسين بالكوفة حتى قتله وصلبه عام ١٢٢هـ.

٥ ـ خالد بن عبد الله القسري

ومنهم خالد بن عبد الله القسري وهو الذي سرق أموال بيت المال في الكوفة ولما سئل عنها ادعى أنه سلّمها لزيد الشهيد ولما أحضر معه زيد عدل خالد عن رأيه وادعى أنه سلمها لرجل آخر وهو مشهور بالكذب والخيانة.

وكانت أمه نصرانية وقد بنى لها أيام ولايته على الكوفة صومعة بجانب مسجد الكوفة فإذا أذن المؤذن للصلوة قرع لها بالناقوس.

ممن ابتلي بالابنة من الأدباء

وممن ابتلي بالابنة من أهل الشعر والأدب.

١ ـ أبو العلاء المعري

قال في المحاضرات ٣/ وكان أبو العلاء مأبوناً قال أبو العيناء للمعتصم: دخلت على أبي العلاء وغلامه على ظهره فسألته فقال: إن الغلام يزعم أنه احتلم فأنا أمتحنه قال المعتصم: قاتله الله فما أقرأ يوماً سورة (الممتحنة) إلاّ ذكرته.

٢ ـ حفص النحوي

قال: وكان حفص النحوي يرمى بالأبنة قال يوماً وعنده حماد عجرد بلغني أن المخنثين لهم أرحام منكوسة فقال حماد أصح الحديث ما أخذ عن أهله.

٣ ـ تسنيم بن سلمان البصري

ومنهم تسنيم بن سلمان البصري ذكر في الأغاني ١٤٥/٣ أنه كان مأبوناً وكان مما هجاه به بشار بن برد قوله:

ما قام عضو حمار فامتلا شبقاً إلاّ تحرك عرق في إست تسنيم
تسنيم ما جاد بالوجعا لكل فتى أغناه رهزاً بتأخير وتقديم

٤ ـ مطيع بن أياس الكناني

قال في الأغاني ٣٠٢/١٣: كان مطيع بن أياس يرمى بالأبنة وقف على غلام اسمه أبو عمير من أصحاب العلى فشغف به وقال:

ألا أبلغ لديك أبا عمير أراني الله في إستك نصف أيري

فقال الغلام يا أبا سلمى لو جدت بالعضو كله لجدت به عليَّ لما تدعيه من المحبة لكنك لم تحب أن يكون كله إلاّ لك لحاجتك إليه كل حين.

وفي ص ٢٨١ قال النوفلي كان مطيع بن أياس مأبوناً فيما بلغني فقد دخل عليه قومه يوماً فرأوا عبداً أسود يفعل به فلاموه على فعله وقالوا: أنت في شرفك وكرمك وأدبك تفعل هذه الفاحشة فقال: جربوها أنتم ثم دعوها إن كنتم صادقين قالوا: قبّح الله فعلك وغدرك وما استقبلتنا به وانصرفوا.

وكان يتبادل اللواط مع رجل يسمى مالك بن سعدة ففي الأغاني ٣١١/٣: كان مطيع بن أياس يهجو مالك بن أبي سعدة وكان جميل الوجه حسن الجسم فقال:

نظرة ما نظرتها يوم أبصرت مالكاً في ثياب معصفرات على الوجه باركا
تركتني الوطء من كان لي قبل لائطاً نظرة ما نظرتها أوردتني المهالكا

٥ ـ أبو العتاهية

وممن رمى بداء الأبنة من أهل الأدب والشعر أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم الكوفي قال في الأغاني ١/٤ كان أبو العتاهية في أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين يقول أبو الشمشف رأيت أبا العتاهية يحمل زاملة المخنثين فقلت له: مثلك يضع نفسه هذا الموضع الدنيء مع سنك وشعرك وقدرك؟ قال أريد أن أتعلم كيادهم وأتحفظ كلامهم

٦ ـ الشاعر محمد بن عبد الله الأحوص

في الحياة الجنسية عند العرب/٤٠ أن الشاعر محمد بن عبد الله الأحوص كان مأبوناً وأنه سجن مرة فقال إذا أخذت جريري ـ أي أطلق سراحي ـ فما أبالي أي الثلاثة صرت ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً.

ويقال إنه نزل مرة على الوليد بن عبد الملك في قصره بدمشق فكان يراود الغلمان الخبازين في قصر الوليد على أنفسهم ويريدهم أن يفعلوا به لأنه كان مأبوناً فحلف على ذلك ونفى وقيل صب على رأسه الزيت.

وفي المذكرات ٦١/٧ قال: مر جرير بن عطية الخطفي على الأحوص وهو علي بغل وقد أدلى غرموله فقال الأحوص لجرير بغلك يا أبا حزرة على خمس قوائم فقال جرير والخامسة أحب إليك قال معاذ الله قال ألست القائل:

يقر بعيني ما يقر بعينها	وأحسن شيء ما به العين قرت

فالذي يقر بعينها أن تجلس على مثل ذراع البكر أفتراك تحب ذلك؟

٧ ـ إبراهيم بن محمد بن المدبر

قال في معجم الأدباء ٢٢٩/١: إن إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر ممن أصيب بالأبنة وكان مستوهاً وفيه يقول مخلد بن علي الشامي الحوراني:

على أبوابه من كل وجه	فصدت له أخو مرّ بن ود
أخو لخم أعارك منه ثوباً	هنيئاً بالقميص لك الأجد
أبوك أراد أمك حين زفت	فلم ينظر لأمك بنت سعد
وزبد في الرجال بغير دال	أحب إليك من عسل وزبد
رأيتك لا تحب الود إلاّ	إذا ما كان من عصب وجلد
أراني الله شعرك مثل باز	وعينك عين بشار بن برد

(شرح) قوله أخو مرّ بن ود يعني ضبة بن ود اللئيم قوله أخو لخم ابن عمير الكناني هو جذام ابن عمير يعني رماك الله بقميص من الجذام قوله فلم ينظر لأمك بنت سعد: يعني عذرة بنت سعد بن هزيم يعني لم تكن لأمه عذرة أي بكارة قوله: لا تحب الود أي أنك لا تحب من القضبان إلاّ القضيب المصنوع من عصب وجلد وهو العضو التناسلي وهو الذي عناه بأنه زبد بغير دال والبيت الأخير يعني به الشيب والعمى.

٨ ـ إسحاق بن سعد القطربلى

ومن يتهم بأنه مصاب بداء الأبنة إسحاق بن سعد القطربلى فقد ذكر ياقوت الحموي في

معجم الأدباء ١٨/٢: أن إبراهيم بن هشام الأصبهاني كان يهجو إسحاق بن سعد لما كان عاملاً على أصبهان وأساء معاملة إخوته هناك:

إبن الذين تقولوا أن لا يروا — ضدين مختلفين في ذا العالم
هذا ابن سعد قد أزال قياسكم — وأباد حجتكم بغير تخاصم
أبدالنا متحركاً في ساكن — منه وأظهر قائماً في نائم
وإذا تذكر أصلعاً هشم استه — يبكي يقول فديت أصلع هاشم
بالله ما اتخذ الإمامة مذهباً — إلاّ لكي يبكي لذكر القائم

٩ ـ لؤلؤ

ذكر في العقد المفصل أن أديباً يقال له لؤلؤ بن داود الجهيني مصاب بداء الأبنة فقال فيه بعضهم:

سمتك أمك لؤلؤاً فكأنها — علمت بأنك بعد حين تثقب
وسمعت تدعى بالجواد فلم أزل — متعجباً حتى رأيتك تركب

وقال:

إذا قيل في الدنيا جواد فقل نعم — جواد ركوب لا جواد عطاء

ممن أصيب بالأبنة لمساورة أهلها

ذكرنا أن أكثر ما تكون الإصابة بالأبنة نتيجة مساورة أهلها من المخنثين ويدل عليه ما سبق عن الوسايل ٢٤٩/١٤ عن الكليني بسنده عن عمر عن أبي جعفر عن النبي(ص) قال: من ألحّ في وطيء الرجال لم يمت حتى يدعو الرجال إلى نفسه.

فمن أصيب بداء الأبنة لكثرة ممارسة اللواط فطلب من الناس أن يفعلوا به مثل ما فعل بهم.

١ ـ أبو نواس

فمنهم الشاعر المشهور أبو نواس الحسن بن هاني الكوفي فقد اشتهر أنه كان من أكابر أهل اللواط ونسب إليه اللوطيون فيقال لأحدهم نواسي.

فأصيب من مغبة ذلك بداء الأبنة حتى دعا الغلمان السود ليفعلوا به مثل ما فعل بالغلمان وفيه تقول عنان شعراً:

عجباً من حلقي يدعى حب المحاشي — من أتى المجلس يدري من يلي وجه الفراش
لم يزل يفعل بالغلمان من غير تحاشي — وإذا الغلمان تهوي فوقه مثل الفَراش

٢ ـ القاضي يحيى بن أكتم

قال في المحاضرات ٣/ وكان القاضي يحيى بن أكتم مأبوناً وفيه يقول حماد عجرد:

له مراح في سراويله — يزرع فيه قصب السكر
فيثمر الحنظل في خلقه — وساء من زرع له مثمر

وذكروا أن أبا حكيمة راشد بن إسحاق دخل على يحيى بن أكتم فلما خلابه دعاه لأن يفعل به وأهدى له مالاً وكان أبو حكيمة مصاباً بالعنة فقال:

دعاني إلى ما يستحل ابن أكتم — وقد يستحل المرء غير حلال
ولو قام لم أسعفه فيما أراده — أحق بعضوي منه أم عيالي

خطورة الإصابة بالأبنة

تعتبر الأبنة أشد خطورة على صاحبها في الخسة والنذالة والاحتقار من كل أمراض الشرج كالبواسير والبثر والدورة البربوسية (Vercularis Enterobis) انتروبيس فرميكيولارس فكل هذه الأمراض تقضي بالانكشاف أمام الطبيب وليس فيها أي ذل أو عار مما تحمله الأبنة لصاحبها.

ففي الوسايل ٢٥٣/١٤ عن الكليني بسنده عن الصادق(ع) في المنكوح من الرجال قال: ليس يبلى الله بهذا البلاء أحداً وله فيه حاجة إن في أدبارهم أرحاماً منكوسة وحياء أدبارهم كحياء المرأة وعنه أن أمير المؤمنين(ع) قال: إن لله عباداً لهم في أصلابهم أرحاماً كأرحام النساء قيل فما بالهم لا يحملون ويلدون قال إن أرحامهم منكوسة ولهم في أدبارهم غدة كغدة البعير فإذا هاجت هاجوا وإذا سكنت سكنوا.

وربما قال قائل إذا كانت الأبنة مرضاً يصيب به الله من طغى من خلقه فكيف يحق له تعذيب المبتلى بها يوم القيامة. فإنه يكون مكرهاً على فعلها ومع الإكراه يسقط التكليف لقول النبي(ص) ـ في الصحيح ـ رفع عن أمتي تسعة أشياء منها ما لا يطيقون وما استكرهوا عليه... فالتعذيب عليها خلاف العدل.

والجواب أن الإصابة بالأبنة ليست قهرية كالإصابة بالحمى واليرقان فتكون خارجة عن التكليف والطاقة ويسقط الجزاء عليها وإنما المأبون هو الذي سعى في تحصيلها وانقاد إليها باستسلامه للشطار يعملون به الفحشاء فهي كالإصابة بالسرطان عن طريق التدخين والإصابة بالسكتة القلبية عن طريق المخدرات كما في الحديث السابق عن أمير المؤمنين(ع) قال: من أمكن من نفسه طائعاً حتى يُنكح ألقى عليه شهوة النساء.

وأكثر من يدعو الناس إلى نفسه عن شوق واختيار لكونه اعتاد عليه وأنس به ففي الوسايل ٢٥٤/١٤ عن الكليني بسنده عن زكريا بن محمد عن أبيه عن عمرو قال: سمعت أبا جعفر(ع) يقول: أقسم الله على نفسه أن لا يقعد على نمارق الجنة من يؤتى في دبره فقلت له:

إن فلاناً عاقل لبيب وقد ابتلاه الله بهذا البلاء يدعو الناس إلى نفسه قال: أيفعل به ذلك في مسجد الجامع؟! قلت: لا، قال: أيفعل به على باب داره؟! قلت: لا، قال: أين يفعله؟ قلت إذا خلا الناس قال: هذا متلذذ لا يقعد على نمارق الجنة ا.هـ. أي لو كان مكرهاً عليه لفعله حتى في الطريق وعلى باب داره كما يحدث الحاقن والحاقب وحيث كان له صبر على اجتنابه مدة من الوقت فهو دليل على أنه ليس مكرهاً عليه.

وفي ص ٢٥٥ عن الكليني بسنده عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله(ع) هؤلاء المخنثون مبتلون بهذا البلاء أفيكون المؤمن مبتلى؟ والناس يزعمون أنه لا يبتلى بهذا أحد ليس فيه حاجة قال: نعم، قد يكون غير مبتلى به فلا تكلموهم بهذا فإنهم يجدون بذلك راحة ـ أي حجة على فعلهم ـ قلت فإنهم لا يصبرون عن اتيانه قال: بلى هم يصبرون على الترك ولكنهم يطلبون بذلك اللذة.

إمكان الأبنة والشفاء منها

فلو أن المبتلى بالأبنة اعتبرها مرضاً وإثماً لسعى في علاجها والخلاص منها فإن احتمال اللذة منها بالمساورة كاحتمال الألم بالبواسير فيما يناله من عذاب الآخرة (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى).

فإن كانت الأبنة مرضاً كما يزعمون فليست من الأمراض المستعصية التي لا علاج لها بل هي أسهل مرض في العلاج وأقربه للشفاء.

قال الشيخ جعفر النقدي، في منى الرحمن ٢٧٧/١ قال أبقراط: إن أصل داء الأبنة هو اشتداد حدة الشبق وغلبة الشهوة فمن اشتد شبقه غير صابر عن الجماع انعكست شهوته فلا يصبر عن الانتقاع، وقال أيضاً: إن صاحب الشبق الشديد يوشك أن تكثر مؤنته وتقل حركته ويضعف قلبه فينعكس به داؤه حتى لا يصبر عن مجامع يجامعه.

فأما الشبق الشديد فيعالج بالأغذية الباردة كالخضار والنبات لا سيما البطيخ الأحمر ـ الرقي ـ والكزبرة والخل واللبن المخيض والحامض والقديد والأجبان والسمك المجفف وترك الأطعمة الحارة كالحبوب الفستق والبندق واللحوم والهريسة والحلويات والمرطبات والمكسرات ومداومة الجوع والصوم والغسل بالماء البارد.

وفي الرسالة الشهابية قال: يأتي مرض الأبنة من اعتياد اللواط وإتيان النساء في محاشهن ـ أدبارهن ـ فيكون منه كثيراً قليل الحركة وقلبه ضعيفاً وانتشاره قليلاً وعلاجه بأن يستفرغ البلغم بمثل الغاريقون وشحم الحنظل كما يكفي لقتل الجراثيم أن يشبع خرقة بالصبر والمر والحلتيت فيلفها على عود أراك ويولجها في الشرج ويحتك بها قليلاً ثم يصبر عليها كما ينفع ذلك أيضاً

في شفاء تشقق حلقة الدبر والبثور والقروح التي تحدث أحياناً ولهذه العلل إساءة مختصة بالعلاج منها.

وفي الوسايل ١٤/٢٦٠ عن الكليني بسنده عن عمر بن يزيد قال: كنت عند أبي عبد الله(ع) وعنده رجل يقول إني رجل أحب الصبيان أحملهم على ظهري لا صبر لي على ذلك فما أصنع؟ فوضع الإمام يده على جبهته وأعرض عنه فبكى الرجل فرقَّ له الإمام وقال: إذا أتيت بلدك فاشتر جزوراً سميناً واعقله عقالاً شديداً واضربه بالسيف على سنامه ضربة تقشر عنه الجلد واجلس عليه في حرارته فسوف ينزل من دبرك ما كنت تشكوه وتستريح منه ـ وفي المستدرك ـ وهو علاج الأبنة لكل من ابتلى بها.

قال عمر بن يزيد ثم لقيت الرجل وسألته عن أذاه قال: إني فعلت ما أمرني الإمام فسقط مني على ظهر البعير جراثيم شبه الورغ الصغار وسكن ما كنت أشكوه.

التجني على الفطرة

فأهل الأبنة غير مكرهين على اتيان الفاحشة بها بل قد أحبوها واستباحوها بحجة أن لا مفر لهم منها بدليل أنهم لا يستجيبون للعلاج منها وأنهم يهيئون أنفسهم للاستمرار عليها وجنى اللذة الجنسية وكسب المعاش منها.

بما يزينون به صورهم ويحسنون خلقهم بتحويله من الرجولة إلى الأنوثة من جهات كلها جرائم وآثام منها: (١) الخصاء أو الجب وكلاهما جريمتان لأن بهما يمتنع نبات الشعر في العارضين فتفقد اللحية والشارب فيكون صاحبه في عداد المردان ويترخم الصوت ويلين النطق حتى يحسب الناطق من الفتيات فهو تغيير لخلق الله الذي عهد به الشيطان لغواية بني آدم قال تعالى: ﴿وإن يدعون إلاّ شيطاناً مريداً. لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً. ولأضلنهم ولأمنّيّنهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعم ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً﴾ النساء/ ١١٩ فإن المستفاذ منها بحسب السياق أن كل ما يأمر به الشيطان هو من القبايح المحرمة وبذلك يحرم كل ما فيه تغيير لخلق الله من الإخصاء وحلق اللحية وقطع الأذان وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال. قد ذكرنا في حديث تحريم الرهبانية في الإسلام أن قوماً من الصحابة أحبوا أن يختصوا ليعتزلوا النساء مدى الحياة رغبة فيما عند الله فنهاهم رسول الله(ص) وقال: إن خصاء أمتي الصوم إلا ومن اختصى أوجب ذكره ضرب يوم القيامة بمقامع من نار عدد ما قطع من نسله المقدر له في علم الله ولعنه الله بعد ذلك.

ومنها (٢) إطالة شعر الرأس و(٣) وخضاب الكفين و(٤) وحلق اللحية والشارب و(٥)

ولبس الحرير والأسورة وكلها أمور محرمة على الرجال بإجماع المسلمين ودلّت النصوص الصحاح على تحريمها وبهذه الأعمال يصبح المأبون امرأة بغياً.

وقد لعنهم رسول الله وأهل البيت وطردوهم عن المساجد وأمروا الناس بطردهم من البيوت كما ذكرناه قريباً تحت عنوان (خسة الأبنة وحقارتها) عن الوسايل ٢٥٥/١٤ عن الصدوق في العلل بسنده عن زيد بن علي عن آبائه أن أمير المؤمنين(ع) رأى بالمسجد رجلاً به تأنيث فطرده وقال اخرج من مسجد رسول الله يا من لعنه الله ثم قال: أيها الناس اخرجوهم من بيوتكم فإنهم أقذر شيء في العالم إني سمعت رسول الله يقول: لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمشبهات من النساء بالرجال وفي ص ٢٥٦ عن الصدوق بإسناده عن علي(ع) قال: كنت مع رسول الله(ص) يوماً في المسجدإذ أتاه رجل به تأنيث فسلم عليه فأكب النبي على الأرض يسترجع (يقول إنّا لله وإنّا إليه راجعون) وقال: أيكون مثل هذا فيكم!! إنه لا يكون مثل هؤلاء في أمة إلاّ عذّبت قبل الساعة.

وذكرت في كواكب الإشراق ٢٧١/١ عن الدر المنثور ٢٢/٢ عن الطبراني... وكتاب الأثني عشرية في المواعظ العددية ص ١٠٥ ـ عن ابن إمامة عن النبي(ص) قال أربعة لعنوا في الدنيا والآخرة لعنهم الله فوق عرشه فأمنت عليه ملائكته رجل جعله الله ذكراً فأنّث نفسه وتشبّه بالنساء وامرأة جعلها الله أنثى فتذكّرت وتشبّهت بالرجال والذي يحصر نفسه فلا يتزوج ولا يتسرى لأن لا يولد والذي يضل الأعمى.

٥

حكم المخاصي في الإسلام

فإن قيل كيف يأمر النبي وأمير المؤمنين (ع) بطرد هؤلاء المخنَّثين من المساجد والبيوت ولا يحب لقاءهم ويلعنهم ويقول: من رأيتموه يعمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وهو يرى المخنَّثين أمامه في المدينة ومكة ولا يأمر بقتلهم أو نفيهم.

الجواب إن هؤلاءِ المخنثين لم يحترفوا التخنيث والتأنيث في عهد الإسلام وإنما كانوا عليه من أيام الجاهلية وبعضهم قد اختصوا أو خصتهم آباؤهم أو مواليهم لأغراض مشروعة كالأمن منهم على النساء والبنات لو دخلوا عليهن للخدمة أو مرافقة في السفر ومعظمهم من العبيد والموالي وربما تابوا عن الأعمال الشاذة لما دخلوا في الإسلام وبقيت عليهم شعاير التأنيث ظاهرة لا يمكن تغييرها وقد عرفهم الناس بها ولذلك استثناهم الله في الدخول على النساء بغير حجاب وأحلَّ النساء عدم التستر عنهم قال تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلاّ لبعولتهن أو آباءهن أو أماء بعولتهن... أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال﴾ النور/٣١ فهم من غير أولى الاربة من الرجال لأنهم شهوة لهم نحو النساء بسبب الخصاء.

ولكنهم بعد حين جعلوا يصفون النساء للرجال الأجانب بما فيه الإغراء والغواية والحض على الأعمال المحرمة فمنعهم النبي(ص) حينئذٍ من الدخول على النساء.

منع دخول المخاصي على النساء

ويختلف الخصاء بمن يقع عليه فقد يخصى الحيوان فتبطل شهوته وتفسد غريزته وقد يخصى أحياناً فلا ينتعظ عضوه كالعنين ولكن لا تبطل شهوته فهو إذا رأى العمل الجنسي أمامه هش إليه وانشرح به صدره ومن هنا اختلفت نصوص أهل البيت في دخول المخاصي على النساء فبعضها تبيحه وتجوزه ففي الوسايل ١٦٧/١٤ عن الكليني والشيخ الطوسي بسندهما

إلى محمد بن إسماعيل بن بزيع قال: سألت أبا الحسن الرضا عن قناع الحرائر من الخصيان قال: كانوا يدخلون على بنات أبي الحسن(ع) ولا يتقنعن عنهم قلت فكانوا ـ يعني الخصيان ـ أحراراً؟ قال: لا، قلت: فالخصيان الأحرار يتقنعن عنهم؟ قال: لا، وعن ابن الجنيد في كتابه الأحمدي عن ابي عبد الله وأبي الحسن موسى(ع) كراهة رؤية الخصيان الحرة من النساء حراً كان الخصي أو مملوكاً ا.هـ. ويؤيد هذا الرأي أنهم من غير أولي الإربة من الرجال الذين أجاز الله سفور النساء لهم.

والبعض الآخر من النصوص تمنعه وتحرمه كما في الوسايل ١٤(١٦٦ عن الكليني بسنده عن عبد الملك بن عتبة النخعي قال: سألت أبا عبد الله(ع) عن أم الولد هل يصلح أن ينظر إليها خصي مولاها وهي تغتسل؟ قال: لا يحل ذلك وعن علي بن إبراهيم بسنده عن محمد بن إسحاق قال: سألت أبا الحسن موسى(ع) قلت: يكون للرجل الخصي يدخل على نسائه فيناولهن الوضوء فيرى شعورهن؟ قال: لا وعن الشيخ الطوسي في الأمالي بسنده عن علي ابن علي أخي دعيل عن الرضا عن آبائه عن الحسين(ع) قال: أدخل على أختي سكينة بنت علي خادم فغطت رأسها منه فقيل لها إنه خصي فقالت هو رجل منع من شهوته.

وفي كتابي (مناظر الحسن المخول) ص ١٨ ـ مخطوط ـ عن الطبري في الدلائل والمسعودي في إثبات الوصية ـ في حديث طويل في إمامة أبي جعفر محمد الجواد(ع) عن ابي خداش المهري أن رجلاً سأل أبا الحسن الرضا(ع) هل للخصي أن يدخل على النساء فأعرض بوجهه فسألت عنها أبا جعفر(ع) فحول وجهه ثم استدناني فقال: وهل نقص منه ـ أي من الخصي ـ إلاّ الختان الواقعة عليه.

ويظهر من خلال النصوص أن هؤلاء المؤنّثين إنما منعوا عن الدخول على النساء لما وقع لبعضهم من وصف جمال الرجال للنساء ووصف جمال النساء للرجال كما ذكر في الوسايل ١٤٨/١٤ عن الكليني في الفروع بسنده عن عبد الله بن ميمون القداح عن أبي عبدالله عن أبيه(ع) عن مجمع الأمثال للميداني.

قالوا: دخل الإسلام ورسول الله(ص) المدينة وفيها جماعة من المؤمنين أمثال (١) طويس بن جنادة العبسي و(٢) هيت و(٣) هرم و(٤) مانع و(٥) دلال و(٦) سمير الأتلبي و(٧) نسيم السحر و(٨) نومة الضحى و(٩) برد الفؤاد و(١٠) ظل الشجر وكانوا لا يحجبون عن النساء لكونهم المعنيين بقوله تعالى: ﴿أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال﴾ فكان هيت ـ وهو أحدهم ـ يدخل على نساء النبي وأزواجه متى أراد.

فدخل يوماً مع زميله مانع دار أم المؤمنين أم سلمة وعندها أخوها عبد الله بن أبي أمية المخزومي ورسول الله(ص) في المخدع ـ فسلم على عبد الله وجلس يتحدث إليه فقال: إذا فتح

الله عليكم الطائف فسل أن تنقل بادية بنت غيلان بن سلمة بن حقب الثقفية فإنها مبتلة شموع نجلاء هيفاء شنباء تناصف وجهها في القسامة وتجزأ معتدلاً في الوسامة إن قامت تثنت وإن تكلمت تغنت أعلاها قضيب وأسفلها كثيب إذا قبلت أقبلت بأربع وإن أدبرت أدبرت بثمان مع ثغرها كالاقحوان وشيء بين فخذيها كالقصب المكفأ كما قال قيس بن الحطيم:

تـفـتـرف الـطـرق وهـي لاهـبـة كـإنمـا شـف وجـهـهـا نـزف
بـين شـكـول الـنـسـاء خـلـقـتـهـا قـصـد فـلا حـبـلـة ولا قـضـف

فسمع رسول الله (ص) حديثه فقال: مالك سباك الله كنت أحسبك من غير أولى الإربة من الرجال لذا كنت لا أحجبك عن نسائي أما اليوم فإني لا أبيحكما أن تدخلا على أجنبية إلاّ وهي متخمرة ومتحجبة ثم أمر بهما رسول الله فغربا إلى مكان بعيد عن المدينة يقال له العرايا وقيل اسمه (فاخ) وبقيا هناك إلى أيام عثمان يأتيان المدينة كل جمعة يتسوقان.

وسمع بعض الصحابة ما فعل النبي بهيت ومانع فقال: أتأذن لي أن أتبعهما فأقتلهما قال: لا إنّا قد أمرنا أن لا نقتل المصلين فلما سمع هيت بذلك قال: هذا من المنادرين أي من محرفي الخبر.

رأي الخلفاء في الخاصي

وذكر في الامتاع والمؤانسة ص ٢٠١ كان عبد الملك بن مروان إذا كان له خصي وفتى أمر أن يحجب عن نسائه وقال هو رجل وإن قطع منه ما قطع ربما اجتزأت المرأة بمثلها وللعين حظها. وكان لهشام بن عبد الملك خصي يقال له خالد وكان فخماً أبيض مديد القامة وفيئاً تأخذه العين فدخل يوماً سلمة بن عبد الملك على أخيه هشام فمر خالد الخصي بهما معتماً بعمامة وشى فقال سلمة يا أمير من هذا؟ قال: هذا خالد الخصي قال: أتجيزه يدخل على نسائك وبناتك؟ قال: ولِمَ لا؟ قال: والله يا أمير لضمة من هذا الخصي خير من مجامعة عشرين رجلاً فتضور هشام مما سمع ولما خرج سلمة أمر بخالد فأخرج من الرصافة.

الحكم على الخاصي بالجب والإبعاد

قال الميداني في مجمع الأمثال: وكثر المخاصي والمخنثون في المدينة حتى أفسدوا النساء على الرجال وانتشروا في الآفاق وفي أيام سليمان بن عبد الملك اتصلوا بالعائلة المالكة.

فزعم بعضهم أن سليمان بن عبد الملك كان مفرط الغيرة وأن جارية له حضرته ذات ليلة قمراء وعليها حلى ومعصفرات فسمع في الليل سميراً الآبلي يغني بهذه الأبيات:

وغـادة سـمـعـت صـوتـي فـأرقـهـا مـن آخـر الـلـيـل لما مـلّـهـا الـسـهـر
تـدنـي عـلـى فـخـذيـهـا مـن مـعـصـفـرة والحلـي دان عـلـى لـبـاتـهـا حـضـر

لم يحجب الصوت أجراس ولا غلق | فدمعها بأعالي الخد ينحدر
في ليلة البدر ما يدري معاينها | أوجهها عنده أبهى أم القمر
لو خليت لمشت نحوي على قدم | تكاد من رقة بالمشي تنفطر

فاستوعب سليمان الشعر ولم يشك أنه قيل في جاريته فبعث إلى سمير فأحضره ودعا بحجام ليخصيه ـ أي يقطع عضوه ـ فدخل عليه عبد العزيز فكلمه في أمره فقال له: اسكت أما علمت أن الفرس يصهل فتستودق الحجر له وأن الفحل يهدر فتضبع له الناقة والتيس ينب فتستحرم له العنز والرجل يغنيى فتشبق له المرأة.

ثم خصاه ـ أي جب ذكره ـ ودعا بكاتبه وأمره أن يكتب من ساعته إلى المدينة يأمر عامله عبد الله بن حزم: (أن أحصِ المخنثين المفنين وأبعدهم عن المدينة أن لا يفسدوا النساء على أزواجهن) فتشظى قلم الكاتب فوقعت نقطة على الحاء المهملة في كلمة (أحص) فحولتها (أخص) فلما ورد الكتاب إلى ابن حزم أحضر كاتبه فقرأه أخص المخنثين قال ابن حزم: لعله أحص المخنثين قال: إن على الحاء نقطة كذروة جبل.

فأمر ابن حزم بإحضارهم وإخصاءهم ـ أي قطع مذاكيرهم ـ فألقى كل واحد منهم كلمة بالمناسبة ذهبت مثلاً قال طويس: ما هذا إلاّ ختان قال: دلال: إنه الختان الأكبر قال نسيم: الآن صرت أنثى حقاً قال نومة الضحى: صرنا نساء حقاً قال: برد الفؤاد استرحنا من حمل ميزاب البول قال: ظل الشجر ما أصنع بسلاح لا يستعمل قال هيت: يثاب المرء على رغم أنفه قال هرم: جلدها باير ابن الغز قال نافع: رب ساع لقاعد فمضت كلها أمثالاً وذكرناها في مسارح الهواة/ ٧٤ في ضرر سماع المرأة الغناء عن العقد الفريد بصورة أخرى ودولة النساء/ ٢٦٠.

٦

اللواط في الإسلام

وقد ظهر مما أوردناه في هذه الفرحات شدة تنديد نبي الإسلام وأهل بيته باللواط ولعنهم وطردهم وعقوباتهم التي سنذكرها لمن يفعل أو يُفعل به ويمارسه ويهدف إليه ويدل عليه فمن طريقنا ذكر الحر العاملي في الوسايل ٢٤٨/١٤ عن الكليني بسنده عن أبي بكر الحضري عن أبي عبد الله عن رسول الله(ص) قال: من جامع غلاماً فأوقبه جاء يوم القيامة جنباً لا ينقبه ماء الدنيا وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له جهنم وساءت مصيراً وقال(ص): إن الذكر يركب الذكر فيهتز العرش وفي ص ٢٥٨ عن الصدوق في معاني الأخبار بسنده عن جابر عن عبد الله قال: نهى رسول الله(ص) عن المكاعمة وهي أن يلثم الرجل الرجل ـ أي في خده ووجهه أما في جبهته موضع السجود أو على غرته أو على عانقه أو عنقه أثناء معانقته فلا بأس بها ـ ونهى عن المكامعة وهي أن يضاجع الرجل الرجل ليس بينهما ثوب من غير ضرورة وفي ص ٢٥٩ عن مكارم الأخلاق عن النبي(ص) قال: لا يباشر الرجل الرجل إلاّ وبينهما ثوب ولا تباشر المرأة المرأة إلاّ وبينهما ثوب.

وقد ألّف الشيخ علي محمد دخيل كتاباً في حرمة اللواط سماه (الشذوذ الجنسي) نقل فيه مجموعة من النصوص عن القرآن والسنّة في تحريمه ففي ص ٣٩ عن الكباير للذهبي عن ابن ماجه والترمذي والحاكم عن النبي(ص) قال: إن أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط لعن الله من عمِلَ عمل قوم لوط قالها ثلاثاً وعن الطبري والبيهقي عن النبي(ص) قال: أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخطه قيل من هم يا رسول الله؟ قال: المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال والذي يأتي البهيمة والذي يأتي الذكر وهو اللواط وقال(ص): سبعة يلعنهم الله ولا ينظر إليهم ويقول: ادخلوا النار مع الداخلين الفاعل والمفعول به والراكبة والمركوبة وناكح البهيمة وناكح الأم وبنتها وناكح يده إلاّ أن يتوبوا وفي

الوسايل ٢٤٩/١٤ عن الكليني بسنده عن يونس عن أبي عبدالله(ع) قال: حرمة الدبر أعظم من حرمة الفرج وأن الله أهلك أمة لحرمة الدبر ولم يهلك أمة لحرمة الفرج وفي ص ٢٥٧ عن علي بن إبراهيم بسنده عن السكوني عن أبي عبد الله عن أمير المؤمنين(ع) قال: اللواط ما دون الدبر وأما الدبر ـ يعني الايقاب في الدبر ـ فهو الكفر بالله ـ ورواه البرقي والصدوق وعن الشيخ الطوسي بسنده عن حذيفة بن منصور قال: سألت أبا عبد الله(ع) عن اللواط، فقال: هو ما بين الفخذين وأما الايقاب فهو الكفر بما أنزل الله على نبيه محمد وفي الشذوذ ص ٤٤ عن فروع الكافي والوسايل عن أمير المؤمنين(ع) قال: اللواط ذنب لم يعص الله به إلاّ أمة من الأمة فصنع ما ذكره في كتابه من رجمهم بالأحجار.

إلى غير ذلك من النصوص التي امتلأت بها كتب الحديث من جميع المسلمين وسنذكر مجموعة أخرى منها في ما وعد به أهل اللواط من العذاب في الدنيا وعند الموت وفي البرزخ وفي الآخرة.

استباحة اللواط عند أهل النفاق

ومع هذا التحريم الصريح للواط في الكتاب والسنّة فإن هناك جماعة يستبيحونه ويتعسفون المهالك لاستباحته ويخادعون أنفسهم في استحلاله على الرغم من إنكار النبي وأهل البيت(ع) ورجال الدين من جميع المسلمين لهذه الفاحشة الفظيعة وتحريمها والمعاقبة عليها.

فذكر الذهبي في كتابه الكباير والشيخ أحمد الهيثمي في كتابه الزواجر أن هناك جماعة ممن عدّوا أنفسهم من فقهاء المسلمين يستبيحون اللواط ويشترون العبيد البيض والسودان لهذا العمل ويبالغون في شراء من يكون أكثر ملاحة وجمالاً كأبي عبيدة بن المثنى اللغوي المشهور وله قال بعضهم:

صلى الله على لوط وشيعته … أبا عبيدة قل بالله آمينا

والقاضي يحيى بن أكتم وفيه يقول المأمون العباسي:

متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها … وقاضي قضاة المسلمين يلوط

وعبد الصمد بن المعذل مؤدب أكثر خلفاء بني أمية وأبناءهم وفيه يقول الشاعر:

أبنو أمية يهتدون وشيخهم … أوعاهم قبل الهدى بالماء

فابن المعذل لم يؤدب وغدهم … إلاّ بغرس اللام وسط الطاء

ما خطّ حرفاً كفهم إلاّ بما … القلم ارتوى من حبره الصفراء

ولو أنهم اقترفوا هذا الاثم واعترفوا بالإجرام وتابوا لأمكن احتمال أن يتوب الله عليهم ولكنهم انهمكوا فيه مدى الحياة وموهوا على الناس بحليته بأنه من الطيبات التي زيّنها الله

لعباده في قوله ﴿في الناس حب الشهوات من النساء والبنين...﴾ وقوله ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ ووعد بها أهل الإيمان في الجنة بقوله ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا﴾ وكله تمويه وتضليل وتحريف للكلم من مواضعه فالبنون في قوله ﴿من النساء والبنين﴾ يعني بهم الأبناء في الأولاد والذرية لا البنون الأخدان التي تتخذها الشطار والشاذون والزينة في قوله ﴿قل من حرّم زينة الله﴾ في الثياب والحلية والملابس وليس اتخاذ المردان من الزينة والولدان في الجنة وعدم بهم لتخدم أهل الإيمان لا ليساورهم مساورة الحور العين.

وفي الوسايل ٢٥٢/١٤ عن ابن شعبة في تحف العقول أن يحيى بن أكتم احتج على الإمام أبي الحسن الهادي(ع) على حلية اتيان الغلمان بقوله تعالى: ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾ بأن الله صرّح فيها بأنه يزوج عباده بما يشاؤون من ذكران وإناث فقال الإمام(ع) كيف يبيح الله لعباده أن يتزوجوا الذكران وقد أهلك عليه أمة من العصاة خسفاً بالأرض ورجماً بالأحجار!! وإنما يعني بذلك أن الله (يهب) في النسل والذرية ﴿لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم﴾ يعني أنه يجعل لمن يشاء من عباده النسل مكوناً من زوجين ذكوراً وإناثاً ﴿ ..ويجعل من يشاء عقيما﴾ فيقال لكل اثنين مقرونين زوجين وكل واحد منهما زوج كما قال تعالى: ﴿قلنا إحمل فيها من كل زوجين اثنين﴾ أي إحمل من كل الأشياء النبات والحيوان والإنسان زوجين ذكراً وانثى.... ومعاذ الله أن يعني الجليل ما لبست به على الناس لإرضاء نفسك تتحيل الرخص والإباحة لارتكاب المآثم وقد قال الله: ﴿ومن يفعل ذلك يلق آثاماً. يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا﴾.

٧

استباحة الولع بالغلمان

فقد ذكر المؤرخون أن هناك كثيراً من الفقهاء والقضاة من يستبيح الولع بالغلمان والخلو بهم ولعل أول من فتح لهم هذا الباب وبنى لهم جسر العبور.

١ ـ القاضي يحيى بن أكتم

وقد ذكرنا آنفاً احتجاجه على جواز وطيء الغلمان ورد الإمام علي بن محمد الهادي وإبطال دعواه فقد اشتهر بين المؤرخين ما كان يقوم به من الأعمال الشاذة بين حين وآخر.

فذكر التستري في قضاء أمير المؤمنين (ع)/ ٤٩ قال: كان القاضي يحيى بن أكتم مشتهراً بعمل اللواط حتى إنه اتخذ أربعمائة أمرد يراوح بينهم في المبيت والمضاجعة ويرى ذلك حلالاً ويتأول في ذلك قوله تعالي: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ وقوله تعالى: ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثا﴾ وقال فيه ابن أبي نعيم:

أين الهدى والقضا غدا بيدي ... قاض على الفسق شارب الكاس
قاض يرى الحد في النكاح ولا ... يرى على من يلوط من باس

ويعني بالنكاح هنا النكاح بالعقد المنقطع وهو المتعة فقد همَّ المأمون العباسي في أيامه بأن يعلن للناس بإباحته وجوازه فمنعه يحيى وقال كيف تجيز ما اعتبره علماء الأمة زنا وأقاموا الحد على من عمل به.

وفي العقد المفصل ٢٣٥/١: أن يحيى بن أكتم كان شديد الحسد للعلماء فإذا قدم عليه واحد منهم لم يزل يناظره حتى يظهر عليه فيخجله فإن كان فقيهاً ناظره في النحو وإن كان نحوياً ناظره في الحديث أو كان محدثاً ناظره في الكلام أو متكلماً ناظره في اللغة، فأتاه مرة عالِم من خراسان ذكي حافظ فناظره فرآه في العلم ذا فنون فقال له: نظرت في الحديث؟ قال:

نعم قال: تحفظ من الأصول؟ قال: نعم أحفظ عن شريك عن ابن اسحاق عن الحارث أن علياً كان يأمر برجم اللوطي فأمسك يحيى عن المناظرة وعلم بأنه قد وقف على ولعه بالغلمان.
ودخل عليه مرة ابنا مسعدة وكانا في نهاية الجمال فلما رآهما أنشد:

يا زائرينا من الخيام حيّاكما الله ... بالسلام لم تأتياني وبي نهوض
إلى حلال ولا حرام يحزنني إن ... وقفتما بي وليس عندي سوى الغرام

ثم أجلسهما بين يديه وجعل يمازحهما حتى انصرفا ويقال إن ذلك سبب عزله عن القضاء.

ودخل عليه مرة الحسن بن وهب وهو صبي جميل فجعل يلاعبه حتى جمشه فغضب الحسن فقال يحيى:

أيا قمراً أجمشته فتوثبا ... وأصبح لي من تيهه متجنبا
إذا كنت للتجميش والعض كارهاً ... فكن أيراً يا سيدي متقبا
ولا تظهر الأصداغ للناس فتنة ... وتجعل منها فوق خديك عقربا
فتقتل مشتاقاً وتفتن ناسكاً ... وتترك قاضي المسلمين معذبا

وكان زيدان الكاتب على مسحة من الجمال فكتب مرة بين يدي يحيى فقرص خده فخجل الغلام وطرح القلم من يده فقال يحيى خذ القلم واكتب ما أملي عليك وانشد أيا قمراً أجمشته فتوثبا.

وسمع المأمون قصيدة أحمد ابن أبي نعيم التي أولها:

انطقني الدهر بعد إخراسي ... لنائبات أطلن وسواسي
يا بؤس للدهر لا يزال كما ... يرفع ناساً يحط من ناسي
لا أفلحت أمة وحق لها ... بطول نكس وعسر انفاس
ترضى بيحيى يكون سائسها ... وليس يحيى لها بسواس
قاض يرى الحد في النكاح ولا ... يرى على من يلوط من باس
يحكم للأمرد الغرير على ... مثل جرير وكابن عباس
أميرنا يرتشي وحاكمنا ... يلوط والرأس شر ما راس

وكثرت عليه شكوى الناس من ولع يحيى بالغلمان أراد امتحانه فدعاه مرة للضيافة ثم أمر له بفراش في حجرة ليس فيها غيره وأدخل عليه مملوكاً خزرجياً جميلاً وقد بيت عند المملوك أن يتغنج إليه ويجيبه لما يطلب منه فلما دخل عليه جذبه إليه فوقع الغلام على الفراش ووثب يحيى على ظهره وهو يقول: (لولا أنتم لكنا مؤمنين) إذ دخل عليهما المأمون فبصق في وجه يحيى وحذفه نعله وطرده وعزله عن القضاء وأنشد:

وكنا نرجي أن نرى العدل ظاهراً ... فأعقبنا بعد الرجاء قنوط

متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها وقاضي قضاة المسلمين يلوط

وقد صح الحديث الذي ذكرناه أول البحث أن من ألحَّ في وطيء الرجال لم يمت حتى يدعو الرجال إلى نفسه فهناك جماعة كثيرة ممن ولعوا بإتيان الغلمان فلم يخرجوا من الدنيا حتى دعوا الرجال إلى أنفسهم ومنهم القاضي يحيى بن أكثم فقد ذكر الراغب الأصبهاني في المحاضرات أنه كان مأبوناً وفيه يقول حماد عجرد ـ فيما ذكرناه قريباً ـ

له مراح في سراويله يرزع فيه قصب السكر
فيثمر الحنظل في خلقه فساء من زرع له مثمر

كما ذكروا أنه دعا يوماً أبا حكيمة ليفعل به وكان أبو حكيمة مصاباً بالعنة فاعتذر إليه وقال:

دعاني إلى مايستحل ابن أكثم وقد يستحل المرء غير حلال
ولو قام لم أسعفه فيما أراده أحق بأيري منه أم عيالي

٢ ـ شمس الدين ابن خلكان

وقد اقتدى به جماعة كثيرة من المتطرفين والعلماء المتصوفين ففي ثمرات الأوراق ٢٨/١ أن منهم (١) قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان أنه كان يهوى أحد أولاد الملوك في زمانه وله فيه الأشعار الرائقة يقال إن أول يوم زاره بسط له الطرحة وقال: ما عندي أعزّ من هذه أطرحها لك لتطأ عليها، ولما فشا أمرهما وعلم أهل الغلام بما يعمل به القاضي منعوه من الركوب إليه فكتب إليهم يذكر هيامه بالغلام وشغفه بحبه:

يا سادتي إني قنعت وحقكم في حبكم منكم بأيسر مطلب
إن لم تجودوا بالوصال تعطفاً ورأيتم هجري وفرط تجنبي
لا تمنعوا عيني القريحة أن ترى يوم الخميس جمالكم في الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبي ما الذي ألقاه من كمد إذا لم تركب
لرحمتني ورثيت لي من حالة لولاك لم يك حملها من مذهبي
قسماً بوجهك وهو بدر طالع وبليل طرتك التي كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من أخطارها في الحب أصعب مركب
لو لم أكن في رتبة أرعى لها العهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت ستري في هواك ولذّ لي خلع العذار ولج فيك مؤنبي
لكن خشيت بأن تقول عواذلي قد جنَّ هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك قرحة قد قاربت كشف القناع بحق ذياك النبي

قال الشيخ جمال الدين بن عبد القادر التبريزي: إن الذي يهواه القاضي شمس الدين بن خلكان هو الملك المسعود بن الملك الظاهر أيام صباه وكان قد تيّمه حبه.

وكنت أنام معه بالعادلية فتحدثنا في بعض الليالي إلى أن ذهب الناس فقال لي: نم أنت ههنا والقي عليَّ فروة وقام يدور حول بركة العادلية ويقول:

أنـــا والـلــه هــالــك　　آيـــس مـــن سـلامـتـي
أو أرى الــقــامــة الـتـي　　قـــد أقـامـت قـيـامـتـي

قال ابن حجة وسئل أحد أهل دمشق عن سيرته بينهم ـ وهو من خواص أصحابه ـ فلم يجب واستعفاه فألحَّ عليه فقال: أما العلم والفضل فهم مجمعون عليه وأما الصلاح والإيمان فيدعون فيه أنك تأكل الحشيشة وتحب الغلمان فقال: أما الحشيشة فالكل يعلم أنه ارتكاب محرم وإذا كان ولا بد فإني أشرب الخمر وأما محبة الغلمان فإلى غد أجيبك عن المسألة فلما كان من الغد أتيته وقلت: أين جواب المسألة فأخرج لي غلاماً من داره كأنه درة غواص أو جؤذر قناص وقال:

أيلام من قد هام في هذا الفتى　　أم في هواه ينال إثماً قادحا
هامت به قبلي ملائكة السما　　والكاتبان على هواه تطارحا
أفيكتبان عليَّ في وصلي به　　ذنباً ودمعهما أراه سافحا
لم يستبق ملك ولا مليك به　　إلاّ وشق على هواه جوانحا
والله ما امرأة أراها قد حلت　　عندي ولا قلبي لحور جانحا
فلنظرة من ذا الغلام أحب لي　　من أن أكون لحور العين ناكحا

٣ ـ أبو نواس الحسن بن هاني

ومنهم (٢) أبو نواس الحسن بن هاني البصري فهو من أشهر الناس بولع الغلمان وإتيانهم والتفاني في حبهم حتى نسب إليه كل من ولع بالغلمان ويقال له (نواسى) قال الشاعر:

فاجتنى الكل كل ما يشتهيه　　والنواسى صافح الخياما

وذكر في المستطرف ١٧٦/٢ أن السبب في اقتصار أبي نواس على الغلمان واستباحته إتيانهم أن لأسماء بنت المهدي العباسي جارية تسمى كاعب وكانت بكراً ناهداً بنت ثلاث عشرة سنة فشغف بها أبو نواس وتلاعب عليها فتمنعت عليه فهام بحبها وبذل لها المال الجزيل وهي تتمنع فظفر بها ذات ليلة في ناحية من القصر فأمسكها فبكت وقالت يا سيدي الموت دون ما تريد فقال في نفسه هذا جزع الأبكار، فاتفق أنه خرج يوماً من القصر وقد ترقرق الدجا فوجدها نائمة في سدلة وهي سكرى لا تفيق فدنا منها وحلَّ سراويلها ووقع عليها فإذا هي

ثيب واسعة فارتاع وظن أنها طامث فأخرج العضو واستبرأه فلم يجد دماً فقام عنها وندم على ما فعل وأنشد:

وناهدة الشديين من خدم القصر مرقرقة الخدين ليلية الشعر
كلفت بها دهراً على حسن وجهها طويلاً وما حب الكواعب من أمري
فما زلت بالأشعار حتى خدعتها وروّضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيئاً فقالت بعبرة أموت ولا هذا ودمعتها تجري
فلما تعارضنا توسطت لجة غرقت بها يا قوم في لجج البحر
فصحت أغثني يا غلام فجاءني وقد زلقت رجلي وصرت إلى القعر
فأقسمت عمري لا ركبت سفينة ولا سرت طول الدهر إلاّ على ظهر

وذكروا أنه اتخذ غلاماً رومياً فكان يبيت معه كل ليلة على الفراش معانقاً له يعامله معاملة المرأة، فقال له: ويحك ألا تتزوج امرأة خيراً لك؟ فقال:

فديتك إنما اخترناك عرساً لأنك لا تحيض ولا تبيض
ولو ملنا إلى وصل الغواني لضاق بنسلنا البلد العريض

فأجابه الغلام:

ولكن إن تعانقني فإني أريض لما له شوقاً تريض
فبادلني الذي تهوى وإلاّ فإني ما مرضت به مريض

وممن ولع بالغلمان:

٤ ـ الشيخ تقي الدين السروجي

المتوفى بمصر رابع رمضان العام ٦٩٣هـ فقد ذكر في ثمرات الأوراق ٣٣/٢ أنه ولع بغلام لأحد أخصائه فضمه إليه وهام بحبه وطلق النساء من أجله قال الشهاب محمود: وكان الشيخ تقي الدين السروجي مع دينه وورعه وزهده وعفته مغرماً بالجمال ـ جمال الغلمان ـ وكان يكره مكاناًفيه امرأة. ومن دعاه من أصحابه على طعام قال له: إن شرطي معروف وهو أن لا يحضر المجلس امرأة قال الشهاب محمود والشيخ أثير الدين كنا يوماً في دعوة طعام فأحضر صاحب الدعوة لنا شواء وأمر بإدخاله إلى النساء ليجعلنه في الأطباق والصحون فلما أحضر إلينا تقرّف تقي الدين عنه وقال: كيف آكل منه وقد لمسته النساء بأيديهن؟

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان وقد نظم الشيخ تقي الدين في محبوبه من رقائق الشعر ما يسلب العقول والألباب وكان يغنى بها في عصره لأنها في طريق الغرام غاية لا تدرك فمن ذلك قوله:

أنعم بوصلك لي فهذا وقته يكفي من الهجران ما قد ذقته

أنفقت عمري في هواك وليتني ... أعطى وصولاً بالذي أنفقته
يا من شغفت بحبه عن غيره ... وسلوت كل الحور حين عشقته
كم جال في ميدان حسنك فارس ... بالسبق فيك إلى رضاك سبقته
أنت الذي جمع المحاسن وجهه ... لكن عليه تصبري فرقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة ... فسررت لما قلت قد فرقته
بالله إن سألوك عني قل لهم ... عبدي وملك يدي وما أعتقته
أو قيل مشتاق إليك فقل لهم ... أدرى به وأنا الذي شوقته

قال أبو حيان وتأثر الغلام من شدة ولع الشيخ تقي الدين به وانهماكه في حبه فلم يطل عمره ومات فاحتجب تقي الدين عن الناس ورثى الغلام بعدة قصايد غرامية ثم توفي فحلف أبو محبوبه ألاّ يدفنه إلاّ في قبر ابنه وقال: كان الشيخ لا يطيق فراقه في الحياة فلا يحل أن أفرق بينهما بعد الوفاة.

وممن ولع بالغلمان وهام بحبهم:

٥ ـ الشيخ مدرك بن محمد الشيباني

قال في ثمرات الأوراق ٣٤/٢ كان أبو القاسم الشيخ مدرك من أكابر علماء المغرب المتفقهين وكان مطبوعاً في نظم الشعر الجيد الرقيق وله مجلس بمحلة دار الروم يعلم الأدب ولا يعلم إلاّ الصبية الأحداث ففتن منهم بنصراني اسمه عمرو بن يوحنا كان من أجمل أهل زمانه وأسلمهم طبعاً فهام به الشيخ وكتب رقعة وطرحها في حجره فقرأها وإذا فيها:

بمجالس العلم التي ... بك تمّ جمع جموعها
ألا رثيت لمقلة ... غرقت بماء دموعها
بيني وبينك حرمة ... الله في تضييعها

فلما قرأها عمرو استحيى وفطن لذلك الغلمان الذين معه في المجلس وانقطع عمرو عن الحضور في مجلس الشيخ واشتد بالشيخ الوجد والغرام وتتبع خطوات ذاك الغلام وترك العلم والتعليم ونظم القصيدة التي اشتملت على ذكر عبادات النصارى ونواميسهم وأسماء المعظمين في دينهم أولها:

من عاشق ناء هواه داني ... ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان ... معذب بالصد والهجران
من غير ذنب كسبت يداه ... إلاّ هوى نمت به عيناه
شوقاً إلى رؤية من أشقاه ... كأنما عافاه من أبلاه
يا ويحه من عاشق ما يلقى ... من أدمع منهلة ما ترقى

ذاب إلى أن كاد يفنى عشقا ... وعن رقيق الفكر سقماً دقا
إلى غزال من بني النصارى ... فضّل بالحسن على العذارى
كان عضبي إذ به استجارا ... في القمر الهلال قد توارى
ريم له أي هزبر لم يصد ... يقتل باللحظ ولا يخشى القود
متى تقل ها قالت الأرداف قد ... كان في ناسوته قد اتحد
مهفهف كنت له زناراً ... يديرني في الخصر كيف دارا
حتى إذا الليل طوى النهارا ... صرت له حينئذٍ أزارا
يا عمرو ناشدتك بالمسيح ... لماك برؤ القلب من جريح
فاشف به قلب فتى طريح ... ليس من الحب بمستريح
يا عمرو بالحق مع اللاهوت ... والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنعوت ... عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم ... حلّ محل الريق منها بالفم
ثم استحال في القنومْ الأقدم ... يكلم الناس ولما يفطم
بحق من بعد الممات قمصا ... يوماً على مقداره ما قمصا
وكان لله تقياً مخلصا ... يشفي ويبري أكمها وأبرصا
بحق محيي صور الطيور ... وباعث الموتى من القبور
ومن إليه مرجع الأمور ... يعلم ما في البر والبحور
بحق من في شامخ الصوامع ... من ساجد لربه وراكع
يبكي إذا ما نام كل هاجع ... خوفاً من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا ... وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا ... مشمعلين يعبدون عيسى
بحق مار مريم وبولس ... بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيال ثم يونس ... بحق حزقيل وبيت المقدس
ونينوى إذ قام يدعو ربه ... مطهراً من كل سوء قلبه
ومستقيلاً فأقيل ذنبه ... ونال من مولاه ما أحبه

وهي طويلة ذكر فيها معتقدات النصارى ومقدساتهم وهي مذكورة بطولها في ثمرات الأوراق بهامش المستطرف ٢/٣٥ ـ ٣٨ ويقول في آخرها:

بحق يوم الذبح في الإشراق ... وليلة الميلاد والتلاقي
والذهب الأبريز لا الأوراق ... بالفصح يا مهذب الأخلاق
ألا رغبت في رضا أديب ... باعده الحب عن الحبيب

فذاب من شوق إلى المذيب أعلى مناه أيسر التقريب
ولست أبغي الأجر في أشعاري إلاّ دخول المصطفى في الغار
والعضب في غمد له توارى كما تفضلت به في الدار
فلا يعيد الروح للحياة إلاّ سباح الحوت في القناة
وغطة اليراع في الدواة بذاك تحييني من الممات

٦ ـ الشيخ مهذب الدين الطرابلسي

قال في ثمرات الأوراق ٣٨/٢ ونظير الشيخ مدرك هذا في ولعه بالغلام الشيخ مهذب الدين أحمد بن منير الطرابلسي قد علق بغلام واختصه بنفسه وترك الزواج بالنساء من أجله ولهيامه بحبه كان لا يقدر على فراقه ولا يسافر قريباً أو بعيداً إلاّ معه وكان الغلام في غاية الجمال واسمه (تتر) فذهب معه مرة إلى بغداد ووفد على نقيب الأشراف الشريف الموسوي وكان من أكابر الشيعة فقدم له مع غلامه تتر هدية فلما نظر النقيب إلى تتر فتن بحبه فأخذه مع الهدية ولم يسمح له بالعودة لمولاه، فلما بلغ مهذب الدين ذلك جزع جزعاً شديداً وأشفى على الموت وكتب إلى الشريف قصيدة طويلة وأنذر الشريف بأنه إن لم يُعِد غلامه عليه ليعتزلن الإسلام إلى النصرانية أولها:

عذبت طرفي بالسهر وأذبت قلبي بالفكر ومزجت صفو مودتي
من بعد بعدك بالكدر يا قلب ويحك كم تخادع بالغرورة وكم تغر
وإلى م تكلف بالأغى من الظباء وبالأغر نفسي العدا شادن
أنا من هواه على خطر رشأ تماوله الخواطر أن تشني أو خطر
عذل العذول على هواه وحين عاينه عذر قمر يزين ضوء صبح
جبينه ليل الشعر تدمي اللواحظ خده فيرى لها فيه أثر
هو كالهلال ملثماً والبدر حسناً إن سفر بالمشعرين وبالصفا والبيت أقسم والحجر
ومن سعى فيه وطاف به ولبى واعتمر لأن الشريف الموسوي
ابن الشريف أبي مضى أبدى الجحود ولم يرد إلى محبوبي تتر
وآليت آل أمية الطهر الميامين النصر وجحدت بيعة حيدر
وعدلت عنه إلى عمر وإذا جرى ذكر الصحابة بني قوم في الأثر
قلت المقدم شيخ تيم ثم صاحبه عمر ما سلّ قط شيئاً على
آل النبي ولا شهر كلا ولا صدر البتول عن التراث ولا نهر
وأثابها الحسنى ولا شق الكتاب ولا بقر وبكيت عثمان الشهيد
فقتله إحدى الكبر وشرحت حسن صلاته وصِلاته فيما غبر
ورثيت طلحة والزبير ومحت قبرهما السور وأقوال أم المؤمنين

عقوقها لا يغتفر ركبت على جمل ... لتصلح في بنيها من أثر
فأتى أبو حسن وسل حسامه وسطا ... وكرَّ وأذاق اخوته الردى
وبعير أمهم عقر وأقول إن ... إمامكم ولى بصفين وفر
وأقول إن أحكا معاوية فما أخطا ... القدر هذا ولم يغدر معاوية
ولا عمرو مكر بطل بسوأته ... يقاتل لا يصارمه الذكر
وجنيت من رطب النواصب ما تتمروا ... واختمر وأقول ذنب الخارجين
على علي مغتفر والأشعري ... بل يئول إليه أمرهما شعر
في حين قال خلعت صاحبكم علياً واختصر ... وأقول إن يزيد ما قتل الحسي ولا أمرن
ولجيشه بالطف عن أبناء فاطمة نهر ... والشمر ما ضرب الحسين ولا ابن سعد ما غدر
وحلقت في عشر المحرم ما استطال من الشعر ... ونويت صوم نهار عاشورا وأيام أخر
ولبست أجمل ملبس فيه بأنفاس الزهر ... وغدوت مكتحلاً أصافح من لقيت من البشر
ووقفت في وسط الطريق أقص شارب من عبر ... وأكلت جرجيرالبقول بلحم جوني الجفر
وجعلتها خير المآكل والفواكه والخضر ... وغسلت رجلي في الوضوء ومسحت خفي في السفر
وأمين أجهر في الصلاة كمن بها قبلي جهر ... وإذا جرى ذكر الغدير أقول ما صحَّ الخبر
وسكنت خلق واقتديت بهم وإن كانوا بقر ... وأجيز فتوى من يرى لف الحرير على الذكر
وبه يحل نكاح من وافاه أنثى أو ذكر ... ويحل للأزواج أن تأتي المحارم في الدبر
ويحل للعزاب أن تطأ الفتى حال السفر ... وإذا الشريف عقيب
هذا لم يسلمني القمر ... فلأعدلني عن الحبيب إلى المسيح أو الخضر
وأقول إن الله حل بكل أقنوم ومر ... فهم اقانيم ثلاث في حواميم السُوَر
فالأب عال في السما والابن في الأرض استقر ... والروح بينهما ترفرف في الفضاء قد استمر
أقول في يوم تحار به ... به البصائر والنظر
والصحف ينشر طيها والنار ترمى بالشرر ... هذا الشريف أضلني
إذ بزني روحي تتر ... روحي به قد سلها والقلب أعمى والبصر
ما لي مضل في الورى إلاّ الشريف أو مضر ... فيقال خذ بيد الشريف فمستقر
كما سقى والله يغفر ... للحسين إذا تنصل واعتذر
فاخشَ الإله بسوء ... فعلك واحتذر كل الحذر

وهي طويلة جداً اقتبسنا منها الذي اخترناه وهي مذكورة في كتب الأدب.

فلما رآها الشريف رد الغلام عليه فعادت له الحياة ومدح الشريف بعد ذلك فوصله وأكرمه.

٧ ـ العالِم التقي والغلام

في ثمرات الأوراق ١٩٤/٢: إن الصاحب بدر الدين وزير اليمن كان له أخ بديع الجمال

وكان شديد الحرص عليه فأتى له بشيخ ذي دين وعفة وهيبة وعقل ليعلمه وأسكنه في منزل قريب منه، فأقام على ذلك مدة، ثم إن الشيخ المعلم ولع بذلك الغلام واشتغف بحبه واشتد غرامه به فشكى له يوماً ما يلقاه من وجده وأنه لا يهتني بطعام وشراب ومنام، فقال الغلام: ما حيلتي وأنا لا أستطيع مفارقة أخي لا ليلاً ولا نهاراً أما الليل فإن سريري بجانب سريره وأما النهار فأنت ترى ملازمته وشدة غيرته عليَّ، قال الشيخ إن منزلي ملاصق لداركم فإذا غتم في الليل ورأيت أخاك استغرق في النوم فقم كأنك تريد الماء واقرب من الحائط وأنا أختطفك من وراء الجدار فتجلس عندي ساعة من غير أن يشعر أخوك بشيء.

وفي تلك الليلة استعد الشيخ لمنادمة الغلام وأحضر كل ما يحتاج له من شراب وفاكهة وآلة طرب فلما نام الصاحب واستغرق في النوم وأمن انتباهه قام الغلام ومشى خطوات وفتح الباب وأتى الحائط فوجد شيخه واقفاً ينتظره فتناوله وصار عنده في المنزل فأوسعه لثماً وضماً وما إلى ذلك وكانت ليلة البدر وتنادما ودارت بينهما كؤوس الشراب ممزوجة ببرد الرضاب وانتشى الشيخ وأخذ في الغناء وقد عمهما القمر بالضياء.

وانتبه الصاحب بدر الدين فلم يجد أخاه في مكانه فقام فزعاً مذعوراً فوجد الباب الذي استطرق منه أخوه مفتوحاً فقال من ههنا جاء الشر فدخل منه وصعد الحائط وإذا يرى الشيخ قد التزم الغلام وهو طرب نشوان والكأس بيده ينشد:

سقاني خمرة من ريق فيه	وحيا بالعذار وما يليه
وبات معانقاً خداً بخد	غزالاً في الأنام بلا شبيه
وبات البدر مطلعاً علينا	سلوه لا ينم على أخيه

فكان هذا البيت مطابقاً لاطلاع بدر الدين الصاحب على ما حدث بين الشيخ وأخيه المليح، فقال: لا والله لا أنم عليكما وترك أخاه يفعل الشيخ به ما أراد وانصرف.

٨ ـ إبراهيم بن سهل الأشبيلي

في ثمرات الأوراق ١٩٦/٢ كان إبراهيم بن سهل الأشبيلي يهودياً ومولعاً بالغلمان فاتخذ له خدناً من غلمان اليهود اسمه موسى وكان أسمر اللون وقد شغف به وهام بحبه فلامه الناس في تفضيله بالحب على من هو أحلى منه صورة وأصفى لوناً فقال:

إن موسى وإن يكن أسمر اللون	ولكنه لذيذ الوقاع
له قد غصن وعين الرشا	وردف جميل بحلو ارتفاع
فما ضاق وسعاً بما ابتغى	ولا عض عوداً بفرط اتساع

ثم أسلم إبراهيم وحسن إسلامه ومدح سيد المرسلين(ص) بشعره وكان خدنه موسى قد

أنبت والتحى ففارقه واتخذ له خدنا من المسلمين اسمه محمد وأحبه وزاد فيه حبه فقيل له أين حبك لموسى فقال:

تركت هوى موسى بحب محمد ... هديت ولولا الله ما كنت أهتدي

وما عن قلى تركي هواه وإنما ... شريعة موسى عطلت بمحمد

٩ ـ الشيخ شمس الدين الدجوي

في المصدر المذكور أن شمس الدين الدجوي قد اتخذ له عشيقاً يلهو به ولفرط ما كان يعبث به أصيب بدمل في دبره فلما دعاه للفراش تلك الليلة امتنع عليه قال: ما هذا؟ قال: دمل طلع في ذاك المحل الذي تطلبه فأنشد:

لله من دمل قد حل متكأ ... تقطع القلب لو قد حله قطعا

خذ يا حبيبي علاجاً من دمي وله ... خذ مهجتي مرهماً تشفيك ما طلعا

فإن يزل عنك فاجعل فيك موضعه ... روحاً يفيض عليك القدس إن وضعا

ما كان ذاك لروح القدس حين سرت ... فيه ولكن من القبلات قد زرعا

فأجابه الغلام

نعم أتت قبلات الشمس محرقة ... له ومنها عليه الدمل انصدعا

يا شمس ما أنت شمس الدين بل هي ذي ... شمس الربيع فمنها الكماة اندلعا

١٠ ـ أديب يستحيل غلاماً أديباً

قال ابن حجة في ثمرات الأوراق ٢٨٣/٢ قال ذو القرنين بن حمدان الحمداني:

أني لأحسد (لا) في أسطر الصحف ... إذا رأيت اعتناق اللام بالألف

وما أظنهما طال اعتناقهما ... إلاّ لما لقيا من شدة الشغف

قال صاحب الثالد والطريف أنشدت هذين البيتين أحد الأدباء فقال: لقد وقعت لي في هذين البيتين حكاية طريفة وهي أني قد شغفت بحب غلام مليح وهمت في حبه وكان ذكياً أديباً فلم أملك نفسي أن أدعوه للمنادمة فكتبت له صورة لام ألف (لا) وقصدت بها ما ذكره الحمداني في البيتين ففطن لما أردته وكتب تحتها (ل ا) مفترقتين كأنه يقول: لا أمكنك من عناقي فكتبت له لفظ (لام) هكذا وأردت مقلوب اللام وهو المال أي أنك ستحصل مني على (مال) فكتب (لا) متصلة فعلمت أنه رضي بما وعدته وأجاب لما طلبته فلما اجتمعنا قال إنك عميت على الأمر وأتعبتني فقلت على البديهة:

تقول أتعبتني فكراً ألست ترى ... ما كنت أتعبتني في حب لقياكا

فاغسل كآبة لام النفي عنك وجد ... بهمزة الوصل في لثمي محياك

١١ ـ شمس الدين يلوم أباه على عفته عن المليح

وفي المصدر نفسه ٢٩٠/٢ أن جماعة من أهل الأدب اجتمعوا وعملوا سماعاً وفيهم غلمان حسان فبعثوا منهم غلاماً مليحاً إلى الشيخ عفيف الدين التلمساني يطلبون إليه أن يرسل ابنه شمس الدين للحضور فلما جاء الغلام لعفيف الدين شغف بحبه وكتب على يده:

أرسلتماني رسولاً جل خالقه حول المراشف والأعطاف والهيف
وقد تمادى يسيراً ذاك أنكما أوقدتما النار في أحشاء ذي دنف

فلما حضر شمس الدين أخبروه بما كتب والده على يد الغلام فكتب إليه:

مولاي كيف انثنى عنك المليح ولم تكن لوردة خديه بمقتطف
جاءتك من بحر أهل الحسن لؤلؤة فكيف ردت بلا ثقب إلى الصدف

١٢ ـ عالمان يتنافسان على حيازة مليح

وفي المصدر نفسه ٢٩٣/٢: إن الشيخ يحيى السالمي لما قدم دمشق الشام وقرأ في الجامع الأموي نظر إلى غلام بديع الجمال فوقع حبه في قلبه وافتتن به وسأل عنه فأخبر بأبيه وكان ممن يتردد إلى الشيخ فاجتمع معه وقال له: لِمَ لا تحضر ولدك يتعلم عندي العلم، فقال له: إنه يحضر علم الحساب عند بعض المشايخ، فقال احضره عندي فأنا أقرأ قبل شيخه فإذا حضر عندي يكون محصلاً للفضيلتين فأجابه أبو الغلام لذلك وأمر ابنه بما طلب.

فلما أتى الغلام للشيخ يحيى أجلسه إلى جنبه وأطال القراءة ذلك اليوم زائداً على المعتاد فلما انقضى الدرس ونهض الغلام لقراءة علم الحساب عند الشيخ الآخر دفع له الشيخ يحيى رقعة وقال: إدفعها إلى شيخك فلما حضر قال له شيخه: ما أبطأك عن الحضور فأخبره بالقصة وسلّم له الرقعة وإذا فيها:

يا جاعلاً علم الحساب وسيلة تصطاد فيه فاتن الألباب
إن كنت في علم الحساب رزقته فالله يرزقنا بغير حساب

فضحك الشيخ مما كتب الشيخ يحيى وقرأ على الغلام فلما انتهى من الدرس كتب على الرقعة وقال للغلام إذا حضرت بحث الشيخ يحيى غداً فسلمها إليه فلما حضر سلّم له الرقعة وإذا فيها.

لهوت به ظبياً غريراً مهفهفاً ولا شعر في خديه مثل المصابح
وحين امتلت خداه بالشعر والتحى وأصبح تيساً بعته للمسالحي
فوالله إن راودته أو جمشته لتصبح منكوحاً له غير ناكح

١٣ ـ ركن الدين مع معلمه إبراهيم

وفي المصدر نفسه ٣٥١/٢ كان بالقاهرة شاب حسن الوجه يسمى ركن الدين وله معلم يسمى إبراهيم الأنباري فولع به فكان يعلمه ويتعلم فيه وكان أحد الأدباء يميل إلى ركن الدين لجماله وله فيه غزل حسن.

قال الناقل فركبت يوماً مع الأمير صلاح الدين فمررنا على باب الغلام ركن الدين ومعه معلمه إبراهيم فوجدت ذلك الأديب قائماً قريباً من الباب، فقلت له: أي شيء تصنع ههنا؟ فقال:

بالبيت جئت أطوف كي أحظى إذا ... شئت استلام الركن من تقديم
وبحجر إسماعيل أحظى ركعة ... بعد الدعا بمقام إبراهيم

فقال الأمير: ما معنى هذا الشعر؟ فقلت إنه يعني باستلام الركن اعتناق الغلام ركن الدين ويعني بجحر إسماعيل أردافه من خلفه ويعني بالركعة انحناءة عليها ويعني بمقام إبراهيم الموضع الذي يخلو فيه بالغلام معلمه إبراهيم الأنباري فدهش لما سمعوه واستعاد البيتين فأعدتهما وهو يقول: لله دره!

١٤ ـ ولع عز الدولة بغلامه التركي

وقد سبق ص م عن السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٤٠٦ أن في العام ٣٦٥هـ حدثت واقعة حرب بين الأمير عضد الدولة والأمير عز الدولة فأسر فيها غلام تركي لعز الدولة فجن عليه واشتد حزنه وامتنع عن الأكل والشرب والمنام وأخذ في البكاء واحتجب عن الناس وحرم على نفسه الجلوس في الدست وكتب إلى عضد الدولة: يسأله رد الغلام عليه ويتذلل حتى صار أضحوكة بين الناس وعاتبه اخوانه وندماؤه ووزراؤه فلم يستمع لعتاب ولا ملام وبذل في فداء الغلام جاريتين عوديتين كان قد بذل له في الواحدة منهما مائة ألف دينار فلم يبعهما.

وقال للرسول إن توقف عليك في رده فزد ما رأيت ولا تفكر فقد رضيت أن آخذه واذهب إلى أقصى الأرض فرده عضد اللدولة عليه فقال:

لعمرك قد ذقت المنون وحينما ... رجعت إلى جثمانها عادت الروح
فما خير عيش لا أراك مضاجعي ... به لتروح الروح حيث تروح

١٥ ـ عبد الصمد بن المعذل

كما اشتهر عبد الصمد بن المعذل وهو مؤدب أبناء خلفاء آل مروان بملاحقة من يؤتى به للتعليم عنده كما سبق ذكره ص ٢٩ تحت عنوان استباحة اللواط عند أهل النفاق إن الخلفاء

ذلك الوقت وأبناءهم كانوا يمرنون على الشذوذ الجنسي من لدن نعومة أظفارهم كما قال الشاعر:

أبنو أمية يهتدون ويشيخهم ... أوعاهم قبل الهدى بالماء
فابن المعذل لم يؤدب وغدهم ... إلاّ بغرس اللام وسط الطاء
ما خط حرفاً كفهم إلاّ بما ... القلم ارتوى من حبره الصفراء

وفي روضات الجنات/٢٤٩ ط ق قال: وفد سعيد بن عبد الله وكان صبياً وضي الوجه على هشام بن عبد الملك بن مروان وكان أميّاً لا يقرأ ولا يكتب فأحب هشام توظيفه في بعض أعمال الدولة فبعث به إلى مؤدب أبناء الخليفة واسمه عبد الصمد بن المعذل وهو مؤدب الوليد بن يزيد بن عبد الملك والذي حمله على الفسق والخلاعة والمجون بكل أنواعه وكان عبد الصمد يحضر قصر الخلافة لتعليم أبناء الخليفة كل يوم.

فلما حضر إليه سعيد شغف به وهام بحبه فلما خلا المكان من الناس انبسط إليه يغازله ويمازحه ويمسح بيده على ظهره ومناكبه وشعره ثم همَّ بحلّ تكة سراويله فوثب سعيد من عنده ودخل على هشام، فقال:

إنه والله لولا أنت لم ... يُرَ مني سالماً عبد الصمد

قال هشام وما ذاك؟ فقال:

إنه قد رام مني خطة ... لم يرمها قبله من أحد

قال هشام وما هذه الخطة؟ فقال:

رام جهلا بي وحرصا أنه ... يولج العصفور في خيس الأسد

فبعث هشام إلى عبد الصمد وطرده عن القصر إلى غير رجعة.

١٦ ـ صفي الدين الحلي

ومن ينسب له الولع بالغلمان صفي الدين بن سرايا الطائي الحلي المتوفى العام ٧٥٠هـ ففي المذكرات ٦/٥٠: أنه كان يقول:

ولي غلام كالنجم طلعته ... أخدمه وهو بعض خدامي
تراه خلفي طول النهار فإن ... دجى لنا الليل صار قدامي
جعلته في الحضور مع سفر ... كفروة الحارث بن همام
لم يدخل العضب غمده كرماً ... إلاّ وبالعصر ساق إكرامي

ومما قال في ذلك:

ولم أر كالمحبوب ليلة وصله ... وقد راضه لومي له وعتابيا

إذا كان غضباناً لفاني بوجهه وبالظهر يلقاني إذا كان راضيا

وقال أيضاً:

وفقيه أولجت فيه قمندا ليس تفزا الركاب يوماً بمثله

رام علماً مني فأنزلت فيه ماء علم ينوء فهماً بحمله

قلت ذا العلم كله قال إن كان فلمَ لا يكون في الخلق كله

١٧ ـ أحد المتظاهرين بالعفة والصلاح

كان أحد أئمة صلاة الجماعة يتظاهر بالعفة والصلاح وبعض الناس يقدح في عدالته فدخل عليه يوماً أحد أخصائه فوجد عنده ما لا يحل استعماله ووجد عنده غلاماً أمرد أهيف تبين عليه مظاهر الأنوثة واللين فكتب إليه:

للناس تظهر بالتقى لتؤمهم وتنال من أموالهم ما تجمع

الخمر عندك كالعصير موفر فيها وأشرطة الخلاعة تقرع

وزعمت أنك لا تلوط فقل لنا هذا المهفهف قائماً ما يصنع

شهدت شمائله عليك بريبة وعلى المريب شواهد لا تدفع

١٨ ـ سعد الدين المغازلي

وكان سعد الدين المغازلي ممن يجمع بين وصل الجواري والغلمان لكنه يفضل الغلمان غالباً وفي الجواري يختار الخلف على الأمام ففي المذكرات ٥١/٦ نسمعه يقول في تفضيل الغلمان:

وليس ولوعي بالفتاة لأنها أتمّ من الظبي الربيب وأصلح

ولكن لإعواز النفيس قصدتها فما كل ظهر للكتابة يصلح

ويخاطب أحد الغلمان الملاح بقوله:

أيا من حاز ملك الحسن طراً ورنح لين عطفيه الشباب

أما في مال ردفك من زكاة فيدخل فيه هذا النصاب

وفي تفضيل إتيان الجارية من الخلف لا الأمام يقول:

وذات خر جادت به فصددتها وقلت لها مقصودي العجز لا الفرج

فدارت ودارت سوء خلفي بالرضا وفي قلبها مما تكابده وهج

وظلت تقاسي من فعالي شدة ولم يهو من فرط الحياء لها رهج

إذا ما دفعت العضب فيها تجشأت وذلك خبق لم يتم له نضج

وبعضهم يزعم أن هذا القول والشعر كله لصفي الدين الحلي.

١٩ ـ والبة بن الحباب

ذكر في الأمتاع والمؤانسة: قال الخليفة المهدي العباسي يوماً لعمارة بن حمزة من أرق الناس شعراً؟ قال: هو والبة بن الحباب أستاذ أبي نواس كان ظريفاً غزالاً وصّافاً للنساء الحور والغلمان المرد قال: صدقت، قال عمارة: فما منعك أيها الأمير من منادمته ـ أي اتخاذه نديماً للمجالسة والمعاشرة ـ قال منعني من ذلك قوله:

قلت لساقينا على خلوة ... أدن كذا راسك من راسي
وادن وضع صدرك لي ساعة ... على فراش ليس بالقاسي
وعن هناتك فاكشف لنا ... إني امرؤ أنكح جلاسي

أفتريد أن ينكحنا لا أم لك؟

٢٠ ـ الشيخ أبو محمد القمي

ذكر في الأمتاع/١٩٠ حدثني أبو الحسن العلوي قال: كان بهمدان رجل يعرف بأبي محمد القمي متصرفاً بها وكان شديد الحماقة في نصبه العداوة لبني أمية.

فورد البلد ذات يوم غلام بغدادي عثماني صبيح الوجه وضيء بالملاحة وكان يكتب الحديث فبلغ القمي خبره فشغف به وبعث له غلاماً بدينارين وقال: أعطه الدينارين وقل له إن أبا محمد القمي يدعوك ليملي عليك الحديث فذهب له الغلام وأحضره فصنع له القمي مائدة العشاء أحضر عليها كثيراً من الحلوى والفاكهة ثم جعل ينادمه ويسامره حتى إذا كان وقت النوم قام الغلام وطرح نفسه ناحية. فنهض وراءه القمي وجعل يراوده حتى أجاب مكرهاً فأقحم فيه القمي متاعه وكان صلباً غليظاً فتأوه الغلام متألماً مما أقحم فيه وصرخ وقال: يا بن البظراء قم عني لعنك الله وأخزاك قال: دع عنك السباب وانزل على أحد أمور ثلاثة: إما أن تلعن يزيد بن معاوية وأباه أو ترد عليَّ الدينارين أو تستدخل المتاع كله وتفرج عن إليتيك لإدخاله؟ فقال الغلام: أما لعن معاوية فما له من سبيل وأما الديناران فقد تصرفت فيها وأن الصبر على مرادك فاني أستعين بالله عليه فكلما تألم قال: هذا في رضاك يا أبا عبد الرحمن قليل.

٨

الدعاة إلى شذوذ الجنس

ونعود فنقول: إن هناك إلى اليوم جماعات يحبون هذه الفاحشة (اللواط) ويطبلون ويرقصون لها ويفضلون مواقعة الغلمان على مباضعة النساء وينتصرون لها ويحاربون من يحرمها ويعاقب عليها كالدكتور (لاوس أولرستام) صاحب كتاب (الشاذيون الجنسيون) والدكتور الذي أخفى اسمه في كتاب (الجنس الثالث) ونسبه إلى كبار العلماء والأطباء في أوروبا وأميركا وكله زور واختلاق يقصدون به الترويج لهذه الفاحشة لينتشر مرض الإيدز والأمراض الزهرية.

تحريم البواعث على اللواط

وكما حرم الإسلام اللواط بكل أنواعه حرّم كل البواعث عليه والدوافع إليه ومتعلقاته وما يقوم به أهله من أعمال مغرية وأمور مشجعة وتسمى في عرف الشريعة (أعمال قوم لوط) وهي مذكورة في كتب الحديث مبثوثة في أبوابه المتفرقة وقد تواتر النهى عنها في ضمن ما نهى عنه رسول الله وأهل بيته وقد ذكرتها في كتابي (مراجع نبي الإسلام) تعقيباً على ذكر قصة قوم لوط مفصلة مبسطة ونذكرها هنا ملخصة مجملة وندع أدلّتها في كتب الحديث الفقهية لمن شاء الوقوف عليها.

عنى المفسرون في قوله تعالى: ﴿ولوطاً أتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث أنهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ الأنبياء/ ٧٤ ﴿ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين. أإنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر..﴾ العنكبوت/ ٢٩ الزواجر ٢٣٣/٢ اتفق المفسرون على أن الخبائث التي يقترفها قوم لوط فيما بينهم والمنكر الذي يرتكبونه في نواديهم.

أعمال قوم لوط

١ ـ التشدق بالفحش والمجون والمثيرات للغريزة.
٢ ـ الحق في مجالسهم دون حشمة أو حياء.
٣ ـ كشف العورة من بعضهم لبعض.
٤ ـ خضاب اليدين والرجلين بالحناء الأحمر كالنساء.
٥ ـ لبس الحرير والمعصفرات.
٦ ـ لبس الاسورة في أيديهم والأقراط في آذانهم والخلاخل في أرجلهم.
٧ ـ تصفيف الشعر على جباههم والأصداغ على عوارضهم وتسريح الشعر والذوائب على صدورهم ومناكبهم.
٨ ـ حلق اللحى والشوارب من وجوههم.
٩ ـ لبس الثياب الرقاق التي تحكي ما تحتها من الجسم.
١٠ ـ لبس المئزر على القميص ليبرز حجم الأكمة كبيراً.
١١ ـ مضغ العلك واللبان الشحري.
١٢ ـ فرقعة الأصابع.
١٣ ـ الصفير بالفم.
١٤ ـ جس الأرداف وغمز الاعجاز.
١٥ ـ الحذف بالحصى.
١٦ ـ اللعب بالنرد.
١٧ ـ الغمز بالعيون والنبس بالجفون ويعرف اليوم بـ(المغازلة).
١٨ ـ اختيار النوم على الوجه وهي نومة الشياطين.
١٩ ـ التغنج في الكلام وترخيم الصوت.
٢٠ ـ التكسر في المشي وهز الجسم ورجّ الأرداف.
٢١ ـ استعمال العطور النسائية.
٢٢ ـ الكحل والوشم لا للعلاج.

كما منع الإسلام من الأعمال التي تسوق إلى اللواط وتغري الناس به لكشف العورة والنظر إلى عورة الغير ومضاجعة الرجل الآخر ومبيتهما على فراش واحد أو تحت لحاف واحد بغير

ضرورة وجلوس الغلام في حجر الرجل وضمه وتقبيله وسنذكر النصوص عليها في قسيمة السحاق قريباً إنشاء الله.

تحريم النظر إلى الغلمان والخلوة بهم

وكما أن الزنا والبغاء جريمة لا تغفر وكبيرة لا تكفر وتحرم كل متعلقاته ومقدماته وملابساته من النظر للمرأة الأجنبية وإظهار زينتها وسفورها وتبرجها ومرورها بالرجال في طيبها وزينتها وخلوة الأجنبي بها ومصافحتها ومكالمتها بأكثر من الحاجة فكذلك يحرم أيضاً جمع متعلقات اللواط ومقدماته وملابساته من النظر إلى الشاب الأمرد والخلوة به ومصافحته ومحادثته بشهوة إذا كان جميلاً يرغب فيه ويحرم عليه هو أيضاً التعري أمام العزاب وإظهار محاسنه لهم فيما يغريهم به ويرغبهم فيه ولا يختلف عن المرأة إلاّ في أن المرأة يجب عليها الحجاب وستر جميع جسمها ما عدا الوجه واليدين والأمرد لا يجب عليه ذلك كما سنذكره آخر البحث.

ففي الوسايل ٢٥٨/١٤ عن علي بن إبراهيم بسنده عن السكوني عن أبي عبد الله(ع) قال: إياكم وأولاد الأغنياء والملوك فإن فتنتهم أشد من فتنة العذارى في خدورهن ورواه الذهبي في الكباير والشيخ أحمد الهيثمي في الزواجر عن الحسن بن ذكوان كما سيأتي.

وذكر الشيخ جعفر النقدي في منى الرحمن: في الحديث اتقوا النظر إلى الغلمان فإن عليهم مسحة من الحور العين ا.هـ. واتفق الفقهاء أن النظر إلى الغلمان بشهوة حال الإحرام بالحج أو عمرة التمتع يوجب على صاحبه في المبيت في منى ليلة الثالثة عشرة من ذي الحجة كالذي تعمد النظر إلى المرأة الأجنبية حال الحرام فقد ذكروا في محرمات الإحرام التي نظمها المؤلف في ديوانه عرائس ٤٠/٣ من محرمات الإحرام:

كذاك إتيان النسا بمس ... ونظرة وقبلة ولمس

وكالنسا الولد ومنهما الصور ... وكلما فيه التذاذ بالنظر

وذكر الذهبي في الكباير ص ٥٧ والهيثمي في الزواجر ٤/٢ و١٣٣: قال أبو سلمه الحسن بن ذكوان البصري: لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صور كصور العذارى وهم أشد فتنة من النساء وقال آخر: ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من غلام أمرد يقعد إليه ويخلو به وقال الأوزاعي لا يبيتن رجل أعزب مع غلام أمرد في مكان واحد.

ودخل صبي مليح على سفيان الثوري في الحمام فقال: أخرجوه عني وإلاّ خرجت من الحمام إني أرى مع كل امرأة شيطاناً ومع كل أمرد سبعين شيطاناً.

ودخل رجل ومعه صبي مليح على الإمام أحمد فقال: من هذا الصبي منك؟ قال: ابن أختي، قال: لا تدخل به علينا مرة أخرى ولا تمش معه في طريق فيظن الناس بكما سوءاً، وقال

العسقلاني: لما قدم وفد عبد القيس على النبي(ص) كان فيهم غلام مليح فأجلسه النبي خلف ظهره وقال: إنما كانت فتنة داود(ع) من النظر ا.هـ. يشير إلى أن داود بن إيشا(ع) افتتن بالنظر إلى امرأة قائد جيشه أوريا فاضطره الأمر إلى أن يبعث أوريا في مقدمة الجيش لقتال العمالقة فقتل وتزوج بامرأته التي فتن بها ولكنها قصة لا تليق بمقام النبوة ولا تجتمع مع فضيلة العصمة عن الذنوب لذلك أبطلها علماؤنا وتأولوها على ما يناسب مقام الأنبياء فقوله في الحديث: إنما كانت فتنة داود من النظر يحتمل أنها محرفة من الراوي وأن النبي قال: إنما تكون فتنة الناس من النظر أو أنه يعني بداود عابداً من بني إسرائيل افتتن عن عبادته ودينه بالنظر إلى امرأة فقد حدث ونقل كذلك كثيراً في كثير من العباد ولا يعنى به النبي داود(ع).

قال في الكبائر ص ٥٧: وحرم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد في بيت أو حمام أو حانوت قياساً على المرأة لأن النبي(ص) قال: ما خلا رجل بإمرأة إلاّ كان الشيطان ثالثهما وفي الرد أن من يفوق النساء بحسنه فالفتنة به أعظم ويمكن في حقه من اللواط ما لا يمكن في حق المرأة حيث أن المرأة إذا زنت افتضحت بفض البكارة واحتمال الحمل وارتفاع الثديين أما الغلام فلا يخشى معه شيء من ذلك كما يقول أبو نواس في قرينه:

فديتك إنما اخترناك خدناً ... لأنك لا تحيض ولا تبيض
ولو ملنا إلى وصل الغواني ... لضاق بنا البلد العريض

وذكروا أن شيخنا المقدس الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم صاحب موسوعة (الحدائق) الفقهية المحدث البحراني كان يحضر حلقة الدرس عنه غلام مليح فكان المقدس يتحرج من النظر إليه حتى كبر الغلام والتحى وكانت له عند المقدس وديعة مال ورثه من أبيه أيام صغره فطالب في استلامها، فقال الشيخ: وهل بلغ الحلم؟ فقال المطالب: إنه قد التحى وأنت تراه في حلقة الدرس قال: والله ما نظرت إليه من لدن مات أبوه.

من عزل أو قتل لمساورة الغلمان

١ ـ الملك لخنيعة

لما هلك ملك اليمن عمرو بن تبان أسعد بن كلى كرب الحميري لم يكن في بيت العائلة المالكة من يصلح للعرش فمرج أمر حمير واضطربوا وتفرقوا فسمع بهم رجل لم يكن من بيوت المملكة يقال لخنيعة أو لخيعة ينوف ذو شناتر ـ أي أصابع ـ فوثب على حمير فقتل خيارهم وصادر أموالهم وعبث ببيوت أهل المملكة منهم فقال بعضهم:

تقتل أبناءها وتنفي سراتها ... وتبني بأيديها لها الذل حمير
تدمر دنياها بطيش حلومها ... وما ضيعت من دينها فهو أكثر

وكان لخنيعة رجل فاسق منهمك في أعمال قوم لوط فكان كلما سمع بغلام من أبناء الملوك عليه مسحة من الجمال بعث لإحضاره فيأخذه إلى مشربة له ويعده ويمنيه ويقول إذا طلبت إليك شيئاً فلا تمنع لتنال كلما تريد مني فإذا خلا به في المشربة ـ وهي الفرقة المرتفعة ـ وكان قد أعدها لهذه الفعال السيئة وقع عليه فإذا فرغ من إتيانه وضع عوداً في فمه وطلع من باب المشربة على حرسه ومن حضر من جنده وهو يستاك بالعود كعلامة أنه قد فرغ من إتيان الغلام والفجور به حتى لا يرغب أحد في توليته الملك بعده لأن الناس إذا علموا أنه قد أتى في دبره مقتوه واحتقروه فلا يرونه أهلاً للولاية أو الملك عليهم.

حتى بعث إلى ابن من أبناء تبان أسعد أخو الملك حسان وكان جميلاً وسيماً ذا هيئة وعقل وإنما لم يكن ليأخذ الملك بعد أخيه حسان لأنه كان يومئذٍ صبياً صغيراً فلما أتاه رسول الملك لخنيعة عرف قصده منه فخبأ بين قدمه ونعله سكيناً صغيرة مرهفة ومضى إليه فلما رآه فرح به وأصعده إلى مشربته وأخذ يعده ويمنيه وهو يمتنع عليه فوثب عليه فصارعه ذو نواس ولما تمكن منه وجا عنقه ثم ذبحه بالمدية وحمل رأسه إلى الكوة التي كان يشرف منها على حرسه ووضع سواكه في فيه ثم خرج على الناس، فقالوا ذا نواس أرطب أم يباس؟

ـ وكان الغلام إذا خرج من عند لخنيعة وقد فعل به قطعوا مشافر ناقته وذنبها وصاحوا به أرطب أم يباس؟

فقال لهم ذو نواس ـ وهو يركب ناقته السراب ـ ستعلم الأحراس بإست ذي نواس إست رطبان أم يباس فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لخنيعة مقطوع فيها فخرجوا في أثر ذي نواس حتى أدركوه وقالوا عدإلى العرش مكان الذي قتلته فما ينبغي أن يملكنا غيرك إذ أرحتنا من هذا الخبيث.

٢ ـ الملك ذو الأذعار

أن ملكاً يسمى عمرو ذو الأذعار كلما سمع بفتاة حسناء من بنات الملوك أحضرها فسقاها الخمر حتى إذا ثملت وقع عليها فلما سمع بجمال الملكة بلقيس بنت ذي شرح طمع فيها وفي احتلال بلادها فحشد جنوده وسار إليها ولم تكن على استعداد لمحاربته فخرجت من قصرها ليلاً بكل زينة وحلية ودخلت عليه في خيمته فلما رآها شغف بها وأخذ يغازلها وينادمها ويسقيها الخمرة وكلما دعاها لأن يلي منها ما طلته وتواغدت عليه وهي تسقيه الخمر حتى ثمل وغاب وعيه ذبحته بمدية كانت قد أخفتها بين ظفائرها وسحبته على سريره وأعلمت جنده بما حدث فمالوا كلهم إليها وشكروها على خلاصهم من الملك العاهر وسلمت على نفسها وبلادها منه.

٩

طرائف في الشذوذ الجنسي

هجاء في صورة مدح

كان الشاعر المشهور جرير بن عطية الخطفي يمدح خلفاء بني مروان المعاصرين له من عبد الملك بن مروان إلى الوليد بن يزيد خليع بن مروان فمدحهم بقصيدة قال فيها:

ألستم خير من ركب المطايا	وأندى العالمين بطون راح

فحوّلها أحد المناوئين لهم إلى شذوذ الجنس والعادة السرية بنظم بيت شعر قبله فقال:

أقول لمعشر جلدوا ولاطوا	وباتوا عاكفين على الملاح
ألستم خير من ركب المطايا	وأندى العالمين بطون راح

وذكر في النصوص المحرمة/٢٢: أن أبا نواس استعار بيت جرير على هذا المعنى في هجائه محمد بن رياح، فقال في قصيدة أولها:

تعزى قلبنا عن ذكر راح	فكيف عزاء قلب مستباح
أراد محمد بن رياح شتمي	فعاد وبال ذاك على رياح
أتنسى صدع أمك فوق عضبي	تدور كما يدور أبو رياح
تغنت لي وقد ركبت عليه	وصارت فوق مندمج وقاح
ألسنا خير من ركب المطايا	وأندى العالمين بطون راح
فقلت دعي التمثيل ليس هذا	ـــ وعيشك ـــ وقت هجو وامتداح
ولكن الأوان أوان وطء	وإيلاج الغياشي في الرقاح
فقالت هاك رجلي فارفعنها	وغرق دمج بطنك في مراخي
فلما مل كعثبها تغنت	لي الأرداف حي على الفلاح

فقالت ويك سقه في المراعي فذي الأرداف أطيب للنكاح

تشبيه الموجه بالدنيا والأرداف بالآخرة

مما ينسب لسيدنا أمير المؤمنين (ع) في الديوان المنسوب إليه أنه قال:

أربعة في الناس ميزتهم أحوالهم مكشوفة ظاهرة
فواحد دنياه محمودة وما له من بعدها آخرة
وواحد دنياه مذمومة تتبعها آخرة فاخرة
وواحد من حسن أعماله طابت له الدنيا مع الآخرة
وواحد من سوء ما قد جنى ليس له دنيا ولا آخرة

وقد استعادها أبو نواس فحولها على هوايته فجعل وجه الغلام هي دنياه ومأكمه من خلفه هي الآخرة فقال ـ كما هو في النصوص المحرمة/ ٦٤:

أربعة تختلف الغيد في أحوالها وإن تكن ظاهرة
فواحد دنياه طابت له وما له من خلفه آخرة
وواحد دنياه منكوسة من خلفه آخرة وافرة
وآخر دنيا وأخرى حوى فالنفس إذ تنظره طائرة

وقال:

هذا غلام حسن وجهه ليست له من خلفه آخرة
وآخر دنياه تلقى العنا وخلفه آخرة فاخرة
وآخر فاز بكتيهما قد جمع الدنيا مع الآخرة

أبو نواس والصبي الخياط

ذكر ابن منظور في أخبار أبي نواس أنه شغف مرة بصبي مليح كان أبوه خياطاً وهو يعمل معه في خياطة الملابس وقد جعله أبوه في الطابق الأعلى حيث لو كان في الأسفل لم يأمن عليه عيون الناظرين وأعمال الفاحشين.

فاحتال أبو نواس للوصول لذلك الصبي فطر ومزق قميصه من الأمام وأتى الخياط وسأله أن يخيطه فاعتذر الخياط عن إجابته لكثرة ما عنده من الخياطة، فقال أبو نواس حوّلني على ابنك في الطابق العلوي فلعل عنده فسحة ودفع له أجرة الخياطة مقدماً وصعد إلى المليح وجعل يغازله ويضاحكه ويراوده عن نفسه وهو يمتنع، فقال أبو نواس إن أباك قد أذن لي في ذلك وقبض أجرة العمل فلم يجب فصاح أبو نواس يا شيخ إن ابنك لم يستجب لإصلاح القميص بالخياطة

- والخياطة في لغة الشاذين بمعنى العمل الجنسي - فناداه الشيخ إعمله له يا بني ما أراد واستر علينا فانقاد الغلام لأبي نواس وبلغ فيه ما أراد وفي ذلك يقول أبو نواس:

وربَّ أمرد خياط ظفرت به وقبته وأبوه فيه لم يغر
أتيته وقميصي قدَّ من قبل لكي أقد قميصاً فيه من دبر

وفي المذكرات ٢٢/١٠ قال أبو نواس:

أنا الماجن اللوطي ديني واحد وإني في فض المآكم راغب
أدين بدين الشيخ يحيى بن أكتم وإني لمن يهوى الزنا لمجانب

الأنف والفم والقبل والدبر

ثقبان في أسفل الإنسان قد سترا وفوق صفحته ثقبان قد ظهرا
هذان قد جعلا حسناً لربهما إذ طيب القوت فيه منهما عبرا
وذان قد جعلا للمرء عورته إذ منهما كل حين يرسل القذرا

ليلة من ليالي الشذوذ

ذكر أبو حيان التوحيدي في الامتاع والمؤانسة ٥١/٢ قال كان بالبصرة غلام مؤنث يجمع ويعشق بعض المهالبة فلم يزل المؤنث يقنع البهالى حتى استماله وأحضره للشابين قال الراوي فلقيته من الغد فقلت له كيف كانت سهرتكم البارحة؟ قال: لما تدانت الأشخاص ورقّ الكلام والتفت الساق بالساق ولطخ باطنها بالبصاق وقرع البيض بالذكور وجعلت الرماح محور صبر الكريم فلم يجزع وسلم طائعاً فلم يخدع ثم انصرفوا وقد شفيت الصدور وسكنت حرارة النفوس ومات كل وجد واتصل الحبل وانعقد الوصل.

إذا ما أتى نهراً ليعبره كبا جوادي وينزو في الجبال ويسبق
يطل من الآكام في حلقاتها وعن معبر الأنهار خوفاً يحلق

في النصوص المحرمة/٥٦ قال أبو نواس:

وعاذلة تلوم على اصطفائي غلاماً أهيفاً مثل المهاة
وقالت قد حرمت ولم توفق لطيب هوى وصال الغانيات

اللواط والحقوق الاجتماعية والزوجية

وحيث أن اللواط من كباير الذنوب فهو يؤثر على مكانة فاعله الاجتماعية وذلك بسقوط عدالته وأمانته فلا تقبل شهادته ولا يصح الائتمام به في الصلوة ولا يؤتمن على مال ولا عرض ولا سر ولا يعطى من الزكاة إذا كان فقيراً ولا تحل معاشرته ولا معاملته وزيارته واستضافته

والتسليم عليه ولا عيادته في مرضه حتى يثوب وتظهر توبته ففي ذلك كله تعاون نهى الله عنه بقوله: ﴿ولا تعاونوا على الإثم والفسوق والعصيان..﴾.

واتفق الفقهاء أن من فعل بغلام فأولج فيه حرمت عليه أم الغلام وإن علت وابنته وإن سفلت واخته شقيقة أو لأحد الأبوين لما رواه في الوسايل ٣٣٩/١٤ عن الكليني بسنده عن الصادق(ع) أنه سئل عن الرجل يعبث بالغلام قال: إذا أوقبه حرمت عليه بنته وأخته وفي ص ٣٤٠ رواه بإسناد آخر عن الشيخ الطوسي وبإسناده عن إبراهيم بن عمر عن أبي عبد الله(ع) في رجل لعب بغلام هل تحل له أمه قال إن كان ثقب ـ أي أولج عضوه فيه ـ فلا تحل وبإسناد الحديث الأول أنه سئل عن رجل يأتي أخا امرأته قال إذا أوقبه فقد حرمت عليه المرأة.

ويحمل الفقهاء هذا التحريم على اللواط السابق على الزواج أما المتأخر عن عقد النكاح فلا يحدث شيئاً فلو تزوج رجل بإمرأة ثم عبث بإبنها من غيره أو بأخيها أو أبيها لم تحرم عليه لأن الحرام لا يحرم الحلال كما وردت بذلك نصوص أخرى.

١٠

عقوبات اللواط

أما عقوبات هذه الفاحشة الشنعاء فمنها ما صدر بحق مرتكبيها في الدنيا ومنها ما صدر بحقهم في الآخرة.

أما عقوبات الدنيا فهي أقسام طبيعية وقانونية وسماوية.

أما الطبيعية من عقوبات اللواط فنعني بها ما أصابتهم به الطبيعة من الأمراض الزهرية والأسقام الجنسية كالسوزنك والابنة والإيدز وقد فصلنا الحديث عنها مجملاً فيما سبق وذكره الشيخ محمد علي دخيل في كتابه: (الشذوذ الجنسي عن مجموعة كبيرة من الأطباء والعلماء والدكاترة من قديم وحديث إلاّ مرض (الإيدز) فإنه لم يكن قد انتشر وعرف في زمانه لذلك وعدنا بالحديث عنه هنا.

مرض الإيدز الفتاك

الإيدز كلمة تطلق على مرض قديم من الأمراض الزهرية اكتشف مؤخراً في الأوساط الأميركية كان مسمى من قبل بأسماء أخرى وسمي اليوم بهذا الاسم (إيدز).

وإن أول ظهور (الإيدز) كان عند قوم لوط ثم عند مصر الفرعونية كما عرف أثناء حملة نابليون على مصر ومحاولة اقتحامه أسوار عكا.

وظهر (الإيدز) منذ زمن بعيد وفي عصور مختلفة فقد أصيب به قوم لوط وسموه داء (الغسف الأول) بسبب الانحلال والفسق الذي ساد بين هؤلاء القوم وفي عصر الاستعباد الفرعوني حيث كان يعامل العمال مثل الحيوانات ويعيشون بالحظاير بعيداً عن أسرهم وزوجاتهم لأشهر وسنوات فدفعتهم الغلمة لأن ينكح بعضهم بعضاً وكانوا يعاشرون الحيوانات

فيصبون منها فتفشى بينهم هذا المرض وسموه (لعنة الفراعنة) وقد توصل أطباء الفراعنة إلى علاج له.

كما اكتشفه المسلمون الأوائل أيضاً وسموه (أفعى الزنا) وسماه بعض الأطباء (الحمى الحمراء). وفي حملة نابليون بونابرت على مصر حاول أن يغزو عكا فحشد جنوده عند أسوارها ليقتحموها فمكثوا هناك مدة طويلة وغلب الشبق عليهم فاندفعوا يطأ بعضهم بعضاً ونتيجة الشذوذ والإنحراف بينهم أصيب الآلاف منهم بالمرض للذي سموه (الطاعون) رغم أنه كان الإيدز ولأن الطاعون كان له علاج وقتها حاولوا علاج الإيدز وفشلوا ولهذا جمع نابليون جنوده المرضى بالإيدز في حظيرة يعدهم بوصول أطباء تعالجهم فلما كان الليل أرسل عليهم ناراً فأحرقتهم منعاً لتفشي المرض وعدواه.

مصادر الإصابة بمرض الإيدز

وقد ألّف العلماء والحكماء في الإيدز كتباً كثيرة وذكروا فيه أبحاثاً مطولة وأهمها كتاب (الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها) للدكتور محمد علي البار المستشار الباحث في كلية الطب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة في المملكة العربية السعودية فقد تناول هذا المرض من جميع جهاته ومتعلقاته وذكر أن هذا المرض هو الذي وعد به رسول الله(ص) في ما رواه (ص ١٥١) عن الحاكم والبزاز وابن ماجه عن النبي(ص) أنه قال: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها الإ فشا فيهم الأوجاع والطاعون التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا.

قال البار: ويطلق لفظ الطاعون على كل وباء على سبيل المجاز وإلاّ فهو وباء مخصوص تسببه ميكروبات من فصيلة (برسينيا) وتنقله البراغيث من الفئران للإنسان فها هي الأوجاع والطاعون تنتشر في هؤلاءِ الذين أعلنوا الفاحشة وتمرغوا في أوحال الرذيلة ـ وفي ص ١٣٤ ـ لدى من يمارسون الزنا ولدى البغايا وينتشر بصورة مكبرة في الذين يتعاطون المخدرات بواسطة الحقن الزرق في الوريد ـ ص ١٣٥ ـ وعند إجراء الدراسة لهؤلاء المصابين تبين أن جهاز المناعة لديهم قد أصيب إصابة بالغة وأن الخلايا اللمفاوية من نوع (T) قد انخفضت جداً ومن ذلك الوقت عام ١٩٨١م أطلق على هذا الوباء الجديد اسم (إيدز) ـ ص ١٣٣ ـ ومعناه (مرض فقدان المناعة المكتسب) بدون سبب طبي أو وراثي.

الأمراض المنتشرة في الشاذين جنسياً

وذكر الدكتور محمد علي البار في كتابه (الأمراض الجنسية)/٤٧. تنتشر الأمراض الجنسية في الشاذين جنسياً بصورة مرعبة حقاً ويكادون ينفردون ببعض الأمراض وأشهرها وأكثرها إثارة (الإيدز) مرض فقدان المناعة المكتسب الذي انتشر في الولايات المتحدة منذ أن ظهر لأول مرة

العام ١٩٧٩م وفي نهاية العام ١٩٨٣م كان مجموع حالات الإيدز في الولايات المتحدة ٣٠٦٤ حالة أما المجموع العالمي فقد تجاوز خمسة آلاف حالة وقد توفي أكثر من ٦٠٪ من مجموع الحالات وفي بعض المناطق مثل كندا كانت نسبة الوفيات ٦٨٪.

وخطورة هذا المرض أنه يقضي على صاحبه في خلال عامين أو أقل من ظهور الأعراض وسببه النقعي الكثير في وسايل الدفاع المتمثلة بصورة خاصة في الخلايا اللمفاوية من نوع T التي تقل كثيراً من الدم.

ورغم أن الزهري قد انخفض في معظم أنحاء العالم وخاصة في أوروبا وأميركا إلاّ أن الحالات ـ الزهري الأولي والثانوي ـ بدأت في الارتفاع ومعظم هذه الحالات الجديدة هي للشاذين جنسياً وتتراوح النسبة ما بين ٤٠ إلى ٧٦٪ من جميع حالات الزهري ففي المدن الكبرى من لندن ونيويورك ولوس أنجلوس تبلغ النسبة قريباً من ثلاثة أرباع مجموع حالات الزهري أما في المناطق الريفية فتقل النسبة كثيراً.

وينتشر السيلان بمبلغ ٢٤ ضعفاً عند الشاذين جنسياً بالمقارنة مع غيرهم وكذلك التهاب مجرى البول من غيرهم وكذلك التهاب مجرى البول من غير السيلان الذي نسميه الكلاميديا والميكوبلازما وغيرها من الميكروبات في الشاذين جنسياً بصورة تبلغ سبعة أضعاف ما هي عليه عند الزناة.

وكذلك ينتشر بينهم الهربس بصورة تبلغ عدة أضعاف ما هي عليه عند الزناة كما أن سرطان الشرج وقناة الشرج يحدث عند هؤلاء الشاذين بصورة كبيرة بالمقارنة مع غيرهم من الزناة.

كما أن هذه الأمراض الوبيلة تكثر في أفواه وحلوق وبلاعيم القوم الشاذين جنسياً لانتشار هذه الممارسات الشاذة بينهم وذلك بالإضافة إلى إصابة القناة الشرجية والجهاز الهضمي.

كما أن إصابة الكبد بفيروس الكبد من فصيلة B والمسبب لتليف الكبد وسرطان الكبد منتشر بصورة خاصة في المجتمعات الغربية لدى هؤلاء الشاذين جنسياً وفي ص ٥ قال وتتلخص الأمراض الناتجة من الشذوذ فيما يلي.

١ ـ ورم كابوسي ساركوما وغرن كابوسي وهو غرن خبيث ينتشر في اللواطين وهو إحدى العلامات المميزة لمرض الإيدز.

٢ ـ إلتهاب الكبد الفيروس من نوع B المنتشر لدى الشاذين جنسياً وعلاقته بسرطان الكبد.

٣ ـ سرطان الفم واللسان ولقد وصف حديثاً في مجلة اللانسنت وهو مرض يظهر على

هيئة بقع بيضاء على جوانب اللسان أو الفم وسرعان ما تتحول إلى سرطان وهو مرض لم يوصف في غير الشاذين جنسياً حتى الآن وهو مصحوب بانخفاض المناعة ويرتبط بنوعين من الفيروسات هما Virus & Papillon وفيروس الهربس Herpes R.

٤ ـ انتشار الزهري بين الشاذين جنسياً وبقع اللسان البيضاء (Leukoplakia) التي تظهر على اللسان خاصة وسرعان ما تتحول إلى سرطان.

٥ ـ زيادة في سرطان الشرج والمستقيم وتعزى إلى تكرر الإلتهابات في الشرج والمستقيم.

وهذه الأمراض يشترك فيها كل من الفاعل والمفعول به من اللواطيين وربما أصيب بها المتساحقات من النساء إذا تكرر منهن ممارسة السحاق بدون انقطاع.

... وفقدان المناعة في الجسم يؤدي إلى انتشار الميكروبات والفيروسات والبكتيريا والطفيليات والفطريات في جسم المصاب المعروفة باسم (الأخماج الانتهازية) وانتشار ورم خبيث يدعى غرن (ساركوما) كابوسي وتختلف الإصابة بالإيدز من قطر لآخر فأكثر من يصابون به في أميركا وأوروبا أهل الشذوذ الجنسي وفي أفريقيا وزائير هم الزناة والعواهر وفي البرازيل وما حولها هم الذين يتعاطون المخدرات أما في أقطار الخليج العربي فأكثر ما تكون الإصابة بالإيدز في الدم المستورد من الخارج إذا نقل إلى جسم المريض.

العقوبة القانونية الإسلامية

وأما العقوبة الثانوية فمنها ما صدر في حقهم من الأديان السماوية وهو ما حكم به الإسلام وهذه العقوبة تختلف بحسب اختلاف الفاعل والقابل والذي أتى الفعل مرة أو مرتين وأقلع عنه والذي استمر عليه ويختلف المستمر عليه بأنه مكره عليه بسبب الأبنة أو أنه قد اتخذه مكسباً يرتزق منه ويختلف الفعل الذي ارتكبه بين أن يكون قدأوقب أي أولج عضوه في الشرج أو أنه أرسل عضوه بين الإليتين بدون إيلاج ويسمى تفخيذاً أو لم يرسل العضو في الأعضاء الأثيمة بل التزم الغلام وقبله.

وإنما يثبت الحدود والعقاب بثبوت الجريمة وهي لا تثبت إلاّ بالاعتراف اختياراً بدون ضغط ولا إكراه ثلاث مرات بدون اختلاف في التعبير عنها أو قيام البيئة على صدورها بأربعة شهود عدول لا تختلف إفادة أحدهم عن إفادة الآخر كالشهادة على جريمة الزنا فإن تأخر أحد الشهودعن الحضور أو عدل عن قوله أو اختلف عن أقوال الآخرين كان للمدعى عليهم بالفاحشة الحق في أن ينتقموا من الشهود بإقامة حد القذف عليهم ثمانين جلدة وهي المشار إليه بقوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾ النور/٤ وفي الوسايل ١٤/٤١٨ عن السندي بن

محمد بسنده عن أمير المؤمنين(ع) ـ في حديث سنذكره ـ قال: ويجلد الحد من يرمى به بريئاً، وإذا ثبت الحكم فالحد على أقسام:

القسم الأول: فاعل الذنب وهو أصناف:

١ ـ أن يكون قد فعل الفاحشة مرة أو مرتين لا على جهة الإصرار فإن كان أولج عضوه في الشرج فحكمه حكم الزاني فإن كان غير محصن جلد مائة جلدة وإن كان محصناً رجم بالأحجار حتى الموت وعليه يحمل ما رواه في الوسايل ٤١٨/١٨ عن قرب الإسناد بسنده عن الحسين بن علوان وعن ابن البحتري عن الصادق عن أبيه عن أمير المؤمنين(ع) قال: حد اللوطي حد الزاني إن كان محصناً رجم وإن كان عزباً جلد مائة جلدة وفي ص ٤٢١عن الشيخ الطوسي بسنده عن الصادق(ع) في الذي يوقب ـ أي يفعل بالغلام حتى يولج العضو في شرجه ـ أن عليه الرجم إن كان محصناً وعليه الجلد إن لم يكن محصناً ومثله عن أبي بصير عن الصادق(ع) قال: إن في كتاب علي(ع): إذ أخذ الرجل مع غلام مجردين ضرب الرجل وأدب الغلام ـ غير بالغ الحلم ـ فإن ثقب ـ أي أولج عضوه في شرجه ـ وكان محصناً رجم ومثله ص ٤١٥ عن علي بن إبراهيم عنه(ع).

٢ ـ أن يتخذ هذا الفعل عادة يسير مصراً عليه بأن يتخذ له قريناً كزوجة له كما هي عادة قوم لوط فحكمه كحكمهم الإعدام ضرباً بالسيف أو رمياً بالرصاص سواء كان محصناً أو غير محصن وعليه يحمل ما رواه في الوسايل ٤١٩/١٨ عن الكليني بسنده عن سيف التمار عن الصادق(ع) قال: أتى علي بن أبي طالب(ع) برجل معه غلام يأتيه فقامت عليهما البيّنة بذلك فقال: يا قنبر النطع والسيف ثم أمر بالرجل فوضع على وجهه ووضع الغلام على وجهه ثم أمر بهما فضربهما بالسيف حتى قدهما جميعاً قال صاحب الوسايل: وهو محمول على بلوغ الغلام.

٣ ـ أن يكون فعل ولم يولج عاجزاً أو سبقه الأمناء فحكمه أن يجلد محصناً أو كان غير محصن وعليه يحمل ما رواه في الوسايل ٤١٦/١٨ عن الكليني بسنده عن سليمان ابن هلال عن الصادق(ع) في الرجل يفعل بالرجل قال: إن كان دون الثقب ـ أي بدون إيلاج ـ فالجلد وإن كان ثقب أقيم قائماً وضرب بالسيف يأخذ منه السيف ما يأخذ ومثله ما رواه ص ٤١٧ عن الشيخ الطوسي بسنده عن الحسن بن سعيد عن أبي الحسن(ع) في رجل يلعب بالغلام بين فخذيه فكتب (ع) لعنة الله على من فعل ذلك وسئل ما حد رجلين وجدا نائمين في ثوب واحد؟ فكتب مائة سوط.

٤ ـ أن يكون قد فعل الفاحشة بمحرم له لو كان أنثى كولده أو أخيه أو خاله أو عمه أو

ربيبه ـ ابن زوجته من غيره ـ فإنه يقتل ضرباً بالسيف أو رمياً بالرصاص سواء كان محصناً أو غير محصن لما رواه في الوسايل ٤١٨/١٨ عن الكليني بسنده عن أبي بكر الحضري عن الصادق(ع) قال: أتي أمير المؤمنين(ع) وزوجها قد لاط بابنها من غيره وثقبه وشهد عليه بذلك الشهود فأمر به فضرب بالسيف حتى قتل.

٥ ـ أن يكون قبل غلاماً بشهوة من غير تفخيذ ولا إيقاب فحكمه أن يجلد مائة جلدة لما في الوسايل ٤٢٢/١٨ عن الكليني بسنده عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله(ع) محرم قبل غلاماً بشهوة ماذا عليه؟ قال: يضرب مائة سوط ا.هـ. ولكن الحكم يجب أن يقصر على ما إذا كان المقبّل في حال إحرام بحج أو عمرة أو كان كان محرَماً بالنسبة للغلام كأبيه وأخيه وعمه وخاله لأن كلمة (محرم) تحتمل الوجهين.

القسم الثاني: في حكم القابل وهو المفعول به وهو أصناف:

١ ـ أن يُفعل به ذلك مرة أو مرتين من غير إصرار فإن حكمه حكم الزانية إن كان محصناً رجم وإن كان غير محصن جلد مائة جلدة وعلى ذلك يحمل ما رواه في الوسايل ٤١٦/١٨ عن الكليني بسنده عن زرارة عن أبي جعفر(ع) قال: الملوط حده حد الزاني وفي ص ٤١٧ عن علي بن إبراهيم بسنده عن العلا بن الفضيل عن الصادق(ع) قال: حد اللوطي مثل حد الزاني إن كان قد أحصن رجم وإلاّ جلد رواه ص ٤١٨ عن قرب الإسناد عن أبي البحتري وعن الحسين بن علوان عن الصادق(ع).

واللوطي يطلق على الفاعل وعلى المفعول به.

٢ ـ أن يكون مصراً على هذه الفاحشة فإن كان قد اتخذها مكسباً يرتزق بها فحكمه القتل رجماً بالأحجار سواء كان محصناً أو غير محصن وعليه يحمل ما ذكره في الوسايل ٤١٨/١٨ عن بصاير الدرجات بسنده عن يزيد بن عبد الملك عن أبي جعفر(ع) قال: إن الرجم على الناكح والمنكوح ذكراً كان أو أنثى إذا كانا محصنين وهو على الذكر إذا كان منكوحاً أحصن أو لم يحصن ا.هـ. فإن قوله: إذا كان منكوصاً يعني أنه يتعيش بنكاح الرجال له وذكر الذهبي في الكباير ص ٥٥ عن ابن عباس في المنكوح من الرجال قال: ينظر الحاكم أعلى بناء في القرية فيلقى منه ثم يتبع بالأحجار كما فعل بقوم لوط.

٣ ـ أن يعتبر نفسه زوجة لصاحبه فحكمه أن يقتل بالسيف لما رواه في الوسايل ٤١٧/١٨ بسنده عن حماد بن عثمان قال: قلت لأبي عبد الله(ع): رجل يأتي رجلاً؟ قال: عليه إن كان محصناً القتل وإن كان غير محصن الجلد قلت: فما على المؤتى به؟ قال:

عليه القتل على كل حال محصناً كان أو غير محصن، ومثله الحديث الذي سبق ذكره عن الكليني بسنده عن سيف التمار عن الصادق(ع) قال: أتي علي(ع) برجل معه غلام يأتيه ـ أي اتخذه زوجة له ـ فقامت عليهما البيّنة، فقال: يا قنبر النطع والسيف ثم قتلهما معاً.

فقد ذكرنا فيما سبق أن سبب قتل الفاعل إن اتخذه اللواط بدل الزواج والغلام بدل الزوجة كما تفعله قوم لوط وقد أعدمهم الله بأن خسف بهم الأرض وحصبهم بالأحجار.

أما سبب قتل الغلام بالسيف فلأنه اعتبر نفسه زوجة لصاحبه يعيش مما ينفق صاحبه عليه وذكرنا أن الحكم عليه بالإعدام يقتضي أن يكون بالغ الحلم أما غير البالغ فلا يقتل بل يؤدب.

أما إذا استمر على هذه الحال مدى الحياة فإن حكمه أن يقتل آخر حياته ويحرق بالنار وعليه يحمل ما رواه في الوسايل ٤٢٠/١٨ عن الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه بسنده عن السكوني عن الصادق(ع) عن أمير المؤمنين(ع) قال: لو كان ينبغي لأحد أن يرجم مرتين لرجم اللوطي.

وعن محمد بن يحيى بسنده عن عبد الرحمن العرزمي عن الصادق عن أبيه(ع) أن رجلاً ينكح في دبره قدم إلى عمر بن الخطاب (رض) ليحكم فيه، فقال لأمير المؤمنين(ع) ما ترى فيه؟ قال: أرى فيه أن تضرب عنقه فأمر فضربت عنقه وقال خذوه فقال علي(ع) بقيت له عقوبة أخرى قال: وما هي؟ قال: احرقوه بالنار.

قال: ورواه الشيخ الطوسي بإسناده عن أبي علي الأشعري مثله.

وفي ص ٤٢١ عن البرقي في المحاسن عن الصادق(ع) أن رجلاً قدم إلى خالد بن الوليد كان يؤتى في دبره كما تؤتى المرأة فكتب بأمره إلى أبي بكر بن أبي قحافة أيام خلافته فأشار الناس عليه بقتله، فقال علي(ع): أحرقه بالنار فإن العرب لا تعد القتل شيئاً.

ورواه الشيخ أحمد الهيثمي في الزواجر ١٣٤/٢ عن البيهقي عن محمد بن المكندر وقال: حرق اللوطيين بالنار أربع خلفاء وهم: (١) أبو بكر و(٢) علي بن أبي طالب(ع) و(٣) عبد الله بن الزبير أيام خلافته في الحجاز و(٤) هشام بن عبد الملك أيام خلافته في الشام.

٥ ـ أن يكون مأبوناً أي مصاباً بالأبنة لا يقدر على الامتناع من أن يفعل به فحكمه الرجم

حتى الموت محصناً كان أو غير محصن ويدل عليه ما رواه في الوسايل ٤٢١/١٨ عن علي بن إبراهيم بسنده عن الصادق(ع) عن أمير المؤمنين(ع) قال: إذا كانِ الرجل كلامه كلام النساء ومشيته مشية النساء ويمكن من نفسه ينكح كما تنكح المرأة فارجموه ولا تستحيوه.

وفي الوسايل ٢٤٩/١٤ عن الكليني بسنده عن يونس عن الصادق(ع) قال: حرمة الدبر أعظم من حرمة الفرج فإن الله أهلك أمة لحرمة الدبر ولم يهلك أمته لحرمة الفرج وفي ص ٢٥٠ عن علي بن إبراهيم بسنده عن ميمون البان عن الصادق(ع) في قوله تعالى: ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ قال: من مات مصراً على اللواط لم يمت حتى يرميه الله بحجر من تلك الحجارة تكون فيه منيته ولا يراه أحد وفي ص ٢٥١ عن البرقي في المحاسن بسنده عن إسماعيل بن مسلم عن الصادق عن النبي(ص) قال: لما عمل قوم لوط ما عملوا بكت الأرض إلى ربها حتى بلغت دموعها الغمام وبكت السماء حتى سقطت دموعها في البحار فأوصى الله إلى السماء أن أحصبيهم بحجارة من سجيل وأوصى الأرض أن اخسفي بهم.

حديث أساف ونائلة

الوسايل ٢٥١/١٤ عن قرب الإسناد بسنده عن مسعدة بن صدقة عن الصادق عن أبيه أن أمير المؤمنين(ع) سأل عن صنمي أساف ونائلة وعبادة قريش لهما، فقال: إنهما كانا شابين صبحين وكان بأحدهما تأنيث وكانا يطوفان بالبيت فصادفا من الناس خلوة فأراد أحدهما صاحبه ففعل فمسخهما الله حجرين فلما رأتهما قريش قالت: لولا أن الله يريد أن تعبدهما الناس لما مسخهما حجرين فعبدوهما، ورواه الكليني عن علي بن إبراهيم عن هرون بن مسلم ا.هـ. وليس بكثير ولا ببعيد أن يمسخ أهل اللواط في الدنيا أحجاراً فهو مستحقهم من العذاب ولكن المشهورين المؤرخين أنهما رجل وامرأة أصابا الفاحشة في المسجد الحرام وقيل في الكعبة المشرفة فمسخا حجرين، وهما من جرهم الرجل أساف بن عمرو بن يعلى بن مناة والمرأة: نائلة بنت زيد بن مهل ابن ذيب بن زنبل بن ديك كانت فائقة في الحسن والجمال التقيا عند الحجر الأسود في خلوة من الناس فعملا الفاحشة فمسخهما الله حجرين، فقال الناس: إن الله قد اختارهما للعبادة في خلقه لنتقرب بهما إليه فوضعوا أحدهما عند الكعبة والآخر في موضع زمزم وصاروا يطوفون بهما ثم نقل الثاني إلى الأول عند الكعبة وصاروا ينحرون عندهما، ثم أخرجهما عمرو بن لحي فنصب أساف على الصفا ونائلة على المروة فكان الناس يقصدون بالسعي عبادتهما وفي عام الفتح أمر النبي(ص) بتحطيمهما وتركوا السعي بين الجبلين ظناً أنه

عبادة لهما فنزل قول تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾.

وفي الوسايل ٢٥٦/١٤ عن الصدوق بإسناده عن علي(ع) قال: كنت مع النبي(ص) في المسجد إذ أتاه رجل به تأنيث فسلم عليه فأكب النبي على الأرض يسترجع وقال: أيكون مثل هؤلاء في أمتي أنه لا يكون مثلهم في أمة إلاّ عذبت قبل الساعة.

٦ ـ أن يكون المفعول به غلاماً غير بالغ الحلم فإنه يؤدب ويضرب دون الحد ويستتاب أن لا يعود إلى الفاحشة مرة أخرى ويدل عليه حديث الكليني الذي سبق ذكره عن الصادق(ع) في الرجل الذي فعل بابن زوجته من غيره وكان غلاماً ـ لم يبلغ الحلم ـ أن أمير المؤمنين(ع) قتل الفاعل بالسيف وضرب الغلام دون الحد وقال: أما لو كنت مدركاً لقتلتك لإمكانك إياه من نفسك يثقبك. وفي ص ٤٢١ أن في كتاب علي(ع): إذا أخذ الرجل مع غلام في لحاف مجردين ضرب الرجل وأدب الغلام.

أما حديث سيف التمار عن الصادق (ع) الذي سبق أن علياً(ع) أتي برجل معه غلام يأتيه فأمر بالنطع والسيف وقتلهما فإنه يحمل على أن الغلام قد بلغ الحلم كما قال صاحب الوسايل.

العقوبة السماوية

وأما العقوبة السماوية فهي ما صدر بقوم لِوط من الله في الدنيا حين استساغوا هذه الفاحشة واستقروا عليها وأعرضوا عن هداية لوط ونصحه ووعظه وإنذاره فقد خسف بمدائنهم السبع وطواها تحت الأرض قال تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود، سومة عند ربك وما هي من الظالمين﴾ الذين يعملون عملهم ويسيرون على نهجهم (ببعيد) هود/٨٣ ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين، فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل. وإنها لبسبيل مقيم﴾ الحجر/ ٧٧ قال في الشذوذ الجنسي: ص ٢٦ ويقال إن بحيرة قوم لوط الحالية وجدت بعد هذا الحادث بعد انقلاب عمورية وسدوم في باطن الأرض وهبوط مكانهما وامتلاءه بالمياه وتقع هذه القرى المنكوبة بين الحجاز والشام على قارعة الطريق تمر بها القوافل والظعاين كل وقت وحين كما قال: وإنها لبسبيل نعيم.

وأما عقوبات اللواط في الدار الآخرة فهي قسمان منها ما يقع بمرتكبيه في عالم البرزخ ومنها ما يقع في عالم القيامة.

عقوبته في عالم البرزخ

أما عقوبته في البرزخ أي فيما بعد الموت إلى يوم القيامة، فقد ذكر النستري في قضاء أمير المؤمنين(ع) ص ١٦١ عن المناقب عن القاضي النعمان قال: رفع إلى عمر بن الخطاب أيام

خلافته عبد قتل مولاه ليحكم فيه فسأله فاعترف فأمر بقتله فدعاه أمير المؤمنين(ع) وقال: هلمَّ يا غلام لمَ قتلت مولاك؟ قال: لأنه غلبني على نفسي وفعل بي فعل قوم لوط وأتاني في ذاتي.

فالتفت (ع) إلى أولياء المقتول وقال: هل دفنتم صاحبكم؟ قالوا: نعم، قال ومتى دفنتموه؟ قالوا: الساعة، فالتفت إلى عمر وقال: احبس الغلام ولا تحدث فيه حدثاً حتى تذهب ثلاثة أيام وقال لأولياء المقتول: اذهبوا واحضروا إلينا بعد ثلاثة أيام فلما مضت ثلاثة أيام حضروا فأخذ علي بيد عمر وخرجا مع الأولياء حتى أوقفوهما على قبر المقتول، فقال علي(ع): أهذا قبر صاحبكم؟ قالوا: نعم قال: احفروه فحفروا حتى انتهوا إلى اللحد قال اخرجوا ميتكم! فنظرا إلى أكفانه في اللحد وليس هو فيها فقالوا: إنّا نجد أكفاناً ولا نرى فيها ميتاً! فقال(ع): الله أكبر لقد صدق الغلام فيما ادعاه على قتله إنه فعل به فعل قوم لوط وإني سمعت رسول الله(ص) يقول من مات على عمل قوم لوط فإنه يؤجل حتى يوضع في لحده فإذا وضع فيه لم يمكث أكثر من ثلاثة أيام حتى تقذفه الأرض إلى جملة قوم لوط المهلكين ليحشر معهم.

وذكر الذهبي في الكباير ص ٥٩ والشيخ أحمد الهيثمي في الزواجر ١٣٢/٢: عن النبي(ص) أن المسيح عيسى(ع) مرَّ في سياحته على نار توقد على رجل فأخذ ماء ليطفيء عنه النار فانقلبت النار صبياً وانقلب الرجل ناراً فتعجب المسيح من ذلك وقال: يا رب ردهما إلى حالهما قبل هذا العذاب لأسألهما عن خبرهما فأحياهما الله تعالى وإذا هما رجل وصبي فقال لهما المسيح: ما خبركما؟ فقال الرجل: يا روح الله كنت في الدنيا مبتلي بحب هذا الصبي فحملتني الشهوة أن فعلت به الفاحشة فلما أن متنا صير الصبي ناراً يحرقني مرة ثم أتحول ناراً أحرقه مرة أخرى فهذا عذابنا إلى يوم القيامة.

وفي الكباير عن ابن عباس أن اللوطي إذا مات من غير توبة مسخ في قبره خنزيراً.

وقد سبق الحديث في فرحة (سبب الإصابة بالإبنة) عن الكباير للذهبي بسنده عن أمير المؤمنين(ع) قال: من أمكن من نفسه حتى ينكح طائعاً ألقى الله عليه شهوة النساء وجعله شيطاناً رجيماً في قبره إلى يوم القيامة.

عقوبة اللواط يوم القيامة

وأما عقوبته يوم القيامة ففي الوسايل ٢٥٢/١٤ عن الكليني بسنده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله عن رسول الله(ص) قال: وأن الرجل ليؤتى في عقبه فيحبسه الله على جسر جهنم حتى يفرغ الله من حساب الخلايق ثم يؤمر به إلى جهنم فيعذب في طبقاتها طبقة طبقة حتى يرد إلى أسفلها ولا يخرج منها.

ورواه في الشذوذ ص ٤٢ عن الوسايل واللئالىء عن النبي(ص) قال: إذا لاط أحد بأحد اهتز منه عرش الرحمن وحبس على جسر جهنم حتى يفرغ الله من حساب الخلائق.. الخ.

وفي الوسايل ٢٥٤/١٤ عن الكليني بسنده عن ابن القداح عن الصادق(ع) عن أبيه قال: ما ابتلى الله بهذا البلاء ـ يعني الأبنة ـ أحداً له فيه حاجة ثم قال: إن الله أقسم بعزته وجلاله أن لا يقعد على حرير الجنة واستبرقها من يؤتى في دبره ومثله في المعنى عن زكريا بن محمد عن أبيه عن عمرو عن أبي جعفر(ع).

وفي ص ٢٤٣ عن الصدوق في عقاب الأعمال بسنده عن أمير المؤمنين(ع) أن رسول الله(ص) خطب الناس ـ وهي آخر خطبة خطب بها ـ فقال: ومن نكح امرأة حراماً في دبرها أو رجلاً وغلاماً حشره الله يوم القيامة أنتن من الجيفة يتأذى به الناس حتى يدخل جهنم ـ ولا يقبل الله منه حرفاً ولا عدلاً وأحبط الله عمله ـ ويدعه في تابوت مشدود بمسامير من حديد ويضرب عليه في التابوت بصفايح حتى يشتبك في تلك المسامير فلو وضع عرق من عروقه على أربعمائة أمة لماتوا جميعاً وهو من أشد أهل النار عذاباً.

١١

خطورة وطيء الأدبار

ويعتبر وطيء الأدبار من أخطر ما يجنيها الإنسان على نفسه سواء كان في إنسان أو حيوان ذكراً كان أم أنثى بما في ذلك إتيان الزوجة في دبربها وسواء قلنا بالحل أو التحريم فإن حكمه حكم الارتماء في حفرة الكنيف فليس كلما سكت عنه الشرع يعتبر حلالاً مع وجود الأضرار فيه فالدبر الذي منع الله من إتيانه في الغلمان هو نفسه الذي في المرأة ويحمل كل الصفات التي يحملها دبر الغلام بما فيه من أقذار وأضرار.

وقد ذكرنا في مرض الإيدز أن أكثر من يصاب به هم الشاذون في الجنس الذين يمارسون الجنس في الأدبار قال الدكتور محمد علي البار في كتابه (الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها ص ١٤٠ إن أكثر من سبعين في المائة في الولايات المتحدة وأوروبا هم الذين يصابون بمرض الإيدز وفي ص ١٥٥ فإن الناس يخافون من الشاذين جنسياً أن يصابوا منهم بالإيدز.

ففي ولاية كاليفورنيا أعدت ذات مرة وجبة طعام في أحد المطاعم لكبار من رجال السياسة فحضروا وأكلوا منها ثم أعلن أن الذي أعدّ لهم الطعام مصاب بتليف الكبد وقد يكون ناتجاً عن التهاب الكبد الفيروسي الذي يصاب به الشاذون جنسياً فلما سمع المدعوون بذلك أهرعوا كلهم إلى المختبر ليفحصوا دماءهم عما إذا تلوثت أو اعتلقت بفيروس الإيدز.

وقال في ص ١٤١ ويشكون ما بين ٧٠ إلى ٧٤ بالمائة من جميع حالات الإيدز في الولايات المتحدة وأوروبا ويتحدث (وليام فوج) مدير مركز مراقبة الأمراض في أتلانتا بأميركا عن هذه الفئة من الناس أنهم لا يكتفون بالعلاقات الجنسية الشاذة مع عدد محدود من إخوانهم وإنما يتصلون بكل من يرونه صالحاً للاتصال ولذا فإن معدل الذين ينكحونهم في العام يبلغ ستين شخصاً أو أكثر وأن تحية هؤلاء هو النكاح ثم السلام والحديث ويبلغ عدد الشاذين جنسياً

في الولايات المتحدة حوالى عشرين مليوناً وفي بريطانيا اعترف واحد من كل خمسة من الأشخاص المتزوجين بأنهم لا يزالون يمارسون الشذوذ الجنسي ولا يزالون يعانون من التهاب الكبد الذي لا يستريحون منه إلاّ بشرب المخدرات لذلك فإن أعمار الكثير منهم لا تتجاوز (٣٥) سنة أو أقل وقل من يموت منهم إلاّ بالإيدز أو مرض زهري.

إتيان الزوجة من الخلف في القُبل

ويستثنى من أعمال قوم لوط التي حرمها الإسلام أمور (الأول) إتيان الزوج والمولى الزوجة والأمة من الخلف في القبل كما تؤتى البهائم فقد كان البعض من المتشرعين يتحرجون من فعله لما فيه من مشابهة اللواط وضراب الفحولة فتفضل الله تعالى بإباحته وحله وأنزل ذلك على رسوله.

ذكر السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم إنّى شئتم..﴾ البقرة/ أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر قالا: إن الأنصار في المدينة كانت تأتي نساءها مضاجعة على جنوبهن كما تفعل اليهود وكانت قريش تشرح المواقعة شرحاً متنوعاً ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات ومحرفات وباركات وقاعدات وقائمات ومن الخلف ومن الأمام ولكن في صمام واحد وهو موضع الولد.

فاتفق أن رجلاً من قيس تزوج امرأة من الأنصار فأراد أن يأتيها من الخلف في القبل فامتنعت وقالت إنّا لا نؤتى إلاّ على حرف (أي على الجنب) فإن شئت هذا وإلاّ فاجتنبي فخرج وسأل رسول الله(ص) عن ذلك فنزل قوله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنّى شئتم﴾ أي قائماً وقاعداً ومضطجعاً وهن مقبلات أو مدبرات بعد أن يكون في صمام واحد أي سبيل واحد وهو موضع الولد وإنما رخص الإتيان من الخلف في القُبل لا الدبر.

وروى البيهقي في سننه عن عبد الرحمن بن سابط قال: سألت حفصة بنت عبد الرحمن فقلت لها: إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا استحيي قالت: اسأل يا بن أخي قال: أسألك عن إتيان النساء في أدبارهن قالت: حدثتني أم سلمة بنت أبي أمية المخزومية أم المؤمنين أن المهاجرين كانت تجبي النساء ـ أي تلقى وجوهن على الفراش وتأتيهن من الخلف في فروجهن والأنصار لا تجبى اقتداء بجيرانهم اليهود لأن اليهود تقول ماجباً امرأته كان الولد أحول وقالوا: إنّا نجد في كتاب الله أن كل إتيان تؤتى النساء به غير مستلقيات فهو دنس عند الله ومنه يكون الحول والخبل في الولد.

فلما قدم المهاجرون إلى المدينة نكحوا في نساء الأنصار فجبوهن فأبت امرأة منهن أن تطيع

زوجها المهاجر في ذلك وقالت: أحرج عليك أن تفعل بي ذلك حتى تسأل عنه رسول الله(ص) فربما كانت سيئة وجريمة.

قالت أم سلمة فأتتني المرأة وسألتني قلت: لا علم لي بهذا... فاجلسي حتى يأتي رسول الله(ص) فلما جاء استحيت الأنصارية أن تسأله وخرجت.. فذكرت أنا ذلك لرسول الله(ص) فقال: ادعوها فدعوناها فلما حضرت قال: اسمعي يا هذه لقد أنزل الله فيما تسألين عنه قرانا: ﴿نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنَّى شئتم.. الخ﴾.

كما ورد الترخيص في ذلك مصرحاً به في أحاديث أهل البيت ففي الوسايل ١٤/١٠٠ عن الشيخ الطوسي بسنده عن معمر بن خلاد قال: قال لي أبو الحسن(ع) أي شيء يقول الناس في إتيان النساء في أعجازهن؟ قلت له: بلغني أن أهل المدينة لا يرون به بأساً لقوله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنَّى شئتم﴾، فقال: إن الآية لا تعني الإتيان في الدبر بل الإتيان من الخلف في القبل لأن اليهود كانت تقول إذا أتى الرجل امرأته من خلفها في قبلها خرج الولد أحول فأنزل الله: ﴿نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنَّى شئتم﴾ إنه يعني بالحرث الفرج لأنه مزرعة الأولاد ويعني بأنَّى شئتم من الخلف أو الأمام في الفرج في موضع الولد.

وعن العياشي في تفسيره بسنده عن صفوان بن يحيى قال: سألت أبا عبد الله(ع) عن قوله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنَّى شئتم﴾ قال: آتها من قدامها ومن خلفها في القبل.

إتيان النساء في أدبارهن

(الثاني) من أعمال قوم لوط إتيان النساء في أدبارهن وقد اختلف فيه فقهاء المسلمين بين التحريم والحل على كراهة أي أنه مرجوح والأوْلَى تركه واجتنابه.

القول بالتحريم

والقول بالتحريم هو رأي علماء السنّة عامة إلاّ من شذَّ منهم وبعض فقهاء الشيعة واستدلوا عليه من القرآن بقوله تعالى: ﴿ ..فإذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله..﴾ أي من حيث أجاز ورخص لكم وهو موضع الولد والنسل فإنه على حد قوله: ﴿فاتوا البيوت من أبوابها﴾ فإن في الأمر بالإتيان من الباب تلميحاً للمتع من الإتيان من الخلف وقد قرر علماء الأصول أن الأمر بالشيء نهي عن ضده.

(٢) قوله تعالى ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾ الأعراف/ ١٥٧ ولا شك أن إتيان الأدبار من النساء أو الغلمان من أكبر الخبائث فقد قيل لبعضهم ألا ترغب أن تأتي امرأة

في دبرها؟ قال: إن هذا مما لبس الشيطان به على بني آدم حتى استحبوا الخبائث على الطيبات إني أفر من العذرة ولا أقدر على شحها فكيف أنبشها من منبعها وأبعثها من وكرها.

وقد سمى الله إتيان الأدبار من الخبائث في قوله ﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ الأنبياء/ ٧٤ فكما يصدق لفظ الخبيث على اللواط يصدق على إتيان الدبر من المرأة.

وجميع تلك الأضرار والأسقام والعاهات التي تتعقب اللواط فإنها تتعقب إتيان الأدبار من النساء لأن مصدرها اتصال العضو التناسلي بالنجاسة والقذارة وهي واقعة في الأدبار سواء كان الدبر لذكر أو أنثى كما لا فرق في المسكر بين أن يكون من عصير العنب أو التمر أو النعناع أو النبيذ أو الكحول فكله حرام والفرق بين دبر الغلام والزوجة هو أن دبر الزوجة يحل لك أن تنظره وتمسه وتلعب به ودبر الغلام لا يحل لك منه شيء وأن دبر الزوجة كالخمرة التي اشتريتها بمالك ودبر الغلام كالخمرة التي اغتصبتها من غيرك كما أن دبر المرأة يشمله الحديث الذي يقول إن الله حرّم على كل دبر مستنكح أن يجلس على استبرق الجنة وحريرها.

واستدلوا عليه من السنّة بما رواه في الوسايل ١٠١/١٤ عن الشيخ الطوسي بسنده عن سدير عن أبي جعفر عن رسول الله(ص) قال: محاش النساء على أمتي حرام وعن الصدوق القمي عن النبي(ص) قال: محاش نساء أمتي على رجال أمتي حرام، وعن العياشي في تفسيره عن زيد بن ثابت قال: سأل رجل أمير المؤمنين(ع) قال: هل يحل أن تؤتى النساء في أدبارهن؟ قال: سفلت سفل الله بك أما سمعت الله يقول: ﴿أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾.

أما ما روته علماء السنّة في تحريم الدبر من النصوص فلا يحصى لكثرته فهو من التواتر الذي لا يجوز رده أو معارضته فذكر الشيخ أحمد الهيثمي في الزواجر ٢٧/٢ و١٣٢ عن مشايخ الحديث عن ابن عباس في النبي(ص) قال: لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في دبرها وروى الطبراني بسنده عن النبي(ص) قال: من أتى النساء في أعجازهن فقد كفر وروى ابن ماجة والبيهقي عن النبي(ص) أنه قال: لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأة في دبرها وأخرج أحمد وأبو داود عنه(ص) قال: ملعون من أتى امرأة في دبرها، وعن أحمد والترمذي والنسائي عن النبي(ص) قال من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل الله على محمد وأخرج جماعة في صحاحهم عن ابن عمر عن النبي(ص) قال: إتيان المرأة في الدبر هي اللوطية الصغرى، وعن خزيمة بن ثابت عن النبي(ص) قال: إن الله لا يستحي من الحق قالها ثلاثاً ثم قال: لا تأتوا النساء في أدبارهن وعن جابر عنه(ص) قال: إياكم ومحاش النساء، وأخرج الدارقطني أنه قال: أستحيوا من الله لا يحل ما تاكم النساء في حشوشهن وروى النسائي وأبو حيان عنه(ص) قال: إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أستاههن ومثل ذلك روى

الذهبي في الكباير ص ٥٩ قال: أخرج مسلم: ويلحق باللواط إتيان المرأة في دبرها فهو مما حرمه الله.

وذكر السيوطي في الدر المنثور عند تفسير قوله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ قال: أما إتيان المرأة في الدبر فقد اختلف فيه الفقهاء فذهب معظمهم وأكثرهم إلى تحريمه حرمة لا رخصة فيها واستدلوا عليه بما رواه البيهقي عن أبي هريرة عن النبي(ص) قال: من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد.

وعن ابن عباس أن عمر بن الخطاب (رض) أتى رسول الله(ص) يوماً فقال: إني هلكت يا رسول الله قال: وما ذاك؟ قال: إني حولت رحلي البارحة فلم يرد النبي عليه شيئاً فنزل قوله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ فقرأها على عمر قال: ما معناها يا رسول الله؟ قال: معناها أن الرجل يحل له أن يتفكه مع امرأته كيف يشاء يأتيها أنى شاء من قبل قبلها وإن شاء من قبل دبرها غير أن المسلك واحد فأتها مجبأة ـ مولية) ومستقبلة فأقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة.

وقال ابن عباس: ائت حرثك من حيث نباته يأتيها كيف شاء ما لم يأتها في دبرها أو في الحيض وإنما الحرث من القبل الذي منه النسل والحيض، فقال رجل: فكيف قوله تعالى: ﴿فاتوا حرثكم أنى شئتم﴾ فقال ويحك وهل في الدبر من حرث!! لو كان ما تقول حقاً لكان إتيانها في الحيض منسوخاً إذ يمكنك إذ اشتغل الوطىء من هنا جئت من ههنا ولكن (أنَّى شئتم) من الليل والنهار وقال رجل لابن مسعود: هل يحل لي أن آتي امرأتي من حيث شئت قال: نعم وحيث شاءت قال: وكيف شئت؟ قال: نعم قال: وأنى شئت؟ قال: نعم ففطن له رجل وقال يا بن مسعود إنه يريد أن يأتيها من مقعدتها أيحل ذلك؟ قال: لا، لا، قال النبي(ص) محاش النساء عليكم حرام وقال(ص): لا تأتوا النساء في اعجازهن أو استاههن.

وبسنده عن عدة من علمائهم أخرجوا عن خريمة بن ثابت أن سائلاً سأل رسول الله(ص) عن إتيان النساء من أدبارهن قال: حلالاً ولا بأس به فلما ولّى دعاه فقال: كيف قلت من دبرها في قبلها فنعم أما من دبرها في دبرها فلا أن الله لا يستحي من الحق لا يحل ما أتى النساء في حشوشهن اتقوا محاش النساء وعن ابن عباس عن النبي(ص) قال: لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في الدبر وقال(ص) إتيان المرأة في دبرها هي اللواطة الصغرى وعن أبي هريرة عنه(ص) قال: ملعون من أتى المرأة في دبرها من أتى شيئاً من الرجال أو النساء في الأدبار فقد كفر وعن طاوس أن رجلاً سأل ابن عباس عن ذلك قال: هذا رجل يسألني عن الكفر وعن أبي الدرداء أنه قال: لا يفعل ذلك إلاّ كافر.

وعن عكرمة أن عمر (رض) ضرب رجلاً في مثل ذلك وفي عرائس الجنان ٢٠٨/٣: أن رجلاً قدمته امرأته إلى القاضي فقال لها:

ما تشتكين فقالت أشكو صاحبي ... في الليل يلبس نعله مقلوبا
فدعاه ويحك ما تقول؟ فقال ... لك جائز وأراه لي مرغوبا
قال: اجلدوه فما كفاه أنه ... يأتي الخنا حتى نفاه ذنوبا
لا ترحموه قد استحل محرماً ... وعلى الأئمة في اللواط كذوبا

وفي الدر المنثور عن أبي بن كعب: أن ذلك من علامات اقتراب الساعة وأن مما حرمه الله ورسوله ويحققه نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها ونكاح المرأة المرأة وليس لهؤلاء صلوة ما أقاموا على ذلك حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً وهي الندم على الفعل والعزم على عدم العودإليه وسأل طاوس عن ذلك قال: ذلك كفى وما بدا بذلك إلاّ قوم لوط أتوا النساء في أدبارهن وأتى الرجال الرجال.

قال: وأخرج النسائي والطبراني وابن مردويه عن أبي النضر أنه قال لنافع مولى عبد الله بن عمر إنك قد أكثر عليك القول: إنك تقول عن ابن عمر إباحة أن يؤتى النساء في أدبارهن فقال: قد والله كذبوا عليَّ. إن ابن عمر عرض المصحف يوماً وأنا عنده حتى بلغ قوله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ فقال: أتعلم أمر هذه الآية إنا كنا معشر قريش نجبى النساء فلما دخلنا المدينة ونكحنا نساء الأنصار أردنا منهن ما كنا نريد فإذا هن قد كرهن ذلك وأعظمنه فقد أخذن بحال اليهود إنما يؤتين على جنوبهن فأنزل الله ﴿نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنّى شئتم﴾ مقبلات ومدبرات في موضع المولد لا في الأدبار، ويذكر أن الناس قالوا لسالم بن عبد الله بن عمر أن نافعاً يفتي الناس عن أبيك بإباحة إتيان النساء في أدبارهن قال: إن العلج ـ يعني نافعاً ـ كذب على أبي وأنا الحارث ابن يعقوب يروى عن أبي الحباب سعيد بن يسار قال: قلت لأبن عمر يا أبا عبد الرحمن إنّا نشتري الجواري أيجوز أن نحمض لهن؟ قال: وما التحميض؟ قال: الإتيان في الدبر قال: أف، أف، أفعل ذلك مسلم.

القول بالإباحة على كراهة

وأما القول بأن إتيان المرأة في دبرها مباح مرجوح والأوْلَى اجتنابه فهو قول معظم فقهاء الشيعة وبعض فقهاء السنّة واستدلوا عليه بعدة أمور:

الأول: قوله تعالى ـ حكاية عن النبي لوط(ع) لما أتته ملائكة الانذار بصور فتيان حسان الوجوه من البشر ـ (وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات) بكل من مر من الفتيان بأرضهم فسألوا لوطاً أن يسلم الفتية الذين أتوا إليه ليعملوا بهم السوء ﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ أن تتزوجوا بهن ﴿فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي أليس منكم رجل رشيد، قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ رغبة ولا إرب ﴿وإنك لتعلم ما نريد﴾ هود/ ٧٩ ففي الوسايل ١٠٣/١٤ عن الشيخ الطوسي بسنده عن موسى بن عبد الملك عن رجل

قال: سألت أبا الحسن الرضا(ع) هل يحل للرجل أن يأتي زوجته في دبرها؟ قال: قد أحلتها آية في كتاب الله قوله تعالى: ﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ فقد علم أنهم لا يريدون الفروج.

الثاني: ما رواه السيوطي في معنى آية ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ أخرج إسحاق بن راهويه في مسنده وتفسيره والبخاري وابن جرير عن نافع مولى عبد الله بن عمر قال: قرأت ذات يوم ﴿نساؤكم حرث لكم... الآية﴾، فقال ابن عمر: أتدري فيم نزلت؟ إنها نزلت في إتيان النساء في أدبارهن إن شاء الرجل أتاها في قبلها وإن شاء في دبرها وذكر أن سبب النزول أن رجلاً في زمن النبي(ص) أصاب امرأته في دبرها فجاءت تشكوه إلى النبي(ص) وأنكر الناس عليه ذلك فوجد في نفسه من ذلك وجداً شديداً فأنزل الله ﴿نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنّى شئتم﴾ أي من أي جهة شئتم من الأمام في القبل أو من الخلف في الدبر فكله جائز ومباح.

ولكن هذا الحديث المنسوب لنافع قد تبرأ منه نافع وكذّبه بأنه قد غيّرته الرواة وحوّرته ثم ذكره على وجه الصحة لمن سأله عنه كما سبق قريباً في تحريم الوطىء في الدبر.

الثالث: مما استدلوا به على إباحةْ الوطىء في الدبر على وجه الكراهة أنهم حملوا إتيان أدبار النساء المنهى عنه على الإتيان عن طريق الزنا والاغتصاب لا إتيان الرجل زوجته في دبرها بدليل اقترانه في بعض النصوص باللواط كالحديث الذي ذكرناه في عقوبة الزنا واللواط يوم القيامة عن الوسايل ٢٤٣/١٤ عن النبي(ص) قال: ومن نكح امرأة حراماً في دبرها أو رجلاً أو غلاماً حشره الله يوم القيامة أنتن من الجيفة... الخ. فإنه يعني الزنا بها في الدبر بدل القبل.

فكثيراً ما كانت الفتيات عند الاغتصاب تفتدى بكارتها واحتمال الحمل كرهاً ببذل عجيزتها لمغتصبها لاحتمال أن يقنع بها عن غيرها والوطىء في الدبر وإن شق عليها احتماله لما فيه من شدة وألم وجرح أحياناً لكنه أهون عليها من أن تذهب بكارتها فتفتضح بها عند الزواج أو يظهر عليها حمل يودي بسلامتها وحياتها أو طردها عن أهلها وتعذيبها.

الرابع: إن السيوطي في الدر المنثور ذكر جواز ذلك عن أبي سعيد الخدري ومالك بن أنس أنه سمع جواز ذلك عن ربيعة عن ابي الحباب ويزيد بن رومان عن عبد الله بن عمر.

وذكر زيد بن أسلم أن محمد بن المكندر أخبره أنه يفعل ذلك. وأن ابن أبي مليكه سأل عن ذلك قال: قدأردت ذلك من امرأتي البارحة فاستعصت عليَّ فاستعنت بدهن

وإن أبا سليمان الجوزجاني سأل مالك بن أنس عن إتيان الرجل زوجته في عجزها، فقال الإمام مالك إني غسلت منه رأسي الساعة وقد اشتهر الإمام مالك بأنه كان يبيح ذلك ويفتي بإباحته ونقلوا أيضاً أنه كان يبيح حتى وطىء الغلمان عند الضرورة وأنه يقول:

وجـائـز وطـيء الـغـلام الأمـرد   بـشـرط ذا لـلـرجـل المجـرد
هـذا إذا كـان وحـيداً فـي الـسـفـر   ولم يـجـد أنـثـى تـفـي إلاّ الـذكـر

الخامس: قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج الطحاوى من طريق أضبع بن الفرج عن عبد الله بن القاسم قال: ما أدركت أحداً اقتدى به في ديني يشك في أن إتيان الزوجة في دبرها حلال، وسئل الشافعي عن ذلك قال: ما ورد في تحريمه ولا تحليله عن النبي(ص) شيء ا.هـ. - وما أدرى كيف غابت عنه النصوص التي ذكرها أصحاب الحديث في صحاح البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والبيهقي وابن ماجا وابن داود وكتاب الزواجر والكباير وغيرها من عشرات المؤلفات - قال الشافعي: والقياس أنه حلال فحاجة محمد بن الحسن بأن الحرث إنما يكون في الفرج قال: ولكن ذلك لا يقتضي تحريم غيره! أرأيت لو أتى الرجل زوجته في أعكانها أو بين فخذيها أذلك حرث؟ قال: لا! قال: أفيحرم ذلك؟!

قال الحاكم: ولعل الإمام الشافعي يرى جواز الإتيان في الدبر في القديم أما في الجديد من آرائه وفتاويه فقد صرح بالتحريم.

السادس: اتفاق فقهاء الشيعة على حليته إلاّ من شذ منهم لنصوص أهل البيت المصرحة بذلك ففي الوسايل ١٠٢/١٤ عن الشيخ الطوسي بسنده عن صفوان قال: سألت الرضا(ع) أن رجلاً من مواليك أمرني أن أسألك عن مسألة فهابك واستحيى أن يسألك عنها قال: ما هي؟ قلت: الرجل يأتي امرأته في دبرها؟ قال: نعم، ذلك له، قلت: وأنت تفعل ذلك؟ قال: لا إنّا لا نفعل ذلك ورواه الكليني عن أحمد بن محمد مثله وعن الشيخ الطوسي بسنده عن عبد الله بن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله(ع) في الرجل يأتي المرأة في دبرها قال: لا بأس إذا رضيت! قلت: فأين قول الله ﴿فاتوهن من حيث أمركم الله﴾ قال هذا في طلب الولد فاطلبوا الولد من حيث أمركم الله إن الله تعالى يقول: ﴿فاتوا حرثكم أنّى شئتم﴾، وبسنده عن موسى بن عبد الملك قال: سألت أبا الحسن الرضا(ع) عن إتيان الرجل المرأة من خلفها قال: أحلتها آية من كتاب الله قول لوط: ﴿هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ وقد علم أنهم لا يريدون الفرج، وبسنده عن حماد بن عثمان قال: سألت أبا عبد الله(ع) عن الرجل يأتي المرأة في ذلك الموضع.. فقال: لا بأس به، وبسنده عن ابن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله(ع) عن الرجل يأتي المرأة في دبرها قال: لا بأس به ورواه البرقي وزاد فيه أنه قال: وما أحب أن تفعله وبإسناده عن حفص بن سوقة قال: سألت أبا عبد الله(ع) عن رجل يأتي أهله من خلفها قال: هو أحد المأتيين وفي الغسل...

إلى غير ذلك من الأحاديث الصحاح المتواترة ولكنها مختلفة الإفادة والدلالة وتشتمل على ثغرات خفية وغريبة تدعو إلى عرض ملاحظات فيها.

ملاحظات في هذه الأحاديث

الملاحظة الأولى: إن الإمام الصادق(ع) في حديث حفص بن سوقة الذي ذكرناه يقول: إن الاتيان في الدبر كالقبل فهما كلاهما مأتيان أي مستعملان وشريكان في الأحكام المتعلقة بالمواقعة من حدث الجنابة بغيبوبة الكمرة من العضو المذكر في المؤنث فيبطل بذلك الصوم ويجب الاغتسال من الحدث لأداء العبادة المشترطة بالطهارة في حين نرى في الوسايل ١٤/ ١٠٤ عن الشيخ الطوسي بسنده عن علي بن الحكم عن رجل عن الصادق(ع) قال: إذا أتى الرجل المرأة في الدبر وهي صائمة لم ينقض صومها وليس عليها غسل ا.هـ. فمقتضى الجمع بين الحديثين يقضي بأن وجوب الغسل في الحديث الأول يحمل على الرجل فقط مقابل إصابته اللذة وخروجه من الإنسانية للبهيمة أما المرأة فحيث أنها لا تلتذ بذلك ولا تحبه وهي غالباً مكرهة عليه ليس عليها غسل ولا يبطل صومها كما هو صريح الحديث الثاني.

لكن معظم الفقهاء لا يفرقون بين الفاعل والمفعول به سواء كان رجلاً أو امرأة في إصابته بحدث الجنابة ووجوب الغسل وبطلان الصوم نظراً لضعف الحديثين فالراوي في كل منهما ينقل عن رجل لا عن الإمام مباشرة وربما كان الراويان كلاهما ضعيفين ومعارضة الحديثين بما هو أصح وأقوى منهما سنداً ورجالاً.

حرمة إتيان المرأة في المحيض

الملاحظة الثانية: إن إتيان المرأة في عقبها وإن قلنا بإباحته فإنما يباح في حال الطهر أما في حال الطمث فالقرآن المجيد يصرح بحرمة مواقعتها قُبُلاً ودُبُراً في قوله تعالى: ﴿يسألونك عن المحيض قل هو أذى﴾ قد انفصل من الرحم وشفيت المرأة من سقامه ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ فهن في حال علاج من مرض كمن أجريت له عملية جراحية في أعضائه التناسلية فهو لا يقدر على مزاولة أعماله وعاداته ﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ فإن الأمر بالاعتزال يقتضي الوجوب والنهي عن الاقتراب يقتضي التحريم والاقتراب يعني مقاربتها في الفراش لا مقاربتها في الجوار والمساكنة والاختلاط كما تعمله أهل الجاهلية سابقاً واليهود في كل دور، والمقاربة في الفراش هي المواقعة الجنسية وهي تصدق على الإتيان في الدُبُر كما تصدق على إتيان القُبُل لقول الصادق(ع) هو أحد المأتيين.

ولكن هناك نصوصاً ربما يفهم منها إباحة مواقعة الحائض في عقبها لاشتغال زميله بالأذى والقذر والدم وهو ما رواه في الوسايل (٢٤٧/١٤) عن الكليني بسنده عن عبد الملك بن عمرو قال: سألت أبا عبد الله(ع) ما لصاحب المرأة الحايض منها؟ فقال: كل شيء ما عدا القبل بعينه وبسنده عن معاوية بن عمار عنه(ع) قال: سألته عن المرأة الحائض ما يحل لزوجها منها؟ قال:

ما دون الفرج وعن العياشي في تفسيره عن عيسى بن عبد الله عن أبي عبد الله(ع) قال: المرأة تحيض يحرم على زوجها أن يأتيها في فرجها لقول الله عزَّ وجل: ﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ فيستقيم للرجل أن يأتي امرأته وهي حايض فيما دون الفرج.

فهذه النصوص ظاهرها يوصي بجواز استعمال المرأة حال الطمث من الطريق الآخر وهو خلاف صريح الكتاب المجيد فالواجب أن يحمل لفظ (الفرج) فيها على الأعم من القبل والدبر جمعاً بين الكتاب والسنّة.

الملاحظة الثالثة: غرابة ما حدث للإمام الشافعي في تجاهل الأحاديث المتواترة في تحريم إتيان الإدبار واتفاق العلماء على التحريم بأنه لم يأتِ في تحليله ولا تحريمه عن النبي(ص) شيء كما نقلناه قريباً عن السيوطي في الدر المنثور ولعل ذلك هو السبب الذي حمل الإمام مالك على إباحة إتيان الغلمان عند الاضطرار إليه في السفر قياساً على إباحة إتيان المرأة في الدبر.

الملاحظة الرابعة: قوله تعالى ـ عن لسان لوط ـ ﴿قال: يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله﴾ هود/٧٨ لا بد أن يحمل على إرادة التزويج فليس يعقل لنبي من أنبياء الله أن يبذل بناته ليزني بهن أولئك الأرجاس في أدبارهن.

قال الطبرسي في مجمع البيان: قال الزجاج كانوا يخطبون بناته إليه فلا يزوجهم بهن لكفرهم إلاّ بأن يؤمنوا أو يتوبوا من عمل الفاحشة. فلما راودوه عن ضيفه عرض عليهم الزواج بشرط الإيمان ووعد سيدين مطاعين من قومه بالزواج ببناته.

وعن المؤرخين أن للنبي لوط (ع) ثلاث بنات أكبرهن (رباب) وهي التي تزوجها النبي إسحاق بن إبراهيم(ع) فولدت له عيصا ويعقوب وهي التي دلّت ملائكة الإنذار على دار أبيها النبي لوط قال السيد: و(الثانية) ريثا و(الثالثة) غيثا وهن من زوجته المؤمنة مليكة بنت حزقيل وقال الطبرسي اسمهما ذاعورا وريتا وقد توفيت مليكة لما لقيت في مقاومة نساء سدوم من الأذى والبلاء فتزوج بعدها لوط بإمرأة من بنات سدوم اسمها هلسفع وقيل اسمها والهة وقيل واهلة وكانت على دين قومها تعيثهم عليه ولا تستجيب لوعظه ودينه هي التي عناها الله بقوله: ﴿وضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما﴾ في الإيمان والصلاح ﴿فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ التحريم/٨.

لم تكن خيانة امرأة لوط (هلسفع) له في عرضها كما ذهب إليه البعض وجاءت به بعض النصوص العليلة إذ لا يعقل أن تكون امرأة نبي بغياً فإنه إن كان يعلم بذلك وجب عليه فراقها وإلاّ أصبح ديوثاً والدياثة جريمة كبيرة لا تجتمع مع قداسة النبوة وإن كان لا يعلم بذلك وجب

أن يعلمه الله وإلاّ كانت أولاده منها شرك شيطان والشيطان لا سبيل له على الأنبياء لقوله تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ الحجر/٤٢.

وإنما خيانتها وخيانة امرأة نوح المشار إليها في قوله تعالى: ﴿فخانتاهما..﴾ هي مظاهرة الكفار والعصاة الفجرة على أنبياء الله وأوليائه البررة وكان سبب تظاهر هلسفع على نبي الله لوط أنها لم تؤمن برسالته فهجرها وتزوج عليها امرأة من المؤمنات تسمى (قراب) فزاد ذلك في تظاهرها عليه وإيذاء بناته ودلالة الأشقياء على أضيافه ليفجروا بهم فكانت في الليل توقد لهم ناراً على سطحها تعلمهم بوجود فتيان في دار لوط وفي النهار تبعث لهم رسولاً يقول: هيئوا لنا ملحاً إشارة إلى وجود ملاح في بيتها وهي التي أخبرتهم بوجود ملائكة الانذار لما أتوا لوط في صور فتيان من البشر فانهالوا عليه قال تعالى: ﴿وجاءه قومه يهرعون إليه﴾ ويطلبون ما ﴿ما كانوا من قبل يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ أن أزوجكم بهن فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي أليس منكم رجل رشيد﴾ فطمنته الملائكة ﴿قالوا يا لوط إنّا رسل ربك﴾ لا تخف ﴿لن يصلوا إليك﴾ ولا إلينا بسوء ﴿فاسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلاّ امرأتك﴾ لا تخرجوها معكم دعوها في نومها ﴿إنه مصيبها ما أصابهم﴾ من الخسف والرجم ﴿إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾ هود/٨١ فلما خسف الله بهم وحصبهم بالأحجار حولها الله ملحاً مقابل إرسالها إلى الفسقة تقول هيئوا لنا ملحاً تدلهم بذلك على أضياف النبي لوط.

خلاصة البحث في إتيان الأدبار

والنتيجة التي خرجنا بها من هذا البحث الطويل هي مرجوحية إتيان الزوجة في عقبها حال طهرها والأولى اجتنابه فهو لا يبعد أن يكون من منافيات المروة كالأكل في السوق والبول على قارعة الطريق وبه تسقط العدالة مضافاً إلى أنه يعرض فاعله للإصابة بأمراض الزهري والسيلان والسوزنك والإيدز وليس كل حلال يستساغ أو تقبله النفس قال الشاعر:

سأترك ماءكم من غير ورد ... وذاك لكثرة الوراد فيه

إذا سقط الذباب على طعام ... رفعت يدي ونفسي تشتهيه

وقد يبقى الكريم خميص بطن ... ولا يرضى مساورة السفيه

وتجتنب الأسود ورود ماء ... إذا كان الكلاب ولغن فيه

نقل الشيخ محمد حسن النجفي في جواهر الكلام عن الانتصار والغنيمة ومحكى الخلاف والسرائر الاجماع على الحل قال وهو الحجة بعد الأصل أي أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يرد المنع قال: ونصوص المنع تحمل على التقية من العامة فإنه مذهب ما عدا مالكاً وجماعة من

الشافعية أو على الكراهة كما تومي إليه نصوص الجواز بلفظ لا أحب أو إنّا لا نفعله أو يقيد الجواز بالرضا من المأتيه المؤيد بالنهي عن الإيذاء.

ثم قال صاحب الجواهر: إن الظاهر من قول الإمام(ع) في الحديث الموثق: هو أحد المأتيين وغيره ما صرح به الفاضل وجماعة بل حكى عن الشيخ الطوسي وكثير من كونه كالقبل في جميع الأحكام حيث ثبوت النسب والأحكام هي:

١ ـ لو أتت بولد من توطىء في دبرها الستة أشهر من دخوله بها فصاعداً ألحق به الولد مع بعده جداً.

٢ ـ تقرير المهر المسمى فلو دخل بها دُبُراً وطلقها لزمه تمامه فهي تملك نصف المهر بالعقد ونصفه الآخر بالدخول بها ولو دبراً.

٣ ـ لو زنى بامرأة وواقعها دُبُراً واعترف أو قامت عليه البيّنة أقيم عليه الحد جلداً بالسياط إن كان غير محصن أو غير متزوج ورجماً بالأحجار إن كان محصناً.

٤ ـ يجب على من جامعها دُبُراً في الدخول بها مهر المثل لو تبين فساد العقد أو لم يعين المهر.

٥ ـ تجب عليها العدة إذا دخل بها دُبُراً وطلقها كما لو دخل بها قُبُلاً.

٦ ـ تحريم المصاهرة فإذا دخل بها دُبُراً حرمت عليه بنتها أبداً والأخت المملوكة جمعاً إلاّ في التحليل.

٧ ـ لا تحل للمطلق ثلاثاً إلاّ إن تُنكح زوجاً غيره.

ويختلف وطء الدُبُر عن القبل في أمور:

١ ـ لا تحل لمن طلقها ثلاثاً حتى ينكحها الزوج الآخر قبلاً فلو نكحها دبراً لم يحل لزوجها السابق أن يعود إليها بلا خلاف عند الفقهاء كما عن المبسوط لقوله(ص): حتى يذوق عسيلتها وتذوق عسيلته وهي لا تذوق العسيلة إلاّ في القُبُل.

٢ ـ الإحصان فمن لا يقدر على إتيان زوجته إلاّ دُبراً لا يعتبر محصناً فلا يرجم لو زنى بل يجلد فقط بلا خلاف يعرف في ذلك.

٣ ـ عدم وجوب الغسل عليهما على قول كما ذكرناه قريباً أما لو خرج المني من دبرها فلا غسل عليها بالإجماع.

٤ ـ عدم بطلان الصوم ووجوب الكفارة لو واقعها زوجها دُبُراً على قول كما سبق الحديث عن ذلك.

٥ ـ عدم الخروج به من الإيلاء.

قال صاحب الجواهر واختلف في ثبوت الغسل ونقض الصوم ووجوب الكفارة بالوطىء في الدبر إلاّ أن المشهور عند معظم الفقهاء ثبوته كالقُبُل أيضاً.

الجزء الخامس

السحاق أو الجنس الثالث

١

ما يذكر عن السحاق

وكما أن الزواج يقي الرجال من التورط في الزنا والشذوذ الجنسي فكذلك أنه أيضاً يقي النساء من الفاحشة والشذوذ والمساحقة فإنها في النساء قسيمة اللواط في الرجال وهما من أكبر الجرائم وكلتا الجريمتين قد ابتدعتا في وقت واحد ومكان واحد وأهل قرية واحدة وهم قوم لوط الذين أفضنا الحديث عنهم من قريب وكما يسمى اللواط في اصطلاح اليوم الشذوذ الجنسي يسمى قسيمة السحق بالجنس الآخر.

المعروف عند المؤرخين أن الشذوذ الجنسي من اللواط والسحق ابتدع عند الجنسين في وقت واحد فقد ذكرنا قريباً عن الصدوق في عقاب الأعمال ص ٢٣٦ بسنده عن عمرو بن سعيد بن أبي جعفر(ع) أن السبب في إغراء قوم لوط بالشذوذ أنهم كانوا من أفضل خلق الله في الإيمان والصلاح فطمع الشيطان في غوايتهم وتضليلهم فلم يفلح فلم يجد إلاّ أن يفسد عليهم أعمالهم ويعبث في مصانعهم ومزارعهم فلما زاد ذلك عليهم جعلوا يرصدون هذا المفسد فتمثل لهم الشيطان في صورة غلام مليح بأنه هو الذي يفسد عليهم أعمالهم فاتفقوا على قتله ويبّتوه عند رجل منهم لينظر بأي قتلة يقتلونه بها فجعل يتواغد ويتغنج للذي هو في داره وكشف له عن محاسنه ويغريه لأن يصيب منه حتى مال له فأصاب منه فلذ وطاب له ذلك ووقع عليه مرة ثانية وثالثة فلما علم بتمكن حب اللواط من قلبه فرَّ منه ولما أصبح لم يره فجنَّ جنونه في طلبه ولما طالبه الناس فيه لإعدامه أخذ يعتذر عنه بأنه لم يفعل مما نسب إليه شيئاً ثم وصف لهم ما كان له معه وأنه لا نظير له في اللذات على الإطلاق وأن من عمله لا يصبر على تركه فاتفقوا كلهم على ممارسته واعتزلوا النساء وأقبلوا على الغلمان يغالون في أثمانهم ويتنافسون في اقتنائهم ودفع أغلى الأجور إليهم.

ولما رأى الشيطان أنه قد أحكم أمره في الرجال تمثل للنساء بصورة جارية مليحة حسناء هيفاء لأحد كبرائهم وأن زوجها قد اعتزلها واتخذ الغلمان عليها وحطّم عود شبابها وزهرة حياتها فجعل النساء يتذمرن مثلها من هجر أزواجهن لهن وجعلت كل امرأة تظهر حسرتها وتشكو من عدم صبرها واحتمالها لما فاتها من حقها في الحياة فقالت الفتاة: فهلا نستغني عنهم كما استغنوا عنا ثم أغرتهن بأن تعمل المرأة بالمرأة مثلما يعمل الرجل بالغلام وابتدأت تساحق امرأة منهن فاستطبن ذلك وسكن ما يجدن من شبق وغلمة فاندفعن إليه واتفقن بالاستمرار والمداومة عليه. ورواه في الوسايل ١٤/٢٦٠ عن الكليني والمحاسن.

وذكر صاحب كتاب (الجنس الثالث) ص ٣٠: أن أول من علّم الناس السحاق: هي الشاعرة الجميلة الإغريقية (سافو) ـ ومعنى سافو: الصوت النقي كانت تسكن جزيرة لسيوس في بحر إيجه باليونان وكانت ذات جمال باهر وذكاء غني وشعر موهوب وقد عاشت بين الأعوام ٥٦٠ و٦٣٠ قبل الميلاد.

ولدت في أربسوس القرية الصغيرة على الجزيرة ومات أبوها وهي في التاسعة من العمر وأمها لا تزال جميلة جذابة وفي الـ الخامسة عشرة من عمرها تزوجت برجل وولدت له طفلة وفشلت في الحب مع زوجها حيث أصيب بالعنة فلم يقدر أن يشبع غريزتها ولم تقدر هي الأخرى على كبت الغريزة وقهرها فنفرت من الرجال واتجهت نحو بنات جنسها من العذارى الحسان اللاتي يرددن معها الشعر ويتغنين ويعزفن أعلى الألحان على القيثارة ويمارسن معها الحب فمارست معهن السحاق حتى عشقته وألفته معهن واستغنى به الكل عن الرجال.

وفي آخر حياتها اشتركت في مشاكل الجزيرة (لبسوس) السياسية واضطرت إلى الفرار بنفسها إلى جزيرة (صقلية) وماتت هناك وأحرقت فنقل رمادها إلى بلدها لبسوس كما خلّد اسمها برسم صورتها على الآنية والنقود.

وخلّفت مجموعة قصائد شعرية في تسعة دواوين تضم (١٢٠) ألف بيت من الشعر ويتركز شعرها على مدح السحاق ووصفه والشوق إليه وكيف كانت تمارسه مع عشيقتها المفضلة (آتيس) وبذلك سميت المساحقة (سافويه) نسبة إلى (سافو) وكان هذا الشعر كدعاية لانتشار السحق من صقلية إلى فرنسا إلى اليونان ولم يكن السحاق مقتصراً في ابتدائه وانتشاره على اليونان فقط بل امتد وذهب إلى بلدان أوروبا وروما فقد كانت في روما للنساء حمامات قد أعدت لممارسة السحاق بين البنات والفتيات بكل أنواعه وأشكاله ويطلق على الخصوصيات منهن قلب (فلاتورز) كما اشتهر تاريخ الأمبراطورية الرومانية بنساء شهيرات في السحاق أمثال (اغريبيتا) و(ياسا) و(ترجينا) و(سيرافينا).

وفي فرنسا جمعية سرية تسمى بنات (سافو) تمارس السحاق في معبد (فستا) وهي منتشرة

في جميع أنحاء فرنسا وتضم الكثير من حسان النساء بين أعضائها وكل امرأة أحبت الالتحاق بالجمعية لممارسة السحاق لم تقبل إلاّ بعد اختبارها بأن تتعرى أمام عضوات الجمعية للتدقيق في محاسنها ومدى صلاحيتها وإثارتها للشهوة.

ثم ذكر أن في مدن الشرق كالصين والهند كثيراً وكثيراً من بنات (سافو) ثم ذكر أنواع السحاق وأشكاله مما لا يجوز ذكره ولا يحل نقله ولا مشاهدة صوره.

انتشار السحاق عند العرب

ذكر أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهاني في المحاضرات ٣/ أن أول من سنّت السحق عند العرب: نساء قوم لوط لما شاع بين رجالهن إتيان الذكور وهجرهم النساء فلما اشتدت شهوتهن أخذن يتضاربن بالأرداف فوجدن لذة في ذلك ثم الصقن الردف بالشراح فكان أكثرة لذة ثم دلكن الشراح بالآخر فتصطدم النواة بالنواة والهنات بالهنات فتستنزلان الماء.

ولما أهلك الله قوم لوط الرجال والنساء انقطع اللواط والسحق حتى جاءت رقاش بنت الحسن اليمانية مرة لزيارة هند بنت عامر بن صعصعة زوجة النعمان بن المنذر ملك الحيرة وافدة عليها فأنزلتها عندها وكانت ذات حسن ونضارة فشغفت بها وكان النعمان يغزو فيغيب عن امرأته فتكون هي ورقاش على فراشه فربما التصق جسداهما فوجدتا لذة لطول العزوبة حتى استدلتا على طريق المساحقة فما زالت رقاش تزين ذلك لهند وقالت إن في اجتماعنا أمناً من الفضيحة وإدراك الشهوة فاجتمعتا واستمر بهما ذلك حتى أصبحتا كزوج وزوجة.

وبلغ من شغف كل واحدة بالأخرى أنه لما ماتت ابنة الحسن اعتكفت امرأة النعمان على قبرها واتخذت الدير المعروف بدير هند في طريق الكوفة.

وفيها يقول الفرزدق مخاطباً جرير بن عطية الخطفي يهجوه:

وفيت بعهد كان منك تكرماً   كما لابنة الحسن اليماني وفت هند

أن امرأة النعمان هذه تسمى (المتجردة) وكانت تحت أبيه المنذر بن الأسود بن ماء السماء ثم ورثها ابنه النعمان من بعد موته على عادة العرب في نكاح نساء الآباء بعد موتهم وكان النعمان يجلسها أحياناً بين نديميه النابغة الذبياني والمنخل اليشكري فشغفت بالمنخل وأحبته وأحبها وطلب النعمان من النابغة أن يصفها في شعره وصفاً فائقاً يشمل كل محاسنها فأجابه لذلك فرآها يوماً تغتسل في البستان وقد خرجت من الماء وقد سقط نصيفها فاستترت بيديها فأعجبه ذلك منها وأنشأ فيها قصيدته التي أولها:

من آل مية رائح أو مغتدي   عجلان زاد وغير مزود

فلما قرأها على النعمان أعجب بها وأمر له بجائزة وأموال فحسده عليها المنخل اليشكري وقال: أبيت اللعن هذا وصف معاين وأغرى النعمان بقتله ففر بدمه وهرب.

واتفق أن النعمان رجع من الصيد مرة ودخل قصره بغتة فوجد المنخل مع زوجته المتجردة وقد لبست خلخاليها وشدت رجله إلى رجلها فأمر به فضربت عنقه وهكذا من حفر لأخيه بئراً وقع فيها.

وبعدما قتل الملك كسرى أبرويز النعمان بن المنذر فرت أسرته وبناته تطلب الجوار من أبرويز ومنهن ابنته هند والخرقاء التي قتل عليها أبرويز أباه حيث خطبها إليه فلم يزوجه بها وما زالتا تستجيران بأحياء العرب نحو ثلاثين سنة حتى آوت الخرقاء إلى دير هند الذي بنته المتجردة للنياحة على عشيقتها رقاش وقد شاخت وعميت حتى خطبها المغيرة بن شعبة أيام إمارته على الكوفة فاعتذرت عن إجابته بالشيخوخة والعمى.

وفي حديث عن أبي عبد الله (ع) أن أصل السحاق في النساء كان من بنت من بنات إبليس تسمى لاقيس هي التي تمثلت في بعض الشعوب في زي امرأة جميلة واستهوت النساء إليها لجمالها فامتزجت بهن في اليقظة والمنام حتى دلّتهن على هذه الفاحشة فاستطابت لهن وأحببنها وأصفقن عليها وهو ما رواه في الوسايل ٢٦٢/١٤ عن الكليني بسنده عن يعقوب بن جعفر قال سأل رجل أبا عبد الله أو أبا إبراهيم(ع) عن المرأة تساحق المرأة فقال: هو والله الزنا الأكبر قاتل الله لاقيس بنت إبليس ماذا جاءت به فقال الرجل: هذا ما جاء به أهل العراق فقال والله لقد كان على عهد رسول الله قبل أن يكون العراق وفيهن قال رسول الله(ص) لعن الله المشبهات بالرجال من النساء.

وفي حديث آخر عنه(ع) أن أصل ذلك من أصحاب الرس كانوا يعبدون شجرة من الصنوبر وكان لهم إليها في كل سنة عيد كبير يجتمعون إليها سبعة أيام في اللهو والغناء والرقص فإذا شربوا وثملوا سجدوا إليها فيناديهم سادتها بلسانها أنها آلهتهم قد رضيت عنهم وغفرت لهم كل ما يعملون فإذا سمعوا ذلك رفعوا رؤوسهم وانساب بعضهم إلى بعض في الفسق والفجور فيقع الرجال على الغلمان والنساء مع الفتيات وقد ذكرنا قصتهم مفصَّلة في الجزء الثالث من فرائد المرجان في الأعياد التي كانت لأهل الجاهلية ففي الوسايل ٢٦٢/١٤ عن علي بن إبراهيم بسنده عن محمد بن أبي حمزة وهشام وحفص عن أبي عبد الله(ع) أن امرأة سألته عن السحق... فقال(ع): حد المساحقة حد الزاني، فقالت المرأة: ما ذكر الله ذلك في القرآن، فقال: بلى هن أصحاب الرس وفي البحار ٧٥/٧٩ عن علي بن إبراهيم في تفسيره بسنده عن جميل أن امرأة مع مولاة لها دخلت على الصادق(ع)، فقالت: ما تقول في اللواتي

مع اللواتي؟ قال: هن في النار... فقالت ليس هذا في كتاب الله! قال: بلى، قوله تعالى: ﴿وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا﴾ الفرقان/٣٨.

أخطار وأضرار المساحقة

وحيث أن السحق في النساء قسيم اللواط في الرجال في الابتداع فهو أيضاً قسيمه في الجنابة على العفة والكرامة والتناسل والنوع البشري والفطرة، ولا يقصر عن اللواط فيما يحدثه من أضرار وأخطار جنسية وتناسلية واجتماعية واقتصادية.

ففي كتاب (الساق على الساق) قال إن المرأة إذا انهمكت في السحاق أصيبت بالسقام والمحاق فمما تصاب به من الأضرار:

(١) الضجج وهو آفة تصيب الأسنان ويصاب منها بهيجان المأبون.

(٢) الفركحة وهي تباعد ما بين الإليتين.

(٣) السرطان وهو ورم سوداوي يبتدىء مثل اللوزة وأصغر فإذا كبر ظهر عليه عروش حمر وخضر شبيهة بأرجل السرطان البحري لا أمل في برئه وإنما يعالج لئلا يزيد.

(٤) الزمع وهو أصغر ويصيب وجه المرأة من داء يصيب بظرها.

(٥) الحشفة كما تطلق على صلعة القضيب تطلق أيضاً على قرحة تخرج على ظهر العجان.

(٦) الفوق وهو ميل الفم والفرج.

(٧) العفل وهو شيء يخرج في قبل المرأة كالأدرة.

(٧) السرم وهو وجع الدبر.

(٨) الفطر وهو تشقق الشرج بقروح.

(٩) القعم وهو ميل وارتفاع في الإليتين.

وفي محاضرات الأدباء قال الأصمعي: كنت يوماً في دار الرشيد فخرج عليَّ غفلة وقال: أين الأصمعي؟ فمثلت بين يديه، فقال: من الذي يقول: ولا تستعملي المردى وما أوله؟ قلت هذا لإحدى المساحقات بالبصرة وأوله:

ضعي الهن على الهن ... ولا تستعملي المردى بفتح الميم

فذا أحلى وذا أشهى ... من القائم كالزند

قال: صدقت فما رأيك في هذا الشعر خطأً أم صواب؟ قلت بل خطأ يا مولاي قال: وما صوابه؟ قلت: صوابه:

ضعي الصارم في الغمد ولا تستعملي المُردى بضم الميم
فمن يستعذب الغمد(*) إذا أولج في الغمد

قال: صدقت وضحك وأمر لي بجائزة.

وقال آخر ـ نسبه في الحياة الجنسية عند العرب إلى أبي العتاهية:

ألا يا ذوات السحق في الغرب والشرق أفقن فإن النيك أحلى من السحق
أفقن فإن الخبز بالشهد يشتهى وليس يسوغ الخبز بالخبز في الحلق
وما السحق إلاّ مثل مر خيارة على الفم دون الأكل منها لدى الخلق
أراكن ترقعن الخروق بمثلها وأي لبيب يرقع الخرق بالخرق
وهل يصلح المنحاز إلاّ بعوده إذا احتاج فيه ذات يوم إلى الدق

ونظر بعضهم إلى امرأة وهي تمارس هذه الفاحشة فقال:

أما والله لو غشاك بعل قبيل الصبح في ظلماء بيت
إذاً لعلمت أن السحق زور وأن العيش في ركض الكميت

وذكر السحق لامرأة فقالت: عود أبخر خير من حر مبخّر.

الدوافع التي تغري المرأة بالمساحقة

ذكر في (الجنس الثالث) ص ٦٤: كما أن داء الأبنة وليدة اللواط فكذلك السحاق وليد الزنا والبغاء فإن المومسات في كل مناسبة يتحدث الأخصائي إليهن يؤكدن أن وصولهن إلى اللذة الكاملة في مضاجعة الرجل أمر نادر جداً وإنما يتظاهرن بالامتناع مجاملة معهم فإن ٩٩٪ من المومسات يضاجعن الرجال وهن منهم نافرات فهن فيما بينهن يحاولن التعويض عما ينقصهن من لذات الجنس مع الرجال.

وفي (ص ٢٦) يقول: تحت عنوان (العادة السرية تؤدي إلى السحاق) تدل الإحصاءات أن نسبة مرتفعة جداً من أفراد النساء يمارسن العادة السرية في فترة ما من فترات حياتهن. وفي (ص ٢٧): إن معظم المساحقات يشبهن الذكور في ناحية من النواحي وذكر الدكتور سيرو فاخوري في الجنس والصحة/ ١٩٦ أن الدوافع التي تحفز البنات لممارسة السحاق تظهر في البداية بنتيجة ملامسات جسدية واتصالات عاطفية بينهن كنوم الأم مع ابنتها البالغة من العمر ثماني سنين أو الفتاة مع الفتاة أو المرأة مع المرأة على فراش أو سرير واحد تدفعهن للقيام بنشاط جنسي مباشر بواسطة أعضائهن التناسلية.

(*) الردى في البيت الأول: هو القناة وقد كنى به عن العضو المذكر بفتح الميم والمردى في البيت الثاني بضم الميم وهو المهلك والمبيد.

وقد يكون عند المتلاصقات على الفراش أو في حالة الرقص أحياناً رغبات جنسية شاذة غير واعية تتحول بعد ذلك إلى ممارسة السحاق أو النكاح الفموي.

كيف تتولد رغبة السحاق بين المتساحقات

وقال في الجنس والصحة/٧٢٩ إذا زادت عند المرأة الهرمونات الذكورية تكوَّن عندها طبع الذكورة وغلبت عليها الرغبة في أن تتذكر كما إذا زادت عنْد الرجال الهرمونات الأنثوية تكوَّن عنده طبع الأنوثة وغلب عليه حب أن ينكح ويتأنث.

فإذا تأنث الرجل سلك سلوك الإناث فخصى نفسه وسقطت لحيته وترخم صوته ووفر شعر رأسه بذوائب وتسريحة كالنساء وتزين بما تتزين به الفتيات من ملابس الحرير والذهب وكحل العين وخضاب الكفين والأصباغ في الخد والعين فيعود في عداد المخاصي الذين طردهم رسول الله(ص) من المدينة.

وإذا تذكّرت المرأة سلكت سلوك الرجال فقصت شعرها واجتنبت زينات النساء من الكحل والخضاب والأصباغ وجعلت تمارس ألعاب الرجال وتغشى مجتمعاتهم وتكون غالباً ذات عاطفة جنسية حادة.

ما يدفع المرأة على السحاق

قال الشيخ أحمد بن سليمان كمال باشا في (رجوع الشيخ إلى صباه)/ ٣٩: إن من النساء من تسمى (المقعرة) وهي التي اتسع نفقها من كثرة الرطوبة التي تفرزها جوانبه وبرد داخله فهي لا تجد لذة في مواقعة الرجال مهما كبرت أو طالت أمتعتهم ولا تجد لذة أو تنزل شهوة إلاّ بالسحاق لأنه يسخن ظاهر الشراج فتكون فيه حرارة وبمواصلة احتكاك نواتها (البظر) بنواة قرينتها تنزل الشهوة.

ومركز اللذة في السحاق هو البظر فمن كانت نواتها أطول كانت للسحاق أشوق وأشبق وهذا هو أحد أسباب تشريع خفض الجواري في الحنفية والإسلام فكلما خفضت الجارية كانت بعيدة عن الرغبة في السحاق. ولا تزال العرب تشك في طويلة النواة وعفتها عن السحاق بل تعير به وإن كانت لا تمارسه.

وبذلك هجا حسان بن ثابت هند بنت عتبة بن ربيعة الأموية عندما سرّت بما حدث بالمسلمين في واقعة أُحُد فقال في هجائها:

اشـرت لـكـاع وكـان عـادتـهـا ... لـؤم إذا أشـرت مـع الـكـفـر

لـعـن الـلـه وزوجـهـا مـعـهـا ... هـنـد الـهـنـود طـويـلـة الـبـظـر

ومنها:

فـرحـت عـجـيـزتـهـا ومـشـرجـهـا مـن نـصـهـا نـصـاً عـلـى الـقـهـر
ظـلـت تـداويـهـا زمـيـلـتـهـا لا مـاء تـنـضـحـه وبـالـسـدر
وتـألمت لـلـبـعـل يـنـكـحـهـا لـو ألـقـيـت مـنـه عـلـى الـظـهـر
تـعـلـو عـلـى امـرأة تـسـاحـقـهـا مـن فـوقـهـا بـظـراً عـلـى بـظـر

وهي طويلة ذكرها البرقوقي في شرح ديوان حسان بن ثابت.

أما الوقاية من فاحشة السحق فهي تكمن وراء علم الأسباب التي دفعت المرأة إليه وهي أنواع ومعظمها يدور على عنف الغريزة وشدة الشبق والغلمة.

فمنها:

١ ـ زيادة طول (البظر) على المعتاد فقد يدفع الأنثى إلى السحق لأنه إذا انعظ لا يكسل ولا يذبل إلاّ باحتكاكه بأعضاء جنسية فينزل الماء وهذا أحد الأسباب التي تدعو إلى خفض الجواري والخفض نوع من العفة درج عليها العرب قبل الإسلام وجاء الإسلام فأيّدها وجعلها سنّة في النساء كالختان في الرجال.

وقد أفضنا الحديث عن الخفض ومتعلقاته ببحث مفصل في كتابنا الجزء الأول من كواكب الإشراق.

٢ ـ ذكر في الحياة الجنسية عند العرب/٣٢: إن مما يدفع النساء إلى السحاق الفرار من فضيحة الحمل بالزنا فقد ذكروا أن حبى الفاسقة المشهورة قالت للمساحقات: إنكن أحدثتن شيئاً يعادله السحق تستغنين به عن الرجال فقلن لم نقصد به ذلك بل فراراً من فضيحة الحمل من الزنا فقالت: لا يخدعكن خادع عن الرجال.

٣ ـ قال في ص ٥٥: من النساء من مالت إلى السحق لحاجة فيزيولوجية ذكروا أن المرأة إذا كان حلقوم رحمها طويلاً مالت إلى الجماع وإذا كان قصيراً كرهت النكاح وعلقت بالسحاق لأنه الذي يطفي السعرة ويستوعب الشهوة.

٤ ـ إن الأبكار ملن إلى السحاق خوفاً من اذهاب البكارة بالزنا والثبات خوفاً من الحمل كما قالت إحداهن:

شـربـت الـنـبـيـذ لحب الـغـزل وصـرت إلـى الـسـحـق خـوف الحبـل

٥ ـ مالت له أخريات تفننا في اقتناص اللذة من جميع جهاتها فإن فيه لذة لعلها لا تدرك بالمواقعة أو العادة السرية فقد نظمت في السحق قصائد شعرية تصفه بلذة بالغة وتغري النساء به كما أفردت كتب خاصة بأولاة السحق وكما أن من أهل الخلاعة والمجون من يدعو إلى اللواط ويفضله فهناك فريق آخر يدعو إلى السحاق بل قامت معركة بين النكاح والسحاق.

الغيرة من المساحقة

وأشد أخطار المساحقة غيرة الرجل منها فكما أن الرجل يغار على زوجته من رجل يشاركه فيها فكذلك يغار أن تشاركه فيها امرأة أخرى فقد حدث لبدور بنت الجوهري وكانت جميلة حسناء أنها خرجت يوماً من الحمام فجلست لدايتها تدهن رأسها وتسرح شعرها وتصلح من شأنها فلما أكملت مكياجها وتجميلها أهوت عليها فطبعت قبلة على خدها إذ دخل زوجها جبير بن عمير الشيباني فلما رأى ذلك حزَّ في نفسه وانفعل غيرة على زوجته وخرج مغضباً وانقطع عنها سنة كاملة حتى شفع فيها علي بن منصور الخليعي وطرح معاذيرها إليه أن ما حدث ليس بإذنها ولا باختيارها ولم يكن ذلك من شهوة الداية بل حباً ومودة أخوية لا محبة جنسية.

وقد تدفع مشاهدة ذلك بعض الغيورين إلى القضاء على حياة امرأته المساحقة لأنه يعتبر متاعه ملكاً له وليس لأحد من رجل أو امرأة أن يحسه أو ينظر إليه إلاّ في الحالات الاضطرارية كالعلاج والولادة بل لا يبيح حتى لها نفسها أن تتصرف في أعضائها التناسلية بغير الغسل والتنظيف والاستحداد ويعتبر ما تجاوز تعدياً على حقه.

قال الجاحظ في المحاسن والأضداد ص ٢٢٨ عن علي بن يقطين: كنت عند موسى الهادي العباسي ذات ليلة مع جماعة من أصحابه إذ أتاه خادم بشيء فنهض سريعاً وقال: لا تبرحوا فمضى فأبطأ ثم جاء وهو يتنفس ساعة حتى استراح ومعه خادم يحمل طبقاً مغطى بمنديل فقام بين يديه وهو يرعد وعجبنا من ذلك ثم جلس وقال للغلام ضع ما معك فوضع الطبق وقال للخادم إرفع المنديل فرفعه فإذا في الطبق رأسا جاريتين لم أرَ والله أحسن من وجهيهما ولا من شعورهما قط وإذا على رأسيهما الجوهر منظوم على الشعر تفوح منهما رائحة طيبة فأعظمنا ذلك فقال: أتدري ما شأنهما؟ قلنا: لا، قال: بلغني أنهما تحابا فوكلت هذا الغلام بهما لينهي إلي أخبارهما فجاءني وأخبر أنهما اجتمعتا فقمت فوجدتهما كما قال في لحاف واحد فقتلتهما ثم قال: يا غلام إرفع الطبق...

والغيرة التي حملته على قتلهما أنه يخشى تسرب هذه الفاحشة إلى نساء البلاط الأميري فتستسيغه الجواري والنساء فهو كالعضو المسموم إذا لم يقطع سرى سمه في الجسم كله.

أحكام الزوجة المساحقة

ومن هنا كان حكم المساحقة الفاعلة والقابلة حكم الزانية وهو الجلد مائة جلدة إن كانت غير متزوجة والرجم بالأحجار حتى الموت إن كان لها زوج ولو ساحقت في عدة الطلاق الرجعية جاز لزوجها المطلق إبعادها عن بيته قال تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء

فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلاّ أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ الطلاق/ ١ ففي الوسايل ٣٣٤/١٤ عن الصدوق القمي في إكمال الدين بسنده عن سعد بن عبد الله عن صاحب الزمان (عج) ـ في حديث ـ أنه سأله عن الفاحشة المبينة التي إذا أتت المرأة بها أيام عدتها جاز للزوج أن يخرجها من بيته في قوله تعالى: ﴿ ..إلاّ أن يأتين بفاحشة مبينة..﴾ قال: الفاحشة المبينة هي السحق دون الزنا فإن المرأة إذا زنت وأقيم عليها الحد ليس لمن أرادها أن يمتنع بعد ذلك من التزويج بها لأجل الحد وإذا سحقت وجب عليها الرجم والرجم خزي ومن أمر الله برجمه فقد أخزاه ومن أخزاه فقد أبعده ومن أبعده فليس لأحد أن يقربه ا.هـ. وفي الحديث نظر فإن الزنا والسحق سواء في الحكم فكيف خص إخراجها بالسحق دون الزنا والحال أن الزنا أظهر معنى في الفاحشة وأكبر إثماً في الإجرام من السحق.

ويباح السحاق بين الزوج وامرأته والمولى وجاريته فيما لو كان مجبوباً أي كان عضوه التناسلي مقطوعاً فإنه يحل له أن يحك به عجان المرأة وهناتها فيما لو صبرت عليه ولم تطلب أن يطلقها ولو حملت بهذا السحاق وجاءت بولد لستة أشهر من بدء اتصاله بها فما زاد أمكن إلحاقه بالمساحق واعتبر ولداً شرعياً.

عقوبة السحاق في القانون الإسلامي

وحيث أن السحاق في النساء قسيم اللواط في الرجال فقد أهلك عليه أمة أهل الرس كما أهلك على اللواط أمة أهل سدوم وجعل العقوبة القانونية على السحاق كالتي على اللواط فالمرأة التي تمارس السحاق باستمرار يحكم عليها بالقتل والإحراق سواء الفاعلة والقابلة ويدل عليه ما رواه في الوسايل ٤٢٥/١٨ عن الطبرسي في مكارم الأخلاق عن النبي(ص) قال: السحق في النساء بمنزلة اللواط في الرجال فمن فعل من ذلك شيئاً فاقتلوهما ثم احرقوهما وعن الشيخ الطوسي بسنده عن سيف الثمار عن أبي عبد الله(ع) أن أمير المؤمنين(ع) أتى بامرأتين وجدتا تحت لحاف واحد وقامت عليهما البينة أنهما كانتا متساحقتين فدعا بالنطع والسيف فقتلهما ثم أمر بهما فاحرقتا بالنار.

أما إذا مارستا السحاق مرة أو مرتين بغير استمرار فحكمهما حكم الزناة فالمحصنة أي التي لها زوج ترجم بالأحجار حتى الموت والتي لا زوج لها تجلد مائة جلدة ويدل عليه ما رواه في الوسايل ٤٢٦/١٨ عن الكليني بسنده عن سماعة بن مهران قال: سألته ـ يعني الإمام الصادق(ع) ـ عن المرأتين توجدان في لحاف واحد ـ تتساحقان ـ قال: تجلد كل واحدة منهما مائة جلدة وحديث المرأة التي ساحقت جارية بماء زوجها المروى في الوسايل ٤٢٦/١٨ عن الكليني فقد أفتى فيها الإمام الحسن(ع) بأن ترجم المرأة لأنها محصنة وتجلد الجارية لكونها غير

محصنة ومثله برواية الشيخ الطوسي والشيخ الصدوق وفي حديث علي بن إبراهيم أن المنصور العباسي سأل الإمام الصادق(ع) عن ذلك فقال ترجم المرأة وتجلد الجارية ومثله ما رواه في الوسايل ٤٢٤/١٨ عن الكليني بسنده عن الصادق(ع) قال حد المساحقة حد الزنى.

فإن جلدت المساحقة ثلاثاً على السحاق ثم عادت إليه قتلت في المرة الرابعة ويدل عليه ما رواه في الوسايل ٤٢٥/١٨ عن الكليني بسنده عن أبي خديجة عن أبي عبد الله(ع) قال: لا يحل لامرأتين أن تبيتا في لحاف واحد إلاّ أن يكون بينهما حاجز فإن فعلتا نهيتا عن ذلك فإن وجدتا مع النهي جلدت كل واحدة منهما حداً حداً فإن وجدتا أيضاً في لحاف جلدتا فإن وجدتا للمرة الثالثة قتلتا وفي رواية الصدوق: فإن وجدتا في المرة الرابعة قتلتا.

وكما عذّب الله قوم لوط على اللواط معجلاً في الدنيا بالخسف والقذف رجماً بالأحجار كما حكاه في كتابه المجيد ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ فقد عذب أصحاب الرس على السحاق لما انتشر فعله بين نسائهم بغير استنكار كما تقدم ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وعادا وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً، وكلاً ضربنا لك الأمثال وكلاً تبرنا تتبيرا﴾ الفرقان/ ٣٩.

عقوبته السماوية في الآخرة

أما عقوبة المتساحقات في الآخرة ففي الوسايل ٢٦٣/١٤ والبحار ٧٥/٧٩ عن علي بن إبراهيم في تفسيره بسنده جميل: إن امرأة مع مولاة لها دخلت على الإمام الصادق(ع) فقالت: ما تقول في اللواتي مع اللواتي؟ قال: هن في النار إذا كان يوم القيامة أتى بهن فألبست جلباباً وخفين من نار وقناعاً من نار وأدخل في أجوافهن وفروجهن أعمدة من نار وقذف بهن في النار فقالت: ليس هذا في كتاب الله قال: بلى قوله تعالى: ﴿وعادا وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيرا﴾ فهن أصحاب الرس وفي الوسايل ٢٦١/١٤ بسنده عن إسحاق بن جرير عنه(ع) قال إذا كان يوم القيامة يؤتى بالمتساحقات قد ألبسن مقطعات من نار وقنعن بمقانع من نار وسربلن بسرابيل من نار وأدخل في أجوافهن إلى رؤوسهن أعمدة من نار وقذف بهن في النار.

وفي الوسايل ٢٩١/١٤ عن علي بن إبراهيم بسنده عن بشير النبال: أن رجلاً قال للصادق(ع) ما تقول في اللواتي مع اللواتي؟ قال: لا أخبرك حتى تحلف أن تحدث به النساء فحلف له فقال: المتساحقتان كلتاهما في النار عليهما سبعون حلة من نار فوق تلك الحلل جلد جاف غليظ من نار وعليهما نطاقان من نار وتاجان من نار فوق تلك الحلل وخفان من نار وهما في النار.

وقوع لعنة الله على المتساحقات

الوسايل ٢٦٢/١٤ عن الكليني بسنده عن يعقوب بن جعفر قال: سأل رجل أبا عبد الله أو أبا إبراهيم(ع) عن المرأة تساحق المرأة قال: معلونة ملعونة الراكبة والمركوبة وملعونة حتى تخرج من أثوابها فإن الله وملائكته وأولياءه يلعنونهاوانا ومن بقي في أصلاب الرجال وأرحام النساء فهو والله الزنا الأكبر ولا والله ما لهن توبة... وقد مضى تمام الحديث في فرحة (تأسيس السحاق). وبسنده عن أبي خديخة عن أبي عبد الله(ع) قال: لعن رسول الله(ص) المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وهم المخنثون واللاتي ينكحن بغضهن بعضاً ورواه الصدوق وزاد فيه: وإنما أهلك الله قوم لوط لما عمل النساء مثل ما عمل الرجال يأتي بعضهم بعضاً.

تحريم البواعث على السحاق للوقاية منه

وكما أن اللواط له لواحق كدوافع إليه أو علامات عليه تسمى (أعمال قوم لوط) وهي محرمة مثله لأن من تزيا بزي قوم حسب منهم كما سبق ذكرها فكذلك السحاق له لواحق ومتعلقات تغرى به وتدل عليه وقد حرمها الإسلام تفادياً أن توقع من أتت بها في الفاحشة فهي من أعمال السحاق والمتساحقات.

منها (١) مبيت المرأتين تحت لحاف واحد بدون ضرورة (٢) التصاق المرأة بالأخرى ضماً وعناقاً ومضاجعة (٣) ركوب المرأة على الأخرى (٤) جلوس المرأة في حجر الأخرى (٥) حك الأرداف بالأرداف والمس والجس حال الاختلاط (٦) القبلة بشهوة (٧) مص اللسان ومنه مبادلة العلك تأخذه من الواحدة من فم الأخرى (٨) دخولهن الحمام عاريات (٩) نظر المرأة إلى عورة الأخرى وهي أعضاؤها الجنسية فإن ذلك لا يحل إلاّ لضرورة كالعلاج والولادة ولا يحل حتى بين المحارم إلاّ للزوجين فقط، كما أن هذه التسعة محرمة على الرجال بإزاء الغلمان والرجال.

أما الرقص والغناء والعزف على الموسيقى ونقر الأوتار وضرب الدف والضرب على القيثارة والبيانو فإن عملته المرأة مع الرجال فهو من لواحق الزنا والبغاء وإثمه كإثم الزنا وإن عملته مع النساء فهو من لواحق السحاق وإثمه كإثم السحاق.

ويدل على ذلك ما رواه في الوسايل ٢٥٨/١٤ عن الصدوق في المعاني بسنده عن عبد الله بن الفضل عن أبيه عن أبي جعفر(ع) عن جابر بن عبد الله عن النبي(ص) أنه نهى عن المكاعمة والمكامعة فالمكاعمة أن يلثم الرجل الرجل والمكامعة أن يضاجعه ولا يكون بينهما ثوب من غير

ضرورة ا.هـ. ويعني به اللثم بشهوة أن يصيب منه كأن يكون غلاماً جميلاً وكذا المرأة في اللثم والمضاجعة كما تدل عليه النصوص الأخرى.

وعن الكليني بسنده عن أبي عبيدة عن أبي جعفر (ع) وجد رجلين مجردين في لحاف واحد فجلدهما حد الزنا كل واحد مائة جلدة وبسنده عن عبد الله بن سنان قال سمعت أبا عبد الله(ع) يقول حد الجلد في الزنا أن يوجد الرجلان في لحاف واحد أو المرأتان في لحاف واحد وعن الصدوق بسنده عن سليمان بن هلال أن رجلاً قال لأبي عبد الله(ع): ما تقول في الرجل ينام مع الرجل في لحاف واحد؟ قال: أهو ذو محرم؟ قال: لا قال: من ضرورة؟ قال: لا قال: يضربان ثلاثين سوطاً ا.هـ. وهو ثابت في حق النساء أيضاً لاتحاد العلة ويحمل الجلد مائة جلدة في الحديث السابق على كونهما مجردين وفي اللاحق على كونهما مكتسيين بالثياب ويقصد بالثلاثين سوطاً تعزيرهما كما ببينة الحديث التالي عن الصدوق في الخصال في حديث الأربعمائة عن علي(ع) قال: لا ينام الرجل مع الرجل في ثوب واحد فمن فعل ذلك وجب عليه الأدب وهو التعزير.

وعن الحسن الطبرسي في مكارم الأخلاق عن الصادق عن أبائه عن النبي(ص) قال: لا يباشر الرجل الرجل إلاّ وبينهما ثوب ولا تباشر المرأة المرأة إلاّ وبينهما ثوب.

وفي ص ٢٥٧ عن الكليني بسنده عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله(ع) عن النبي(ص) قال: من قبّل غلاماً من شهوة ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار، وبسنده عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله(ع) ما تقول في محرم قبّل غلامي من شهوة؟ قال: يضرب مائة سوط ا.هـ. وبمثل هذا يحكم على المرأة في تقبيلها الأخرى بشهوة لنفس العلة كما تدل عليه النصوص الأخرى.

وفي ص ٢٦٣ عن الطبرسي في مكارم الأخلاق عن النبي(ص) قال: لا تبيتن المرأتان في ثوب واحد إلاّ إن تضطرا إليه وعنه(ص) قال: لا ينام الرجلان في لحاف واحد إلاّ أن يضطرا فينام كل واحد منهما في إزاره ويكون اللحاف واحداً والمرأتان جميعاً كذلك ولا تنام ابنة الرجل معه في لحافه ولا أمه.

وجوب تفريق الصبية في المضاجع

وكما يجب انفصال الرجل عن الغلام والمرأة عن المرأة في الفراش واللحاف يجب فصل الأطفال في المضاجع وإبعاد البعض عن الآخر إذا بلغوا السن الذي لا يؤمن فيه تدخل الغريزة في حركاتهم فالبنات في حجرة والصبيان في حجرة أخرى لا صلة بينهما.

كما أن الأفضل أن يكون كل فتاة على سرير وحدها فلا تقرن الفتاتان على سرير أو فراش أو لحاف واحد ولا يجمع الصبيان في مضجع واحد.

ويدل عليه ما رواه في الوسايل ٢٦٨/١٤ عن الصدوق في الخصال بسنده عن ابن القداح عن الصادق عن آبائه(ع) قال: يفرق بين النساء والصبيان في المضاجع لعشر سنين ا.هـ. أي لا يجمع بين الفتاة والأخرى ولا بين الصبي والآخر إذا بلغوا عشر سنين في المضاجع وبالأولى أن لا يجمع بين الذكور والإناث في بيت واحد أو حجرة واحدة ولو كان لكل سرير وفراش يخصه لحديث ما خلا رجل بإمرأة إلاّ قام الشيطان ـ أي الغريزة ـ بينهما ثالثاً.

الزنا والشذوذ
في التاريخ العربي

حرم الله الزنا وتوعد عليه وزجر الناس عن اقترابه وحارب الاسلام البغاء ومنع المسلمين من ممارسته واعتبر الزنا والشذوذ منقصة ورذيلة ولطخة عار وعيب .

وفي هذا الكتاب يستعرض المؤلف تاريخ الشذوذ الجنسي وأسبابه وأضراره ويروي عنه حكايات كثيرة من التاريخ العربي باسلوب علمي وأدبي مستشهداً بالمراجع التاريخية الكثيرة حيث يستعرض أسماء عدد من المشهورين بين الرجال والنساء ينقل عنهم أخباراً وأحياناً شيقة .

ISBN 1841170151
9 781841 170152